سلطنة عمان

جامعة نزوى

كلية العلوم والآداب

" أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم "

رسالة تقدم بها الطالب:

إبراهيم بن عبدالله بن سليمان الهنائي

استكمالا لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص: دراسات لغوية

إشراف:

أ. د: سعيد جاسم الزبيدي

ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ / يناير ٢٠١٦ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الزمر: ٢٣)

إهداء :

- **إلى أفصح الناس لسانا وأغزرهم بيانًا النبي الأكرم محمد (ﷺ).**
- **إلى من علمني منذ الصغر وسهر على تربيتي وتعليمي، ونورني بنصائحه: أبي.**
- **إلى من تسكن القلب، وباطن الأرض، إلى من غمرتني بعطفها الكبير، وأسأل لها جنان الخلد: أمي الغالية دائما وأبدا.**
- **إلى من كانت وما زالت سندًا لي دائمًا، وفضل بعد الله: زوجتي.**
- **إلى فلذات كبدي وروحي : أبنائي (حفظهم ربي ورعاهم)**
- **إلى كل متطلع وباحث في قضايا القرآن العظيم واللغة العربية.**

ملخص الرسالة:

"أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"

اعداد الطالب: إبراهيم بن عبدالله الهنائي

إشراف: أ. د / سعيد جاسم الزبيدي

قدم الباحث هذه الرسالة إلى جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.

تناول الباحث في هذه الرسالة "أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم "، وقسم الرسالة على: تمهيد، وثلاثة فصول.

التمهيد: وتناول الباحث فيه تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحا، تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا، دلالات التقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين.

فصول الرسالة :

الفصل الأول: أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في الاسم، ومباحثه:

أولا: تقديم ألفاظ المتشابه في الاسم المعطوف على مثله.

ثانيا: تقديم ألفاظ المتشابه في غير المعطوف (الاسم على الاسم)

الفصل الثاني: أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في الفعل، ومباحثه:

أولا : تقديم ألفاظ المتشابه في الفعل المعطوف على مثله .

ثانيا: تقديم ألفاظ المتشابه في الفعل على الاسم.

ثالثا: تقديم ألفاظ المتشابه في متعلقات الفعل .

الفصل الثالث: أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في الجار والمجرور، ومباحثه:

أولا : تقديم الجار والمجرور على مثله.

ثانيا: تقديم الجار والمجرور على الاسم.

ثالثا: تقديم الجار والمجرور على مرفع الفعل ومنصوبه.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، فقام الباحث باستقراء الألفاظ المتشابهة من حيث التقديم والتأخير الواردة في القرآن الكريم، وجمعها في ملحق مستقل، وبعد ذلك قام الباحث بوصف الظاهرة، ثم النظر في توجيهات علماء المتشابه اللفظي وعلماء التفسير وتحليلها، ثم بعد ذلك أبدى الباحث رأيه بالموافقة أو المخالفة، أو ذكر رأيا آخر غير ما ذكر.

Abstract

"The secrets behind preceding and delaying similar utterances in the holy Quraan".

Done by: Ibrahim Abdullah Suleiman AlHinai

Under the supervision of: Dr. Said Jasim Alzubaidi

The researcher presented the study to Nizwa University, to Arabic literature section in the College of science and arts. This study is a part of the postgraduate studies requirements.

The researcher analysed the secrets of preceding and delaying the similar utterances in the Holly Quraan. This dissertation consists of three sections: the introduction and other sections

The introduction here the researcher discusses the definition of both preceding and delaying of similar at utterances according to the linguistics experts.

Section 1

The preceding of similar utterances in the holy Koran and the delaying of them in nouns are articulated in this section focusing on different types of nouns.

Section 2

In this section the focus is mainly on verbs so the researcher is looking at the preceding of similar utterances and the delaying of them focusing on verbs and highlighting these features in different types of verbs.

Section 3

In section 3 the researcher is looking at the positions and the connection with the preceding and delaying of similar utterances in the holly Quraan.

The researcher followed the analysis approach, so similar utterances in the holly Quraan are analysed both preceding and delaying. All of these are gathered in an appendix. Then this is described presenting linguistic's views and giving the researcher's own opinion.

فهرس الموضوعات:

المقدمة: ١

التمهيد..... ٥

المبحث الأول : تعريف التقديم لغة واصطلاحا..... ٥

أولا: لغة..... ٥

ثانيا: اصطلاحا..... ٧

المبحث الثاني : تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا. ١٠

أولا: لغة..... ١٠

ثانيا : اصطلاحا..... ١٢

المبحث الثالث: دلالات التقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين. ١٥

الفصل الأول: أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الاسم ٢٤

المبحث الأول: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم المعطوف على اسم مثله..... ٢٤

اللفظة الأولى (القلب – السمع) ٢٤

اللفظة الثانية: (صم – عمي) ٢٩

اللفظة الثالثة (النصارى – الصابئون) ٣٣

اللفظة الرابعة:(شفاعة، عدل)..... ٣٦

اللفظة الخامسة: (سجدا – حطة)..... ٤٠

اللفظة السادسة: تقديم وتأخير (السماء على الأرض). ٤٥

اللفظة السابعة: (بشير – نذير)..... ٤٩

اللفظة الثامنة: (غفور –حليم) ٥١

اللفظة التاسعة: (الأنعام – الحرث)..... ٥٣

اللفظة العاشرة: (الجنة – المغفرة) ٥٥

اللفظة الحادية عشرة: (المنافقين – الكافرين)..... ٥٧

اللفظة الثانية عشرة:(العليم – الحكيم) ٥٩

اللفظة الثالثة عشرة: (لعباً – لهواً)..... ٦١
اللفظة الرابعة عشرة: (ضراً – نفعاً)..... ٦٤
اللفظة الخامسة عشرة: (الجن – الإنس)..... ٦٧
اللفظة السادسة عشرة: (موسى وهارون)..... ٧٠
اللفظة السابعة عشرة :(ألسنتهم – أيديهم)..... ٧٣
اللفظة الثامنة عشرة : (الأولى – الآخرة) ٧٤
اللفظة التاسعة عشرة : (أواه- حليم) ٧٧
اللفظة العشرون :(قارون وفرعون، فرعون وقارون)..... ٧٩
اللفظة الحادية والعشرون: (صحف إبراهيم وموسى)..... ٨١
اللفظة الثانية والعشرون: (الشمس والقمر)..... ٨٣
اللفظة الثالثة والعشرون:(الضالون- المكذبون) ٨٥
اللفظة الرابعة والعشرون: (الكتاب – القرآن) ٨٨
اللفظة الخامسة والعشرون: (أنعامهم – أنفسهم) ٩١
اللفظة السادسة والعشرون: (الابن – الأخ) ٩٣
المبحث الثاني: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم على الاسم..... ٩٧
اولا : تقدم الاسم المعرف باللام على المعرف بالإضافة(هدى الله – الهدى) ٩٧
ثانيا: تقدم الحال على الصفة (فجاجا – سبلا)..... ١٠٠
ثالثا: تقدم الظرف على التمييز (بيني وبينكم – شهيدا)..... ١٠٣
رابعا: تقديم الظرف على الصفة : (حيث- رغداً)..... ١٠٦
خامسا:(تقديم ضمير المخاطب (نرزقكم) على ضمير الغائب (إياهم) وتأخيره) . ١٠٨
سادسا: تقديم وتأخير (ابن مريم – أمه)..... ١١١
سابعا: تقديم وتأخير كلمة التوحيد على كلمة الخلق. ١١٤
الفصل الثاني : أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الفعل. ١١٩
المبحث الأول : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل المعطوف على فعل مثله..... ١١٩
اللفظة الأولى (يعلمهم – يزكيهم)..... ١١٩

اللفظة الثانية (يغفر – يعذب) ١٢٢
اللفظة الثالثة (يرحم – يعذب) ١٢٥
اللفظة الرابعة (يرحم – يغفر) ١٢٨
اللفظة الخامسة (تبدوا – تخفوا) ١٣١
اللفظة السادسة (تبيضّ – تسودّ) ١٣٣
اللفظة السابعة (قتلتم – متّم) ١٣٦
اللفظة الثامنة (أسمع – أبصر) ١٣٩
اللفظة التاسعة: (اركعي – اسجدي) ١٤٢
اللفظة العاشرة: (باءوا – ضربت) ١٤٥
المبحث الثاني : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل على الاسم. .. ١٤٨
اللفظة الأولى: (أنزلناه مبارك) ١٤٨
اللفظة الثانية (يسعى – نورهم) ١٥١
اللفظة الثالثة: (بلغت – امرأتي) ١٥٢
المبحث الثالث : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في متعلقات الفعل.... ١٥٦
تقديم المفعول به على ضمير التوكيد (هذا – نحن) ١٥٦
المبحث الأول: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على جار ومجرور مثله) ١٦٤
اللفظة الأولى: (على شيء – مما كسبوا) ١٦٤
اللفظة الثانية: (به – لغير الله) ١٦٨
اللفظة الثالثة: (في سبيل الله – بأموالهم وأنفسهم) ١٧٢
اللفظة الرابعة: (للناس – في هذا القرآن) ١٧٥
المبحث الثاني : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على الاسم) ١٨١
اللفظة الأولى (بالقسط – شهداء لله) ١٨١
اللفظة الثانية: (على هؤلاء – شهيدًا) ١٨٥
اللفظة الثالثة: (بما تعملون – بصير) ١٨٨

اللفظة الرابعة: (بما تعملون – خبير) ١٨٨
اللفظة الخامسة: (عليكم – شهيدًا) ١٩١
اللفظة السادسة: (من قومه – الذين كفروا) ١٩٤
اللفظة السابعة: (لله – الحمد) ١٩٩
اللفظة الثامنة: (فيه – مواخر) ٢٠٢
المبحث الثالث : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على مرفوع الفعل ومنصوبه) ٢٠٦
أولا: تقديم الجار والمجرور على مرفوع الفعل (الفاعل) ٢٠٦
اللفظة الأولى (به – قلوبكم) ٢٠٦
اللفظة الثانية: (من أقصى المدينة – رجل) ٢١٠
ثانيًا: تقديم الجار والمجرور على منصوب الفعل (المفعول به) ٢١٦
اللفظة الأولى (منا – رحمة) ٢١٦
اللفظة الثانية (من قبلك – رسلاً) ٢١٨
الخاتمة والنتائج: ٢٢١
المصادر والمراجع: ٢٢٣
الرسائل الجامعية ٢٢٩
البحوث والدوريات: ٢٢٩
ملحق فهرس الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم ٢٣٠

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وعلى آله وصحبه أجمعين: أما بعد

فميز الله تعالى اللغة العربية بخصائص وميزات عدة لأنها لغة نزل بها القرآن الكريم، فاللغة العربية تمتاز من سائر اللغات بتركيب معجز وبليغ، وقد تعددت مباحث اللغة العربية، واهتم بها العلماء، بالكثير من التفصيل والتحليل.

ومبحث التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني ويبحث في سبك الألفاظ والعبارات والجمل؛ ليبيّن ما فيها من أسرار ومزايا بلاغية، والقرآن الكريم خير مورد وزاد في ذلك؛ لما يحتويه من غزارة اللفظ وتعدد المعنى، بل إنه شغل العالم منذ نزوله فتسابق العلماء إلى البحث في ألفاظه وأساليبه واستخراج أسراره ودرره.

وفتح البحث في الإعجاز البياني للقرآن الكريم أبوابًا واسعة للباحثين، فنهضت دراسات لا تعد ولا تحصى في وجوه هذا الإعجاز، ومن هنا جاء عنوان رسالة الباحث (أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم)، التي أرد الباحث من خلالها الإسهام في شرف خدمة كتاب الله العزيز، واللغة العربية.

تطلب من الباحث استقراء (التقديم والتأخير) في الآيات المتشابهة اللفظي زمنًا ليس قصيرًا، فضلاً عن النظر في الكتب التي وردت فيها إشارات لهذه الصور، والنظر في تعليل العلماء أسرار التقديم والتأخير، ومحاولة الوقوف على تلك الأسرار بما تمتلكه العربية من وسائل، وما يمتلكه هؤلاء العلماء من دقة نظر، وذوق رفيع؛ لإدراك الأسباب التي تقف وراء ذلك.

أهمية البحث:

- الوقوف والنظر في أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، يفتح لنا باب الولوج إلى البيان والاعجاز القرآني.
- استقراء ألفاظ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وبيان العلة وراء التقديم والتأخير، يعد وسيلة من وسائل اظهار عظمة كلام الله تعالى، وأن هذا الكتاب من عنده سبحانه وتعالى وبيان عجز البشرية عن الإتيان بمثله.

- يعد البحث وسيلة من الوسائل المعينة للمتطلعين والباحثين عن أسرار ألفاظ القرآن الكريم.
- يعد البحث وسيلة من وسائل دعوة البشرية إلى الإيمان بالله تعالى.

أسباب اختيار الموضوع:

- لم يبحث فيه أحد.
- الرغبة والشغف في الدراسات القرآنية من حيث مفرداتها.
- الوقوف على أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها.
- خدمة القرآن الكريم وبيان جانب من جوانب إعجازه من حيث المفردات.

تقسيم الرسالة:

- التمهيد وتناول الباحث فيه: تعريف التقديم لغة، واصطلاحا عند البلاغيين، إذ لم يتطرق الكثير منهم إلى مفهوم التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي بصورة صريحة، وتوصل الباحث من خلال سياق طروحاتهم إلى تعريف موجز للتقديم والتأخير في المتشابه اللفظي وهو (التماثل والتشابه الوارد بين الألفاظ بحيث يقع فيها تماثل وتشابه بين الحروف أو الكلمات أو أحيانا الجمل بالتقديم والتأخير؛ بقصد تحسين نظم التعبير وتجميله)، ثم بعد ذلك تطرق إلى دلالات التقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين، وأفاضوا وتوسعوا في بيان تلك الدلالات.
- الفصل الأول وتناول الباحث فيه: أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الاسم ، وقسمه على مبحثين أوله: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم المعطوف على اسم مثله ، ثانيها: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم على الاسم.
- الفصل الثاني: وتناول الباحث فيه أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الفعل، وقسمه على ثلاثة مباحث، أولها: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل المعطوف على معطوف مثله ، ثانيها: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل على الاسم، ثالثها: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في متعلقات الفعل.

- الفصل الثالث: وتناول الباحث فيه أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الجار والمجرور، وقسمه على ثلاثة مباحث، أولها: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الجار والمجرور على جار ومجرور مثله، ثانيها: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الجار والمجرور على الاسم، ثالثها: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الجار والمجرور على متعلقات الفعل.
- الخاتمة والنتائج: واستخلص الباحث فيها ما رآه أنه توضح هدف الرسالة، وأسرار التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة التي كانت موضع البحث والدراسة.
- المصادر والمراجع: وقد بلغت أكثر من ثمانين مرجعًا في الدراسات القرآنية، وكتب التفسير، والبلاغة، وكل مصدر أو مرجع أعانني على كشف اسباب التقديم والتأخير.

ولا يفوتني هنا أن أشكر قسم اللغة العربية، وأعضاءه عرفانًا بعونهم، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور سعيد جاسم الزبيدي على كل دقيقة قضيتها معه، وعلى كل ملحوظة وتصويب أجاد به علي، والذي لم يدخرًا جهدًا في سبيل الارتقاء بالرسالة إلى الأفضل، له مني جزيل الشكر وجل التقدير والاحترام ، وجزاه الله عني خير الجزاء.

والله ولي التوفيق

الباحث

أولاً: التمهيد.

المبحث الأول	**تعريف التقديم لغة واصطلاحًا**
المبحث الثاني	**تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا**
المبحث الثالث	**دلالات التقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين**

التمهيد.

شرف الله تعالى اللغة العربية بميزات عدة لأنها لغة نزل بها القرآن الكريم، وتمتاز عن غيرها بتركيب معجز، فكل كلمة فيها لها تعبير خاص يختلف عن الكلمات الأخرى سواء من حيث اللفظ أم المعنى، وقد تعددت مباحث اللغة العربية، وتناولها العلماء بالكثير من التفصيل والتحليل.

ومن أهم مباحث علم المعاني مبحث التقديم والتأخير الذي يتناول بناء الجمل وصياغة العبارات، ويكشف عن الأسرار والمزايا البلاغية في التركيب اللغوي، وقد جعل النحاة للكلام رتبا بعضها أسبق من بعض، وهذه الرتب لا تتم عبثا، وإنما وفق أسس وضوابط وأغراض يقصد بها المتكلم الغرض من التقديم والتأخير، وقام البلاغيون بتحليل الغرض والعلل وراء التقديم والتأخير.

والقرآن الكريم يعبر عن هذا الفن البلاغي تعبيرا رائعا ودقيقا إذ إن مفردات القرآن الكريم جاءت مرتبة ترتيبا جميلا ورائعا، مؤدية تعبيرا منسقا ومؤثرا تاركة أثرا وإعجازا بيانيا في نفوس قارئيه.

المبحث الأول : تعريف التقديم لغة واصطلاحا.

أولا: لغة.

عند البحث عن معنى التقديم والتأخير في المعاجم العربية، وجد الباحث أن لها معان عدة، وأقدم معجم لغوي هو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) وذكر في معجم العين " القُدْمَة والقَدَمُ: السابقة في الأمر، وقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ (يونس: ٢) أي سبق لهم عند الله خير، وللكافرين قَدَمُ شر. وفي الحديث: "إن جهنم لا تسكن حتى يضع الله قَدَمه فيها"، قال الحسن: حتى يجعل الله الذين قَدَّمَهم من شرار خلقه فيها، فهم قَدَمُ الله للنار والمسلمون قَدَمٌ للجنة. والقِدَمُ مصدر القديم من كل شيء، وتقول: قَدُمَ يَقدُمُ، وقَدَمَ فلان قومه أي يكون أمامهم، يَقْدُمُ قومه يوم القيامة من هاهنا. والقُدُمُ: المضي أمام أمام، وتقول: يمضي قُدُماً أي لا ينثني. والقُدم: الرجوع من السفر، وقَدِمَ يَقْدَمُ ، ومُقَدَّمٌ نقيض مؤخر، ومُقْدِمُ العين: ما يلي الأنف، والمؤخر:

ما يلي الصدغ. ولم يأت في كلامهم "مُقدَّمٌ ومؤخر" بالتخفيف إلا مُقْدِم العين ومؤخرها، وسائر الأشياء بالتشديد.[١]

ويخلص الباحث أن مادة (قدم) تؤدي معاني متشابهة، فتعريف التقديم عند الخليل من خلال سياق طرحه السابق هو (السبق في الأمر والمقدم عنده نقيض المؤخر) أي أن التقديم هو عكس التأخير.

وذكر الفيروزآبادي (ت٨١٧ هـ) في القاموس المحيط "أقدم على الأمر: شجع، وأقدمته وقدمته. والقدم ضد الحدوث، والقَدم السابقة في الخير، والمقدام الكثير الإقدام على العدو، والقُدمة مقدمة الجيش وهي ضد المؤخرة وتأخر وأخر تأخيرا واستأخر وأخرته، وأخر ضد قدم وتقدم الأُخُرُ بضمَّتَيْن: ضِدُّ القُدُمِ. تقولُ: مَضَى قُدُماً وتَأَخَّرَ أُخُراً. التَّأَخُّرُ: ضِدُّ التَّقَدُّمِ وقد تَأَخَّر عنه تَأَخُّراً في حديثِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنه: " أنَّ النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال له: " أَخِّرْ عنِّي يا عُمَر" [٢]

وخلاصة القول:

أن التقديم والتأخير هو (مقدمة الشيء والسبق إليه وهو نقيض وضد التأخير) التقديم والتأخير إذن في اللغة متناقضان إذ يعنى الأول بوضع الشيء أمام غيره، وقد كان متأخرا عنه، ويعنى الثاني وضع الشيء خلف غيره وقد كان متقدماعليه.

---

[١] الفراهيدي: الخليل بن أحمد ، معجم العين تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ١٩٨٠م، مادة قدم ، ٥/ ١٢٢

[٢] الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب ، ٨١٧هـ، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الثالثة، ت: ١٩٨٧ ص ١١٤٧

ثانيا: اصطلاحا.

وقف عند تعريف التقديم والتأخير اصطلاحا عدد من علماء اللغة سواء كانوا متقدمين أم متأخرين [١]؛ بيد أن الباحث لم يظفر عندهم بتعريف صريح للتقديم والتأخير في المتشابه اللفظي، وربما ذلك عائد إلى وضوحه.

ويعد سيبويه المنظر الأول لتقديم والتأخير الذي بين علة التقديم من خلال مقولته المشهور "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم" االمتكلم إذن كما ذكر سيبويه يقدم ويؤخر في التركيب على وفق الأهمية والعناية ومقتضى الحال.

ففي باب الفاعل الذي يتعدى إلى مفعول قال " فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى الأول، وذلك قولك: ضرب زيدا عبدالله لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير" [٢]

والأصل أن يتقدم الفاعل على المفعول به، ولكن المفعول به قد يتقدم على الفاعل لعلة بلاغية أشار إليها سيبويه وهي (العناية والاهتمام)، أو لأي غرض بلاغي آخر يقتضيه السياق.

وأما عبد القاهر الجرجاني فلم يذكر للتقديم والتأخير تعريفا صريحا، ويمكن أن نستخلص التعريف من خلال تقسيمه للتقديم والتأخير على قسمين: (قسم على نية التأخير) وهذا القسم لا تتغير وظيفة أركانه في السياق، وتبقى أركانه بنفس الوظيفة وآخر (لا على

---

[١] ينظر: السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ، ت ٢٠٠٠م، السعد التفتازاني، شروح التلخيص،ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت

[٢] سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، الخانجي القاهرة،ط٣، ت: ١٩٨٨، ٣٤/١

نية التأخير) وتتغير وظيفة أركانه في السياق بعد التقديم والتأخير. وذكر أن التقديم هو "باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف"[١]

وبدا للباحث أن عبد القاهر الجرجاني أفاد من مقولة سيبويه وبنى عليها، إذ إن التقديم والتأخير عنده مرتبط بالعناية والاهتمام وجاء في " الدلائل" في القول في التقديم والتأخير "وأعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب: وهو يذكر الفاعل والمفعول" كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم" [٢]

ولم يتوقف الباحث مع المحدثين جميعهم، وإنما وقف عند واحد منهم ليرى ماذا كتب في باب تعريف التقديم والتأخير وهو رشيد بلحبيب؛ كونه آخر من تناول التقديم والتأخير بشكل مفصل وواسع في كتابه " ضوابط التقديم وحفظ المراتب في النحو العربي.[٣]

لم يذكر رشيد بلحبيب في كتابه تعريفا صريحا عن التقديم والتأخير، وإنما كانت هناك إشارات استخلصها الباحث من خلال سياق نقاشه وطرحه للتقديم والتأخير، وذكر أن التقديم والتأخير نمطان يعبران عن حالة بلاغية عامة تحكم شكل البنية الإسنادية فلا يقدم، ولا يؤخر عنصر إلا حين يكون ذلك مترتبا عن شروط تداولية أعمق تتكفل بمطابق المقال –المقدم والمؤخر – للمقام.

وذكر أيضا وضع اللفظة في غير موضعها من شأنه أن يؤدي إلى الاضطراب في الفهم، فتفقد العبارة السوية النحوية والمقبولة الدلالة، فتعوق بذلك أية عملية تواصلية؛ لأن ترتيب الألفاظ على غير ترتيبها من شأنه أن يسيء إلى التركيب والمعنى معا. [٤]

ومعنى ذلك أن المتكلم لا يقدم ولا يؤخر اعتباطا، وإنما يكون لدلالة أرادها وهي العناية والاهتمام.

---

[١] الجرجاني: عبد القاهر بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن محمد ت: ٤٧١هـ، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥ ، ت: ٢٠٠٤م، ص ١٠٦

[٢] دلائل الاعجاز، ص ١٤٤

[٣] ينظر: بلحبيب : رشيد ، ضوابط التقديم والتأخير في النحو العربي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، ط١، ت: ١٩٩٨،ص ٢٥٨

[٤] نفسه، ص ٢٥٨

وخلاصة القول:

جميع التعريفات تركز على العناية والاهتمام، ويعد سيبويه أول من كشف عن هذا السر البلاغي[١]، وأما الجرجاني فأكمل على ما جاء به سيبويه وبنى على مقولته الأسرار البلاغية البعيدة للتقديم والتأخير.[٢]

وأشار رشيد بلحبيب في تعريفه إلى أن التقديم والتأخير نمطان يعبران عن حالة بلاغية عامة.

إذن تبيّن للباحث من خلال سياق الطرح السابق: أن التقديم والتأخير هو مخالفة عناصر التركيب للأصل اللغوي، فيتقدم عنصر على عنصر والأصل فيه أن يتأخر، ويتأخر عنصر عن عنصر والأصل فيه أن يتقدم، لغرض بلاغي أراده الأديب أو الكاتب، وغالبا ما يكون هذا الغرض (العناية والاهتمام).

---

[١] ينظر: حسين : عبد القادر ، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب القاهرة ت: ١٩٩٨، ص ٨١، و سعد :أحمد ، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه واثرها في البحث البلاغي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ت: ٢٠٠٩م، ص ٣٩

[٢] ينظر: دلائل الإعجاز ، ص ١٤٦

المبحث الثاني : تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا.

علوم القرآن متعددة ومتشعبة، وثمة علم من بينها يسمى "علم المتشابه اللفظي"، وهو علم كبير له قواعده (أصوله وفروعه)، وله علماؤه ومصنفاته، وله فوائده ومزاياه، والمصنفات التي ألفت فيه قليلة ومحدودة.

ويعد هذا العلم من علوم إعجاز القرآن الكريم، وهو باب من أبواب تفسير القرآن الكريم، لأنه يُظهر عظمة وقدسية وبلاغة القرآن الكريم.

أولا: **لغة.**

عرف الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ) في معجم العين المتشابه في مادة "شبه" قال الخليل:" الشبه: ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر، وسمي شبها؛ لأنه شبه بالذهب، وفي فلان شَبهٌ من فلان، وهو شَبهه وشِبهه أي شبيهه، وتقول شبهت هذه بهذا، وأشبه فلانٌ فلاناً وقال الله عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(آل عمران: ٧) أي يشبه بعضها بعضا.

والمشبهات من الأمور المشكلات قال أبو العتاهية:

واعلمْ بأنك في زما نٍ مشبهات هن هُنه

وشبّه فلان عليا، إذا خلط، واشتبه الأمر أي اختلط، ورأيتك مثله في الشَبه والشِبه، وفيه مشابه من فلان، وتقول إني لفي شُبهةٍ منه وحروف الشين يقال لها أشباه، وكل شيء يكون سواء فإنها أشباه. قال لبيد:

كعقرِ الهاجري إذا أبتناه فأشباه حُذين على مثالِ

والشباه حبٌ على لون الحُرف يُشرب للدواء"[١]

بدا للباحث من خلال سياق طرح الخليل أن لفظة المتشابه على اختلاف اشتقاقاتها تأتي بمعنى واحد وهي بمعنى (المثل والتماثل والتشابه).

---

[١] معجم العين، مادة شبه ، ٣ / ٤٠٤

وفي لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) ذكر المتشابه في مادة شبه " الشِّبه والشَّبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه،وأشبه الشيءُ الشيءَ:ماثله، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم،وأشبه الرجل أمه، وذلك إذا عجز وضعف،وأشبهت فلانا، وشابهته، وتشابه السيئان، واشتبها:أشبه كل واحد صاحبه، وتقول: أشبه فلان أباه، وأنت مثله في الشِّبه والشَّبه، وتقول في فلان شبه من فلان، وهو شِبهُهُ وشَبَهُهُ وشَبيهُه، وقوله تعالى: ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥)، ليس من الاشتباه المشكل، إنما هو من التشابه الذي بمعنى الاستواء، وكذلك كل شيء يكون سواءً فإنه أشباه، وفي الحديث: " عن زياد السهمي قال: نهى رسول الله ﷺ أن تُسْتَرضع الحمقاء فإن اللبن يشبه"، وفي التنزيل: ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام: ١٤١) وشبه إذا ساوى بين شيء وشيء، وفيه شُبهة منه: أي شبه، وفي الحديث " الدَياتِ دية شِبه العمد أثلاث[١].

المتشابه إذن (هو المثل والسواء أو المثيل والشبيه، فجميع التقلبات لمادة شبه تؤدي معنى المثيل والشبيه والمماثل والمشابه).

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) " شابهه وأشبهه: ماثله، وتشابه واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وأمور مشتبهة ومشبّه: مشكلة"[٢]

وعرف العلامة التهانوي (ت ١١٩١ هـ) المتشابه اللفظي بقوله " ومنه أن يحصل الاتفاق في الخط والنطق لكن يحصل الاختلاف أو الاشتباه بالتقديم والتأخير، إما في الاسمين، ويسمى المتشابه المقلوب أو نحو ذلك، كأن يقع التقديم والتأخير في الاسم الواحد في بعض حروفه بالنسبة إلى ما يشبه به نحو: أسود بن يزيد، ويزيد بن أسود. [٣]

---

[١] ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، المطبعة الكبرى الميرية ،بيولاق مصر المحمية، ت:١٣٠٠هـ ، ١٧/ ٣٩٩-٣٩٨

[٢] القاموس المحيط، مادة شبه ، ص١٢٤٨

[٣] التهانوي: محمد بن علي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم واشراف د. رفيق العجم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط ١، ت:١٩٩٦، ٢/ ١٤٤١

وخلاصة القول:

لم يجد الباحث في المعاجمات التي توافرت لديه تعريفا دقيقا للتقديم والتأخير في المتشابه اللفظي، بيد أنه وجد إشارة للتهانوي في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، فالتهانوي أشار بإشارات بعيدة إلى التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي عندما ذكر التقديم والتأخير يقع في الاسم الواحد في بعض حروفه بالنسبة إلى ما يشبه به.

وتوصل الباحث من خلال سياق ما تم عرضه إلى تعريف موجز للتقديم والتأخير في المتشابه اللفظي وهو (التماثل والتشابه الوارد بين الألفاظ بحيث يقع فيها تماثل وتشابه بين الحروف أو الكلمات أو أحيانا الجمل بالتقديم والتأخير بقصد تحسين نظم التعبير وتجميله).

ثانيا : اصطلاحا.

وقف الباحث على كتب المتشابه اللفظي التي توافرت له التي تناولت التقديم والتأخير في المتشابه اصطلاحا ونظر في آراء مؤلفيها من العلماء ورتبهم حسب تأريخ الوفاة.

ذكر الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) مسألة التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي، وذلك عندما ذكر أن المتشابه اللفظي هو عبارة عن آيات تكررت واشتبهت لعلة التقديم والتأخير أو الزيادة والحذف أو التعريف والتنكير أو ابدال كلمة أو حرف مكان كلمة أخرى أو حرف آخر. [1]

فهو يشير إلى موضوع التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي، وذلك بذكر مسألة التشابه بالتقديم والتأخير، وهذا هو لب موضع البحث.

وذكر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) في مقدمة كتابه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو ابدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة أو نقصان، ثم ذكر أنه سيّبن العلة و السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها، وما

---

[1] ينظر: الخطيب الاسكافي: عبدالله بن محمد بن عبدالله الأصبهاني (٤٢٠) هـ، درة التنزيل وغرة التأويل ج١، تح: محمد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، ت: ١٤٢٢هـ، ٢٠١١م،ص٥١

الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، والابدال، وما الحكمة من تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا.[١]

تعريف الكرماني جامع وشامل، إذ إنه يتطرق إلى التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي مع ذكر العلة والسبب وراء ذلك التقديم والتأخير.

ولم يضع الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) للتقديم والتأخير في المتشابه اللفظي تعريفا في كتابه ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، وإنما أشار إليه في مقدمة كتابه إلى ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير أو زيادة في التعبير.[٢]

وإن نظرنا في كتاب كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة (ت٧٣٣هـ)، نجد أنه أشار في كتابه إلى مسألة التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي، وذلك من خلال ذكره اختلاف الألفاظ والمعاني المكررة، وتنويع العبارات، بالتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان.[٣]

وأما الأنصاري (ت٩٢٦هـ) فتطرق إلى قضية التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي عندما ذكر في كتابه الآيات المتشابهات الألفاظ المختلفات في الزيادة أو التقديم أو التأخير، مع بيان سبب التقديم والتأخير والتكرار.[٤]

---

[١] ينظر: الكرماني: محمود بن حمزة ، البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ص ٢١

[٢] ينظر: الغرناطي: أبو أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، ج١،تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط١،ت: ٢٠٠٧م، ص ١٠٣

[٣] ينظر: ابن جماعة: بدر الدين، كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، تح: عبد الجواد خلف ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ت:١٩٩٠م، ص ٨١

[٤] ينظر:الأنصاري: أبو يحيى بن زكريا ، فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن، بيروت، ط١، ت: ١٩٨٣، ص ١٧

وأشار أبو البقاء (ت ١٠٩٤هـ) إلى قضية التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في كتابه الكليات، وذلك عندما ذكر أن القصة الواحدة يمكن أن تأتي في صور وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير.[١]

وبناء على ما تمّ سرده من تعريفات للمتشابه اللفظي نصل إلى الخلاصة الآتية:

إن أقرب وأوسع تعريف يراه الباحث، هو تعريف الكرماني وأبي البقاء؛ لأنهما ذكرا أن القصة الواحدة يمكن أن تأتي في صور وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير، وهذا هو الواقع في القرآن، فالقصة الواحدة ترد في أكثر من صورة وبصور شتى سواء بالتقديم أم التأخير أم غير ذلك من الأساليب القرآنية ، ومثال على ذلك قصة سيدنا موسى (عليه السلام) مع فرعون، والغرض من ذلك إظهار القدرة العظيمة والكبيرة للقرآن في التصرف بالألفاظ، وتكيفها وفق السياق، وإظهار عجز الانسان عن الاتيان بمثل ذلك، ويعد هذا بابًا من أبواب الإقناع والإعجاز القرآني، وبالإضافة إلى ذلك فتشابه الألفاظ وتكرارها واختلافها في القديم والتأخير، يعد لفته ولمسة بيانية من لمسات القرآن الكريم التي تدعو القارئ إلى التأمل والتفكر في هذا الكتاب العظيم.

---

[١] ينظر: أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، ط٢، ت: ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، ص ٨٤٥

المبحث الثالث: دلالات التقديم والتأخير عند النحويين والبلاغيين.

إن أول من تناول التقديم والتأخير الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، الذي ينقل عنه تلميذه سيبويه في باب الابتداء وجهة نظره فيه فيقول " وزعم الخليل – رحمه الله – أنه يستقبح أن يقول: قائم زيد، وذاك إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيدا عمرو، وعمرو على ضرب مرتفع، وكان الحد أن يكون مقدما، ويكون زيد مؤخرا، وكذلك هذا، الحد فيه أن يكون الابتداء فيه مقدما، وهذا عربي جيد، وذلك قولك تميمي أنا، ومشنوء من يشنؤك، ورجل عبدالله، وذلك قولك تميمي أنا، ومشنوء من يشنؤك، ورجل عبدالله، وخزٌّ صفُتّك"[١]

والتقديم والتأخير عند الخليل (عربي جيد) ولكن لا يأتي ولا يقع إلا بمراعاة أصل الرتبة.

ويعد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) أول من بحث في علة أسلوب التقديم والتأخير ودواعيه، وأول من طرق سر هذا اللون البلاغي، إذ توقف وأمعن الفكر فيه، ويعد أيضا من الأوائل الذين أسهموا في تأسيس البعد التعليلي النظري للتقديم والتأخير، إذ يقول في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول " فإن قدمت المفعول، وأخرت الفاعل كقولك ضرب زيدا عبدالله... وكان حد اللفظ أن يكون الفاعل مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهو ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم" [٢]

---

[١] الكتاب، ١٢٧/٢، والأصول البلاغية في كتاب سيبويه، ص ٣٩

[٢] الكتاب، ٣٥،٣٤/١، وينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي، ص ٨١

وخلاصة القول:

إن العناية والاهتمام التي قصدها المتكلم هي العلة البلاغية وراء تقديم المفعول به على الفاعل، ولذلك التقديم والتأخير عند سيبويه كثيرا ما يقع لذلك، وأحيانا للتأكيد والتنبيه، وأحيانا يكون لغير علة بلاغية، ولربما كان سببا في قبح الكلام وسوء التركيب.[١]

وحينما نتتبع موقف الفراء (ت ٢٠٧ هـ)[٢] في (معاني القرآن) من دلالة التقديم والتأخير نجده لم ينتفع بما قاله سيبويه من العناية والاهتمام، وكان يكتفي بذكر المقدم والمؤخر في الآية دون أن يبيّن الدلالة والغرض والعلة البلاغية من وراء التقديم والتأخير، فمثلا عندما تناول قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾(طه: ١٢٩) يريد "ولولا كلمةٌ وأجلٌ مسمى لكان لزاما" اكتفى بذكر "مقدم ومؤخر"، دون أن يبيّن العلة البلاغية من ذلك التقديم والتأخير.

وأشار المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في المقتضب إلى التقديم والتأخير دون أن يذكر الغرض البلاغي منه فقال:" لو قلت: غلامَه كان زيدٌ يضرب، كان جيدا أن تنصب الغلام بيضرب؛ لأنه ما جاز أن يتقدم من الأخبار جاز تقديم مفعوله، وأما التقديم والتأخير في (إن) فلم يجزه؛ لأنها حروف جامدة،ولكن إن كان الذي يليها ظرفا فكان خبرا أو غير خبر جاز، وكذلك لم يجز التقديم والتأخير في (كأن وليت ولعل) فهي حروف مشبهة بالأفعال ولا تتصرف.[٣]

وأما ابن جني (ت ٢٩٣ هـ) فقد وقف على التقديم والتأخير في موضعين: الأول في الخصائص والثاني في المحتسب، ففي (الخصائص) كان يراعي مسألة القياس، صحته، أو ضعفه، أو فساده، وأطال الحديث في مسائله، وقسمه على قسمين اثنين: أحدهما يقبل القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار " كتقديم المفعول به على الفاعل تارة وتقديم الفعل الناصب كضرب زيدا عمرو، والظرف نحو قام عندك زيد، والمستثنى والحال نحو جاء

---

[١] ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص ٨٤

[٢] الفراء: أبو زكريا بن يحيى بن زياد ، معاني القرآن ج ٢، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ت: ١٩٨٣، ص ١٩٥وينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص ١٣٩

[٣] المبرد: أبو العباس بن محمد بن يزيد ، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ت: ١٩٩٤، ١٠١/٤ ، ١٠٩

ضاحكا زيد، وتقديم خبر المبتدأ على المبتدأ وغيرها من المسائل التي ساقها ابن جني في كتاب الخصائص"[١]

وبعد ما انهى ابن جني من طرح مسائل التقديم والتأخير في كلام العرب يقول : "فهذه وجوه التقديم والتأخير، وإن تركنا شيئا فإنه معلوم الحال ولاحقا مما قدمناه"

وعندما ننظر في (المحتسب) نجده يذكر الغرض والنكتة البلاغية من تقديم المفعول به على الفعل والفاعل (العناية والاهتمام بشأنه).

يقول " ينبغي أن يعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كضرب زيدٌ عمراً، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا ضرب عمراً زيدٌ، فإذا ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة فقالوا عمراً ضرب زيدٌ، فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة، وتجاوزا به كونه فضلة، فقالوا: عمرو ضربه زيدٌ، فجاءوا به مجيئا يتنافى كونه فضلة "[٢]

وينظر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) إلى التقديم والتأخير في كتابه (دلائل الاعجاز) على أنه سبب من أسباب الجمال في النص الأدبي، ولا بد أن يؤدي معنى من المعاني البلاغية يقول " وقد رأينا عند النحاة جملة من المعاني يقف على رأسها سيبويه من ذلك، إذ جعل التقديم للعناية والاهتمام" [٣]

ويقول في وصف التقديم والتأخير " هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بريقه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[٤]

---

[١] ابن جني: أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج٢ ص ٣٨٧ ، وينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص ٣١٥

[٢] المحتسب، تح: علي النجدى ناصيف، د. عبدالحليم النجار، د. عبدالفتاح اسماعيل، القاهرة، ت: ١٩٩٤، ١/ ٦٥، وينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص ٣١٦

[٣] ينظر: شحود :حسن عبد الكريم ، التقديم والتأخير عند اللغويين العرب قدامى ومحدثين، ت: ٢٠٠١، ص ١٢١

[٤] دلائل الاعجاز، ص ١٠٦

وأفرد فصلا للتقديم والتأخير في كتابه (دلائل الاعجاز) وظف فيه ارتباط علم المعاني بعلم النحو. [١]

وتبنى عبد القاهر الجرجاني مقولة سيبويه في دلالة التقديم والتأخير (العناية والاهتمام) " وأعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجري الأصل غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول " كأنهم يقدمون الذي ببيانه أهم لهم، وهو ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[٢] ويتوسع فيه بل يتجاوز ما وقف عنده سيبويه ويقول " وقع في ظنون الناس أنه يكتفي ان يقال قدم للعناية والاهتمام، ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟، ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه، والنظر فيه ضربا من التكلف، ولم تر ظنا أزرى على صاحبه وشبهه"[٣]

وأما الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فسار في الطريق التي رسمها عبد القاهر الجرجاني في ذكر المعاني والأغراض البلاغية للتقديم والتأخير، فكان يطبق المعاني والأغراض البلاغية التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني على آيات القرآن الكريم في (الكشاف) ويضيف عليها معاني أخرى.

فمثلا عندما تناول التقديم والتأخير في سياق (الاستفهام بالهمزة) اعتمد على المعاني التي عرضها وعالجها عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الاعجاز) ويضيف إليها أحيانا أغراضا ومعاني أخرى، وأهم المعاني التي ذكرها في (الكشاف):

- الإنكار: وهو ما ذكره الجرجاني في كتابه كقوله تعالى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾(الأنعام: ١٤) والإنكار هنا في اتخاذ غير الله وليا وكان أولى بالتقديم.[٤]

---

[١] دلائل الاعجاز ، ص ١٠٦

[٢] نفسه، ص ١٠٧

[٣] نفسه، ص ١٠٨

[٤] الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمد بن عمر ، الكشاف ، تح: عادل محمد، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ت:١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ٢/ ٣٢٩

- العناية والاهتمام هذا المعنى البلاغي ذكره الجرجاني أيضًا كقوله تعالى﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾(مريم: ٤٦) فيرى أن التقديم للمسند كان للعناية والاهتمام.[١]
- التقرير كقوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾(الأنبياء:٦٢)إذ قصد التقرير لنفسه.[٢]
- التوبيخ والتعجب [٣] كقوله تعالى﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤)إذ بيّن في ذلك توبيخا عظيما.
- التعجب [٤] كقوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(البقرة ٣٠)

وغيرها من المعاني البلاغية للتقديم والتأخير التي تناولها الزمخشري في تفسيره (الكشاف).

وأفاد السكاكي (ت ٦٢٦هـ) الذي قعَد البلاغة وصنفها من مقولة سيبويه (العناية والاهتمام) فذكر بقوله " والحالة المقتضية لذلك هي كون العناية بما يقوم أتم، وإيراده في الذكر أهم، ويقع باعتبارات مختلفة، والعناية التامة بتقديم ما يقدم والاهتمام بشأنه"[٥]

ويبحث التقديم والتأخير من خلال المسند والمسند إليه والفعل وما يتعلق به، إذ فصل هذه المسائل الثلاث في كتابه (مفتاح العلوم) فبدأ في حديثه بتقديم المسند إليه، ويتقدم المسند إليه على المسند إذا كان ذكره أهم وأعنى، والأهمية عنده تقع في أوجه عدة: [٦]

- أن يكون أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه.
- أن يكون له الصدارة في الكلام كأسماء الاستفهام وضمير الشأن كقولك: أيهم المنطلق، هو زيد المنطلق.
- التفاؤل كقولك: البراءة حكم القاضي، وقال محمد بن وهيب في المعتصم الخليفة:

---

[١] الكشاف ٤ / ٢٥

[٢] الكشاف ٤ / ١٥٣

[٣] الكشاف ١ / ٢٦٠

[٤] نفسه ، ص٢٥٢

[٥] مفتاح العلوم ، ص ١٩٤

[٦] نفسه، ص ٢٩١

سَعِدتْ بغرةِ وجهِك الأيامُ وتزينتْ ببقائِك الأعوامُ

- التلذذ قال الشاعر قيس:

باللهِ يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا ليلاي منكنَ أم ليلى منَ البشرِ

وأما تقديم المسند عند السكاكي فبيّن أنه واجب التقديم إذا كان من الاسماء التي لها حق الصدارة كأسماء الاستفهام كقولك: كيف زيدٌ. [١]

ونخلص من قول السكاكي، أنه وافق سيبويه وعبد القاهر الجرجاني في ذكر الغرض البلاغي من التقديم (العناية والاهتمام)؛ لأنه لم يخرج عن مسارهم بل سار على نهجهم، ولكنه يفصل هذه العناية في عده أوجه كما أوردت ذلك سابقا.

وأفرد ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) فصلا مستقلا للتقديم والتأخير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) إذ قال عنه "وهذا باب طويل يشتمل على أسرار دقيقة، منها ما استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان وسأورد ذلك مبيناً " [٢]، وقسم ابن الأثير التقديم والتأخير على قسمين:

- قسم يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ولو أخّر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى.
- قسم يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخّر لما تغير المعنى.

ونخلص لما أورده ابن الأثير في مسألة التقديم والتأخير:

- أورد له فصلا مستقلا في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر).
- قسمه على قسمين: قسم يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، وقسم يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك.
- ذكر ابن الأثير أن العلة من تقديم المفعول به على الفعل تأتي لمراعاة النظم .

---

[١] مفتاح العلوم ، ص ٣٢١

[٢] ابن الأثير: ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢/ ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٤

- يحاول تعليم الناس الكلام والأساليب والطرق المناسبة للأحوال المتعددة خاصة في القسم الثاني، وأما الزمخشري ومن سبقه فتلمسوا جوانب الاعجاز في الكلام.

وخالف إبراهيم أنيس من سبقه من القدماء في دلالة تقديم وتأخير المنسد على المسند ، فالتقديم والتأخير عنده لا يتعلق بالبنية والتركيب الداخلي المرتبط بالمعنى في ذهن المتكلم يقول " لا داعي أن نسلك مسلك البلاغيين حين عرضوا الأحوال كل منهما، فذكروا لنا أن من أحوال المسند إليه التقدم والتأخر، ثم عرضوا للمسند جعلوا من أحواله أيضا ذلك التقدم والتأخر "[١]

ويقول أيضا " لا معنى لأن ننساق مع البلاغيين حين يعزون تقدم المسند إليه إلى أمور تلمسوها من شواهد معينة، كالتمكن في ذهن السامع، والتعجيل بالمسرة والمساءة، والاستلذاذ، والتحقير، ومن الغريب أنهم يجعلون نفس هذه الأسباب أو معظمها، داعيا من دواعي تقدم المسند أيضا" [٢]

ويرى أن دراستهم هنا لا تعدو أن تكون نقدا أدبيا لأمثلة معينة تصورا فيها تلك الأمور التي أشاروا إليها.

وعد التقديم والتأخير في بعض الآيات التي ناقشها العلماء في تقديم المفعول به على ركني الاسناد للعناية والاهتمام ليس صحيحا، وإنما كان التقديم فيها من باب مراعاة موسيقى الفاصلة القرآنية، بل إنه يرفض تقدم المفعول به على ركني الإسناد في الجملة الفعلية المثبتة.[٣]

ويخالف الباحث ما ذهب إليه إبراهيم أنيس من أن التقديم والتأخير عنده غير مرتبطين بالبنية والتركيب، لأن التقديم والتأخير أسلوب من أساليب علم المعاني، وعلم المعاني متعلق ومرتبط بالبنية والتركيب، ولا تتقدم لفظة دون أخرى إلا لغرض بلاغي قصد المتكلم أو الأديب الفائدة البلاغية والمعنوية من وراءه ، ومقولة سيبويه (العناية والاهتمام) التي هي أصل من أصول التعليل البلاغي، دليل ذلك، وهذا ما يراه الباحث.

---

[١] ينظر : أنيس : إبراهيم ، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٦، ت: ١٩٧٨، ص ٣٠٦

[٢] نفسه، ص ٣٠٦

[٣] نفسه، ص ٢٣٤

وقد أفاض العلماء المعاصرون في الحديث عن أسرار التقديم والتأخير من حيث الأقسام، والأنواع، والأغراض التي تعد تفصيلا لما أجمله القدامى.[1]

[1] ينظر: عون : علي أبو القاسم ، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ج١، دار المدار الاسلامي، بيروت ، ط١، ٢٠٠٦،و شيخون :محمود السيد ،أسرار التقديم والتأخير ، دار الهداية ، ص ٧١، والمطعني: عبد العظيم ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ج ٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ت: ١٩٩٢، ص ١٠٥، و العثيم :خالد محمد ، الأسرار البلاغية في سورة البقرة ، دراسة تطبيقية، ١٩٩٨، وطبانة: بدوي ، معجم البلاغة العربية، دار المنارة جدة، ت:١٩٨٨م، ص ٥٣٣، وضوابط التقديم والتأخير في النحو العربي.

ثانيا: فصول الرسالة

الفصل الأول

الفصل الأول:	**أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الاسم**
المبحث الأول	**اسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم المعطوف على اسم مثله .**
المبحث الثاني	**أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم على الاسم**

الفصل الأول: أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الاسم

المبحث الأول: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم المعطوف على اسم مثله.

اللفظة الأولى (القلب – السمع)

وردت لفظة (القلب) مقدمة على (السمع) في موضعين[1]

قال تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: (٧)

وتقدمت لفظة (السمع) على (القلب) في موضعين[2]

قال تعالى {﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية (٢٣)

إن التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي لألفاظ القرآن الكريم لا يحدث اعتباطا، وإنما لسر بلاغي أراده الله سبحانه وتعالى، وسياق الآيات وترتيبها يظهر ذلك السر البلاغي الدقيق.

ومن ذلك تقديم ختم(القلوب) على ختم (السمع) في سورة البقرة، وتأخير ختم (القلب) على ختم (السمع) في سورة الجاثية. فهل من فرق بين الآيتين، ذلك سؤال يجيب عليه العلماء:

لم يقدم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تعليلا صريحا للمسألة، ويمكن استنتاج السر البلاغي والوصول إلى ذلك من خلال سياق تفسيره للآية.

فذكر أن علة تقديم ختم القلوب على ختم السمع جاءت بسبب شده إعراضهم؛ ولأن الحق لا ينفذ إليها، ولا يخلص إلى ضمائرهم بسبب إعراضهم واستكبارهم عن قبول الحق واعتقاده، إذ إن القلب عنده محل الهداية التي هي من الله سبحانه، ويبدو أن العلة وراء التقديم من خلال سياق شرحه للآية جاءت للعناية والاهتمام بالمتقدم، فالقلب محل العناية

---

[1] وردت في: النحل / ١٠٨

[2] وردت في: الأنعام / ٤٦

والهداية، ولم يذكر علة تقديم ختم السمع على ختم القلب في سورة الجاثية، ولا حتى من خلال تفسيره للآية.[١]

وأشار الرازي(ت ٦٠٦هـ)عند تفسيره آية البقرة إلى أن السمع والقلب مترابطان، فالقلب يتأثر بما يسمعه الإنسان سواء كان ما سمع حسنا أم سيئا، أي أن القلب له مكانة، ومكانته مقدمة على سائر جوارح الإنسان ولذلك قدم لعلة الرتبة والمكانة والشرف.[٢]

ووافق القرطبي (ت ٦٧١ هـ) الرازي فيما ذهب إليه، ويظهر ذلك جليا عندما فسر الآية قال تعالى﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (البقرة ٧)

فذكر أن القلب مفضل على جميع الجوارح ، والجوارح تابعة له، وقد يتأثر بها، وأما علة تقديم ختم السمع على ختم القلب في آية الجاثية فجاءت لعدم استفادتهم وسمعاهم للموعظة والقول الحسن، ومكوثهم في عبادة الاحجار.[٣]

ولم يتطرق البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) لعلة التقديم والتأخير في الآية، بيد أنه بيّن أنهم أعرضوا عن الحق على الرغم من تمكنه في قلوبهم، فكأن قوله فيه شيء من بيان علة تقديم القلوب على السمع، فالقلب كما ذكر محل التأثر والقبول والإعراض ولذلك قدم على السمع [٤]، ولم يشر إلى علة تقديم السمع على القلب في آية الجاثية.

واكتفى النسفي (ت٧١٠ هـ) بتفسير آية البقرة دون التطرق إلى العلة أو السبب من تقديم ختم القلوب على ختم السمع صراحة في آية البقرة، ولكنه ذكر في سياق تفسيره للآية عدم استفادتهم من الوعظ والقول الحسن، فكأنه يشير إلى العلة من تقديم القلب، فالقلب محل

---

[١] ينظر: الكشاف، ١ / ١٦٥

[٢] ينظر: الرازي: فخر الدين محمد بن عبدالله بن عمر التميمي ، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ت: ١٩٨١م، ٢٥/ ٢٧٠

[٣] ينظر:القرطبي: أبو عبدالله بن محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ت: ٢٠٠٦، ١ / ٢٨٤، ٢٨٦

[٤] ينظر : البيضاوي: ناصر الدين أبي الخير الشافعي ا ، أنوا التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ١/ ٤٢،

الاهتمام والعناية؛ لأن الوعظ والقول الحسن يقع في القلب دون غيره[١]، ولم يناقش العلة البلاغية من تقديم ختم السمع على ختم القلب في آية الجاثية.

وذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تعليلا حسنا انفرد به عن غيره لبيان علة تقديم ختم القلوب على ختم السمع في آية البقرة، وعلة ذلك (التقديم بالشرف)، فالقلب أشرف من السمع والبصر وهو المتحكم في هاتين الحاستين.[٢]

ووافق أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) أبا حيان الأندلسي في بيان علة تقديم ختم القلوب على السمع، وأما في آية الجاثية فوافق الرازي، وذكر أن القلب محل الهداية التي هي من الله سبحانه وتعالي مع علمه بها. [٣]

ويرى الزركشي (ت٧٩٤هـ) أن علة تقديم ختم القلوب على ختم السمع والأبصار في آية البقرة جاءت للأهمية، ذلك أن هذه الحواس (السمع والأبصار) تخدم القلب وموصلة إليه.

وأما علة تأخير ختم القلب وتقديم ختم السمع في آية الجاثية فجاءت لعناية ذم المتصامين عن السماع، ومنهم الذين يضعون القطن على آذانهم حتى لا يسمعوا[٤]، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾الجاثية: (٧ ، ٨)

وذكر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) أن العلة من تقديم ختم القلوب على ختم السمع في آية البقرة، جاءت لتسوية الإنذار وتسويتهم بالبهائم من عدم استفادتهم بالإنذار، ودليل ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة : ٦)

---

[١] ينظر :النسفي: أبو البركات عبدالله بن أحمد ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بدوي ومحي الدين، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ت: ١٩٩٨م

[٢] ينظر : أبو حيان الأندلسي : محمد بن يوسف ، البحر المحيط، تح: عادل أحمد وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ت: ١٩٩٣، ١/ ١٧٧

[٣] ينظر :أبو السعود : محمد الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د. ط، ١/ ٣٧

[٤] ينظر: الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله ، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث القاهرة، ت: ٢٠٠٦، ص ٧٨٤

وأما العلة من تقديم ختم السمع على ختم القلب في آية الجاثية فجاءت للاهتمام والعناية؛ لأن الله تعالى أخبر في الآية عن الإضلال، والضال عن الهداية أحوج شيء إليه السماع.[١]

أي أن الغرض البلاغي للتقديم هو العناية والاهتمام، وربما لمناسبة سياق الآيات التي تتحدث عن ضلال الإنسان.

وأشار السيوطي (ت٩١١هـ) إلى علة تقديم ختم القلوب على ختم السمع في آية البقرة، فذكر أن القلوب محل العقل والعلم والفهم، وأما في آية الجاثية فيرى أن علة تقديم ختم السمع على ختم القلب، ذلك لما كانت الأسماع مجوفة كان إسناد الختم إليها أولى.[٢] أي أنهم لم يستفيدوا من سماع الموعظة والقول الحسن، فكأن سمعهم مجوف لا فائدة منه.

وتطرق الألوسي (ت١٢٧٠هـ) إلى العلة من تقديم ختم القلوب على ختم السمع في آية البقرة، فذكر أنها جاءت بسبب اقتراف المعاصي وعدم الإيمان بالله، وأن القلب هو العضو الرئيس الذي منشأه الحرارة الغريزية الممددة للجسد كله، ويكنى بصلاحه وفساده، والرسول (ﷺ) يقول: (ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)، والمضغة هذه محل العلم والهداية، فهم لم يستفيدوا من الإنذار الواقع على القلوب دون الاسماع، ولذلك ناسب تقديم القلوب على السمع في آية البقرة؛ لأنه محل الإيمان والسمع والأبصار، وهذا ما ذهب إليه الزركشي الذي يرى أن الحواس (السمع والبصر) تخدم القلب.

وأما علة تقديم ختم السمع على ختم القلب في آية الجاثية (ختم الله على سمعه وقلبه) فجاءت لعدم المبالاة بالمواعظ، ولذلك جاءت الفاصلة (أفلا تذكرون)،فكان من المناسب هنا تقديم السمع على القلب.[٣]

---

[١] ينظر:البقاعي: أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ١/ ٩٧

[٢] ينظر: السيوطي: جلال الدين، قطف الأزهار وكشف الأسرار ، تح: أحمد محمد الحّمادي، وزارة الأوقاف والشئوون الدينية، قطر، ط ١، ت: ١٩٩٤، ١ / ١٨٢، ١٨٣

[٣] ينظر: الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ١ / ٣٥

وعلل فاضل السامرائي سبب تقديم ختم القلوب على ختم السمع في سورة البقرة، ذلك لأن سبحانه وتعالى ذكر القلوب المريضة ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(البقرة: ١٠) وأيضا ذكرت سورة البقرة أصناف الكافرين من هم أشد ضلالا وكفرا ممن ذكرتهم آية الجاثية قال تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(البقرة: ٦) فالإنذار وعدمه عليهم سواء وميؤوس من إيمانهم.

وأما بيان علة تقديم ختم السمع على ختم القلب في آية الجاثية، فوافق الألوسي في ذلك. [١]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

– ذكر السيوطي في بيان علة تقديم ختم القلوب على السمع للمكانة والرتبة ولتناسب السياق، وهذا جيد وحسن.

– أفاد الزركشي من مقولة سيبويه المشهورة أن التقديم والتأخير يكون للعناية والاهتمام، ويوافق الباحث ما ذهب إليه الزركشي؛ لأن الحواس (السمع والأبصار) تخدم القلب ولهذا قدم ختم القلوب على ختم السمع.

– أفاد الألوسي من رأي الزمخشري والبيضاوي في أن القلب محل للإيمان والهداية والوعظ.

– يختار الباحث ما ذهب إليه أبو حيان ألأندلسي في بيان علة تقديم القلب على السمع؛ لأن القلب محل الهدى والضلال وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر؛ لأنها خادمة له، فإذا صلح القلب صلحت سائر الأعضاء وإذا فسد القلب فسدت سائر الأعضاء، فالمكانة والشرف تميز بهما القلب عن سائر الجوارح.

– ويرى الباحث في مسألة تقديم ختم السمع على ختم القلب في آية الجاثية رأيا آخر غير ما ذكر، فسورة الجاثية تكلمت عن فئة بعينها الذين يتخذون العبادة بأهوائهم فناسب ذلك تقديم ختم السمع على ختم القلب، لأنه سمع التعقل ووسيلة للفهم، وهم لم

---

[١] ينظر: السامرائي : فاضل صالح ، التعبير القرآني، دار عمار ن عمان الأردن، ت: ١٩٩٨ ، ص ٦٤

يستفيدوا من الوعظ الذي سمعوه، فكأن سمعهم مجوف لا فائدة منه، بل إنهم استكبروا وتعنتوا في ذلك، إذن ترتيب المواقف والآيات ناسب تقديم ختم السمع على ختم القلب في سورة الجاثية، أي أن التقديم هنا جاء لعلة تناسب السياق والآيات مع المواقف، إذ جاءت مرتبة وفق الأحداث.

اللفظة الثانية: (صم – عمي)

وردت لفظة (الصم) مقدمة على (العمي) في موضعين.[1]

قال تعالى ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾(البقرة: ١٨)

وتقدمت لفظة (العمي) على لفظة (الصم) في موضع واحد.

قال تعالى ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ ﴾(الإسراء:٩٧)

إذا تأملنا الآيتين السابقتين، نجد أن لفظة الصم التي هي ضد االسمع تقدمت على العمي التي هي ضد الإبصار في آية البقرة، وتأخرت في آية الإسراء، ولمعرفة السر البلاغي وراء ذلك التقديم والتأخير، وقف الباحث على كتب العلماء الذين اهتموا بالمتشابه اللفظي ، فمن العلماء من لم يربط بين هاتين المفردتين (العمي) و(الصم) من حيث التقديم والتأخير، ومنهم علل التقديم والتأخير وجاءت توجيهاتهم كالآتي:

جاء توجيه الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) للمسألة توجيها عاما، ولم يتطرق لعلة التقديم والتأخير في آية البقرة، وذكر أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، عقب ذلك بهذا التمثيل؛ ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها وطُبع بها على قلوبهم وأذهب الله نورهم.

وأما في آية الإسراء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ ﴾ (الإسراء: ٩٧) فذكر كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامّون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقرّ أعينهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم، قال تعالى ﴿مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ ﴾ (الإسراء:٧٢) ويظهر من خلال سياق تفسيره للآية أن تقديم العمي على الصم جاء مناسبا

---

[1] وردت في: سورة البقرة / ١٧١

ومتماشيا مع المقام والسياق، فالسياق يتحدث عن موقف عظيم وشديد عليهم، وهو موقف يوم القيامة ومشاهدة النار وأهوالها، والمقام مقام عقوبة وعذاب ومقام انتقال من مقام إلى آخر لذلك تقدمت العمي على الصم.[1]

نخلص من هذا أن الغرض من التقديم جاء للمناسبة، مناسبة حالهم ومنظرهم عند رؤية النار وأهوالها لأول مرة، فكأن حواسهم تسلب منهم لهول المنظر.

وأما الرازي (ت ٦٠٦هـ) فذكر أن علة تقديم الصم على العمي في آية البقرة جاءت لمناسبة حال المنافقين في الدنيا، وعدم انتفاعهم بسماع الوحي، فصاروا مثل الأصم فلم يتكلموا بالإيمان ويشهدوا بالحق، فترتب على ذلك عمايتهم في طريق الضلال قال تعالى:﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾(البقرة :١٨) وذكر أنهم صاروا بمنزلة الصم، كأنهم لم يسمعوه، وبمنزلة البكم لعدم استجابتهم لما دعوا إليه، وبمنزلة العمى من حيث أنهم أعرضوا عن الدلائل فصاروا كأنهم لم يشاهدوها، لذلك جاءت العلة لمناسبة ما يقتضيه المقام والسياق.

وذكر في آية الإسراء أن علة تقديم العمي على الصم، ذلك لأنهم عمي لا يرون شيئاً يسرهم، صم لا يسمعون شيئاً يسرهم، بكم لا ينطقون بحجة، لذلك جاءت علة التقديم مناسبة وموافقة لهول وعظم ما يرون ويشاهدون، فهم أول ما يدخلون يشاهدون العذاب، ولكن لهول الموقف أصحبوا عميا لا يرون شيئا يسرهم. [2]

وللقرطبي (ت ٦٧١هـ) لفتة بيانية جميلة، إذ ذكر أن الترتيب وتقديم العمي على الصم في سورة الإسراء جاء مناسبا لزيادة العذاب عليهم، ولشده هول ما شاهدوا حين دخول النار.[3]

وجعل البيضاوي (ت ٦٩١هـ) مناسبة السياق علة التقديم في آية البقرة؛ لأنهم لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم، جُعِلُوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم، لعدم استفادتهم من الوعظ والكلمة

---

[1] ينظر:الكشاف: ١/ ١٩٠ و ٤ / ٥٥٤

[2] ينظر: مفاتيح الغيب ، ١ / ٨٤

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، ١٣ / ١٧٩

الحسنة حسب ما ذكرت الآيات السابقة، فهم اشتروا الضلالة بالهدى فناسب التقديم المقام والسياق.

وأما في آية الإسراء قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ (الإسراء: ٩٧) فكرر ما ذهب إليه الزمخشري، فتقديم العمي على الصم جاء مناسبا و متماشيا مع السياق ومناسبا له فبدأ فالعمي؛ لأن الموقف في الآخرة ليس كما هو في الدنيا فهنا يبصرون قبل سمعهم لكنهم لا يبصرون ما تقر أعينه.[١]

وكرر النسفي (ت ٧١٠هـ) ما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي في تفسيرهما للآيتين، وذكر أن الغرض من التقديم من خلال سياق تفسيره هو لمناسبة السياق، فالموقفان مختلفان، لذلك السياق حتم هذا التقديم .[٢] وتبعه في ذلك أبو حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ). [٣]

وذهب البقاعي (ت٨٨٥هـ) في تعليل مسألة تقديم الصم على البكم في آية البقرة جاء للأهمية والمكانة؛ لأنه عمدة والمقام مقام إجابة الداعي إلى الإيمان، ثم ثنى بالقول لأنه يمكن للأصم الإفصاح عن المراد ثم بالبصر إمكانية الاهتداء.

وأما في آية الإسراء المقام هنا مقام انتقال من الدنيا إلى المحشر، فقدم البصر؛ لأنه عمدة في ذلك ولهول المقام يظهر ويرى كل إنسان حاله ومصيره في ذلك الموقف.[٤]

وتطرق الألوسي (ت١٢٧٠هـ) إلى العلة من تقديم الصم على العمي في آية البقرة، فذكر أن الصم قدموا، ذلك لأنه إذا كان خلقيا يستلزم البكم وأخر العمى؛ ذلك لأنه شامل لعمى القلب الحاصل من صرف المبصرات والحواس الظاهرة، ولو قدم لأوهم تعقله بـ(لا يبصرون)؛ لأنه بداية يسمع دعوة الحق ثم يجيب ويعترف ثم بعد ذلك يتأمل ويتبصر، ولذلك جاء التقديم مناسبا لعلة المقام والسياق، وأما في آية الإسراء فذكر أنهم عندما يرون النار وأهوالها لا يرون شيئا يسرهم ولا يسمعون ذلك ولا ينطقون بحجة كما كانوا في الدنيا " فالتقديم أيضا ناسب الموقف والحالة التي هم عليها. [٥]

---

[١] ينظر: أنوار التنزيل واسرار التأويل ٣/ ٢١٢

[٢] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ١ / ٥٦، ٣ / ٢٧٩

[٣] ينظر: البحر المحيط ، ١/ ١٠٨، ٦/ ٦٤

[٤] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ١ / ١١،١٢١ / ٥١٧

[٥] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ١/ ١٦٩، ١٥ / ١٧٦

وعبد العظيم إبراهيم المطعني له رأي جميل في بيان علة تقديم العمي على الصم في آية الإسراء، فذكر أن تقديم العمى الذي هو ضد الإبصار، وتأخير الصم الذي هو ضد السمع، جاء لعلة مناسبة الحشر على الوجوه؛ لأن من ألقي على وجهه ثم سحب عليه لم يبصر منه شيئا، ولم يستطع أن يتكلم بكلام مسموع، فتأخذه دهشة الهول فلا يكاد يسمع مما حوله شيئا وعلى هذا النسق العجيب جاءت الآية الحكيمة.[1] أي أن التقديم جاء مناسبا لحالتهم.

وذهب منير محمود المسيري إلى أن الغرض من تقديم الصم على العمي في آية البقرة، جاء للمناسبة والتوافق مع حال إعراضهم وعدم انتفاعهم بسماع الوحي، فصاروا مثل الأصم، ثم لم يتكلموا بالإيمان ويشهدوا بالحق، فترتب على ذلك عمايتهم في طريق الضلال، ويرى أن الغرض من تقديم العمي على الصم في آية الإسراء جاء مناسبة للحالة التي هم عليها من الهول والخوف من مشاهد النار وعذابها، ففقد البصر أشد إيلاما من فقد السمع.[2]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال تفسير الزمخشري لآية البقرة الآتي:

- التقديم جاء للمناسبة؛ لأن التقديم ناسب السياق والمقام للآيات السابقة، فالآية نزلت في المنافقين، وأخبر الله تعالى في بداية سورة البقرة عن أحوالهم مع الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومع القرآن الكريم، وبيَّن حقيقة مواقفهم منهما، وكشف عن خفايا صدورهم، وفضح نفاقهم، وأراد سبحانه وتعالى كشف حقيقتهم المكنونة كشفًا تامًا، فأتبعها بضرب هذا المثل، زيادة في التوضيح والبيان، فتبيّن تمسكهم و عنادهم عن سماع الهدى، فبدأ بالصم لعدم سماعهم الهدى، ثم البكم لعدم تمكنهم من الجواب، وأخّر العمي؛ لأنهم إذا لم يسمعوا ولم يبصروا طريق الهدى.
- وافق البقاعي من سبقه من المفسرين في تعليله لمسألة التقديم والتأخير.

ويختار الباحث ما ذكره عبد العظيم المطعني في علة تقديم الصم الذي هو ضد السماع على العمي الذي هو ضد الإبصار في سورة البقرة،التي جاءت لأجل مناسبة سياق الآيات

---

[1] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١١٢

[2] ينظر : المسيري :منير محمود ، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ت ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥، ص ١٨٠

وفي غاية الإحكام؛ لأن بداية ضلال المنافقين كانت حينما أصاخوا بسمعهم عن آيات الله التي تتلى عليهم.

وأما علة تقديم العمي على الصم في آية الإسراء فجاءت لتغير الصورة، فالسماع هنا لن ينفعهم، والعمى أشد عليهم مشقة في ذلك اليوم، عند ذلك قدم العمي على السماع لهول الموقف في ذلك اليوم، الصورتان إذن في كلتا الآيتين مختلفتان، لذلك ورد ذلك التقديم حتى يكونا موافقين مع سياق الآيات التي سبقت كل من الآيتين في كل سورة.

اللفظة الثالثة (النصارى – الصابئون)

وردت لفظة (النصارى) مقدمة على (الصابئين) في موضع واحد في سورة البقرة.

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾البقرة:(٦٢)

وتقدمت لفظة (الصابئون) على (النصارى) في موضعين اثنين. [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ المائدة: (٦٩)

إن موقف العلماء من التقديم والتأخير في لفظتي (الصابئون والنصارى) على ما ورد في الآيات التي تقدم ذكرها يتجلى للباحث في الآتي:

رأى الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ) أن الغرض من تقديم لفظة النصارى على الصابئين في آية البقرة جاء لعلة الترتيب، ترتيب الطوائف الثلاث بحسب الكتب السماوية المنزلة عليها؛ ولأن طائفة الصابئين ليس لهم كتاب سماوي فجاؤوا متأخرين.

وأما في آية المائدة، فالغرض من تقديم الصائبين على النصارى جاء لأجل السبق بالزمن؛لأنهم كانوا قبل النصارى في الوجود.[2]

ووافقه الكرماني (ت٥٠٥هـ) في ذلك، وأشار إلى الغرض البلاغي من التقديم والتأخير في كلا الموضعين، ففي آية البقرة ذكر أن الغرض البلاغي من تقديم النصارى

---

[1] الحج / ١٧

[2] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ، ١/ ٢٣٥

على الصابئين جاء لأجل الرتبة والترتيب؛ ولأنهم أهل كتاب ، وأخّر الصابئين؛ لأنهم لا كتاب لهم، وأما في آية المائدة فقُدِم الصابئون على النصارى؛ لسبق في الزمن فهم قبل النصارى في الوجود.[١]

ووافق الخطيب الإسكافي أيضا في ذلك ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)[٢]،والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[٣] ، وزكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) [٤]، و صالح عبدالله الشتري.[٥]

وللزمخشري (ت ٥٠٥ هـ) لفتة معنوية جميلة وراء تقديم وتأخير اللفظتين، فذكر أن علة تقديم الصابئين على النصارى في آية المائدة جاءت لفائدة التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح ، ذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا.[٦]

ووافق النسفي (ت ٧١٠هـ) ما ذكره الزمخشري في الغرض البلاغي وراء التقديم والتأخير لهاتين اللفظتين.[٧]

وسار الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) على نهج الزمخشري فذكر أن الغرض وراء تقديم لفظة الصابئين على النصارى في آية المائدة، جاء لعلة التنبيه على تعجيل الإخبار والإعلام بشمول فصل القضاء بينهم، وأنهم أمام عدل الله يساوون غيرهم. [٨]

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان ، ص ٧٥

[٢] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي ، ص،٢٢٠

[٣] ينظر : الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، بصيرة (الم)، ١/ ١٤٤

[٤] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن ، ص ٣١،٣٠

[٥] ينظر: الشتري : صالح عبدالله ، المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ت: ١٤٢٥هـ

[٦] ينظر: الكشاف ٢٧٣/٢

[٧] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ٢/ ٤٦٣

[٨] ينظر : ابن عاشور : الطاهر ، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، ت: ١٩٨٤، ٣ / ٢٦٩

وأما ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) فله لفته بلاغية جميله انفرد بها عمن سبقه في تقديم لفظة النصارى على الصابئين في آية البقرة، فذكر أن علة التقديم، جاءت لأجل الفضل والشرف، فالنصارى أهل كتاب فهم أفضل وأشرف من الصابئين،ولذلك تقدموا عليهم.

وأما في آية المائدة فوافق من سبقه في بيان الغرض البلاغي من التقديم، فالغرض كما ذكر الخطيب الإسكافي والكرماني هو السبق بالزمن، أي أن الصابئين أسبق في الوجود من النصارى.[١]

وكرر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ما ذهب إليه ابن جماعة من بيان علة تقديم النصارى على الصابئين في آية البقرة، وهو التقديم بالشرف، فالنصارى أهل كتاب، والصابئون لا كتاب لهم.[٢]

ووافق عبد العظيم المطعني[٣]، وأبو القاسم عون [٤] (ابن جماعة) في مسألة تقديم وتأخير لفظتي النصارى والصابئين في آيتي البقرة والمائدة، فذكرا أن الغرض من تقديم النصارى على الصابئين في آية البقرة جاء كونهم أفضل وأشرف، وهم أهل كتاب، وأما الغرض من تقديم الصابئين على النصارى فجاء بسبب سبقهم في الزمن.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجهاتهم اختلاف العلماء في ذكر السر البلاغي وراء تقديم النصارى على الصائبين في آية البقرة.

فأغلب من نافش هذه المسألة كانت العلة عندهم الرتبة والترتيب، ومنهم من نظر إلى السياق، وآخرون ذكروا أن علة التقديم جاءت لأجل الشرف والفضل والمكانة والأهمية، وسبقهم في هذه العلة سيبويه(ت١٨٠ هـ) الذي يُعد المنظر الأول لبيان علة التقديم والتأخير، فذكر في الكتاب مقالته المشهورة " كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، و إن كانا جميعا يُهمانِهم و يعنيانِهم "[٥]

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ٣٤، ص ١٠١

[٢] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار لجلال الدين السيوطي، ص ٢٦٦

[٣] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، ٢/ ١٦٠

[٤] ينظر : بلاغة التقديم والتأخير ، ٣ / ٩٤٩

[٥] ينظر: الكتاب، ١ / ٣٤

ويرى الباحث أن سياق الايات التي ذكرت بعد آية المائدة تتناول ذم معتقدات النصارى الذين شككوا بالتوحيد ولم يؤمنوا به، ولأن المذموم يذكر متأخر فاقتضي سياق الآيات في آية المائدة ذكر النصارى متأخرين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٣)، ولم تذكر آيات البقرة هذا الأمر لذلك قدم النصارى على الصابئين.

اللفظة الرابعة:(شفاعة، عدل)

وردت لفظة (شفاعة)على لفظة مقدمة (عدل) في موضع واحد في سور البقرة.

قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨)

وتقدمت لفظة (عدل)على لفظة (شفاعة) في موضع واحد في سورة البقرة.

قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ١٢٣)

هاتان الآيتان تتحدثان عن يوم القيامة ونزلتا في بني إسرائيل، ووقف عندهما كثير من المفسرين، وممن صنفوا في متشابه القرآن، واضعين نصب أعينهم البحث عن السر البلاغي وراء تقديم وتأخير لفظتي (العدل والشفاعة) في كلتا الآيتين.

بين العلماء سر التقديم والتأخير بين اللفظتين كالآتي :

ذكر الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ) أن الإنسان في الدنيا يبحث عما يخلصه من المحن والشدائد، فيبدأ بالبحث عن النفس المجازية، ثم ينتقل إلى الشفاعة وبعدها إلى الفدية وأخيرا طلب النصرة، ولهذا أراد سبحانه أن يقطع الأمل عن بني إسرائيل لزعمهم أن آباءهم وأصنامهم تشفع لهم يوم القيامة عند الله، ولذلك قدمت الشفاعة على الفدية في الآية الأولى لتناسب السياق والحال والمقام .

وأما في الآية الثانية فقدمت الفدية التي هي العدل على الشفاعة من باب قطع الأمل عليهم، وأما التكرار فغرضه الحث على تذكر النعمة وتحذر من الإعراض عن الله ورسوله.[١]

وكرر الكرماني (ت٥٠٥ هـ)[٢]، والفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)[٣] ما ذكره الخطيب الإسكافي من بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين.

فتقديم الشفاعة في الآية الأولى جاء لقطع زعمهم أن أصنامهم تشفع لهم يوم القيامة عند الله، وتقديم نفي الفدية في الآية الأخرى جاء ليكون لفظ القبول مقدما فيها، والشفاعة في كلا الموضعين لا تقبل منهم ، ولذلك ناسب التقديم سياق المقام والحال.

وللزمخشري (ت ٥٣٨هـ) لفتة بلاغية جميلة في شرح وتفسير الآيتين، فهو يضع عوده الضمير للنفس في (منهما) العلة وراء التقديم والتأخير.

فذكر أن الضمير في الآية الأولى يحتمل أن يعود على النفس المجرمة، ولذلك قدمت الشفاعة، وأما في الآية الثانية فيحتمل أن يعود الضمير في (منهما) على النفس المجازية، ولأجل هذا قدمت الفدية على الشفاعة. [٤]

السياق إذن وعودة الضمير للنفس في لفظة (منهما) كانا علة تقديم لفظتي (العدل والشفاعة) في كلتا الآيتين، فسياق الآيات وترتيبها ومقامها حتم هذا التقديم في كلتا اللفظتين.

وخالف ابن جماعة (ت٧٣٣ هـ) الزمخشري في القول بعودة الضمير (منهما) فيرى أن الضمير في الآية الأولى يعود على النفس المجازية؛ ذلك لأن الشافع يقدم الشفاعة على المال، غير أن تلك النفس لا يُقبل منها شفاعة.

وأما في الآية الثانية فالضمير يعود على النفس المجرمة فهي تفتدي نفسها من الهلاك بالمال ، التقديم إذن في كلتا الآيتين جاء مناسبا لسياق الآيات.[٥]

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ، ١ / ٢٢٦

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي ، المسألة ١٤، ص ٧١، ٧٢

[٣] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (ألم)، ١ / ٤٢

[٤] ينظر: الكشاف، ١ / ٢٦٦

[٥] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ٢٧، ص ٩٥

ووافق الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ابن جماعة في بيان العلة وراء التقديم والتأخير للفظتي (شفاعة وعدل) في كلا الموضعين، ويضيف لفتة بيانية جميلة، وهي أن لفظة الشفاعة قدمت لاحتقار المذنب وعدم الاحتفاء به، والمذنب هنا هم بنو إسرائيل.[١]

وجعل الرازي (ت ٦٠٦ هـ) جوابه على المسألة مرتبط (بالميل) أي من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس، فإنه يقدم التمسك بالشفاعة على إعطاء الفدية، لذلك تقدم ذكر الشفاعة في الآية الأولى، ومن كان ميله إلى علو النفس أشد من ميله إلى حب المال، فإنه يقدم ذكر الفدية وهذا ما نجده في الآية الثانية من تقديم العدل.[٢]

وخالف أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥ هـ) الرازي في ترتيب لفظتي (العدل والشفاعة) ووافقه في بيان العلة وراء التقديم، إذ يرى أن الأمر اختلف عند الناس في الشفاعة والفدية، فمن يغلب عليه حب النفس والرياسة قدم الشفاعة على الفدية، ومن يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعة، ففي الاية الأولى بُدئ بالشفاعة؛ لأن ذلك أليق بعلو النفس، وفي الآية الثانية بُدئ بالفدية لحب المال.[٣]

ووافق الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) أبا حيان في تعليله للمسألة، فكرر ما ذكره أبو حيان في بيان علة تقديم لفظتي الشفاعة والعدل في كلا الموضعين.[٤]

وابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) جعل لما يقتضيه السياق من أحوال، العلة وراء تقديم لفظتي (الشفاعة والعدل) في كلا الموضعين.

ففي الآية الأولى سبقتها آيات تحث بني إسرائيل على التمسك بالبر، ومن تمسك بالبر سلم من العصيان وبالتالي النجاة من العذاب يوم القيامة، ولتوهم بنو إسرائيل بشفاعة من أمروهم بهذا الأمر، نفى الشفاعة عنهم، فناسب تقديم الشفاعة لسبق ما يقتضي تقديمه، ولم يتقدم ذكر البر والتمسك به في الآية الثانية لذلك تأخر ذكر الشفاعة.[٥]

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٩٤

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب، ٣/ ٥٨

[٣] ينظر: البحر المحيط ، ١ / ٣٥٠

[٤] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن ، ص ٢٤

[٥] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي ، ص ١٩٦

ووافق محمد فاضل السامرائي ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي من بيان علة التقديم في كلا الموضعين.[١]

وأشار الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) إلى لفتة بيانية جميلة انفرد بها عمن سبقة، وأشار إليها بلمحة بسيطة خاطفة في سياق شرحه للآيتين ، وهي (التيئيس والتحقير)، فعلة تقدم (نفي الشفاعة) في الآية الأولى؛ جاءت لعدم قبول شفاعة من نفس ولا عدل تأتي به يوم القيامة؛ لأن المقصود هو ابطال عقيدة تتصل المجرم من عقاب الله، ولذلك العلة وراء التقديم هي التيئيس والتحقير.

وأما في الآية الثانية فتقدم ذكر (نفي قبول الفدية)، وهذا من باب التفنن في الكلام ولتنفي سآمة الإعادة.[٢]

ووافقه في ذلك عبدالعظيم المطعني وزاد عليه (قطع الرجاء على بني إسرائيل يوم القيامة من طلب الشفاعة وتقديم الفدية).[٣]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماءالسابقة الآتي:

انقسم العلماء في بيان العلة والغرض البلاغي وراء تقديم لفظتي (العدل والشفاعة) في كلتا الآيتين.

فمن العلماء من جعل الغرض البلاغي للتقديم (المناسبة وترتيب السياق)، ومنهم من جعل(التناسب والتناسق بين اللفظ والمعني)هو العلة والسبب وراء التقديم والتأخير، ومنهم من جعل (التيئيس وقطع الرجاء والتحقير) الغرض البلاغي وراء التقديم ، وأضاف ابن عاشور التنبيه.

لم يخالف الزمخشري ابن جماعة والزركشي مخالفة قطعية في رأيهم بعودة الضمير في لفظة (منهما)، لأنه ذكر (يحتمل)، فهو لم يقطع قوله، ولذلك يمكن القول (إن رأيه موافق لرأيهم).

---

[١] ينظر : السامرائي: محمد فاضل ، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في ملاك التأويل للغرناطي، ص١٩٣

[٢] ينظر: التحرير والتنوير ، ١ / ٤٨٦

[٣] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١٩٤

انفرد الطاهر بن عاشور بلفتة بيانية جميلة في بيان علة تقديم نفي الشفاعة، ويختار الباحث ما ذهب إليه الرازي ، فالتناسب والتناسق بين اللفظ والمعنى في السياق، وما يقتضيه ذلك السياق من تقديم وتأخير كان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين، فالطبيعة البشرية تطلب وتميل إلى حب المال، لذلك من الطبيعي أن تقدم الشفاعة على المال خوفا من ضياعه، وفئة قليلة من الناس تميل إلى علو النفس، ولذلك تفديها بالمال لتحافظ على هذه النفس وعلوها.

اللفظة الخامسة: (سجدا – حطة)

وردت لفظة (سجدا) مقدمة على لفظة (حطة) في سورة البقرة في موضع واحد.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ٥٨)

وتقدمت لفظة (حطة) على لفظة (سجدا) في سورة الأعراف في موضع واحد.

قال تعالى﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦١)

إن موقف العلماء من التقديم والتأخير في (سجدا – حطة) على ما ورد في الآيات التي تقدم ذكرها يتجلى للباحث في الآتي:

من الخير بداية أن أذكر سياق اللفظتين حتى تتضح العلة والسبب وراء التقديم والتأخير أكثر.

سياق الآيات في سورة البقرة دل على التكريم لبني إسرائيل، فذكر أموراً كثيرة في مقام التكرّم والتفضّل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ٤٩) وقوله تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(البقرة٤٧)

وأما سياق الآيات في سورة الأعراف فذكر ذنوب بني إسرائيل ومعاصيهم،والمقام هنا مقام تأنيب وتقريع لبني إسرائيل قال تعالى﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨) والفاء في قوله (فأتوا) تفيد المباشرة أي بمجرد أن أنجاهم سبحانه وتعالى من الغرق أتوا على قوم يعبدون الأصنام، فسألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً كمثل هؤلاء القوم.

ونخلص إلى أن السياقين مختلفان، ففي آية البقرة دل على التكرّم والتفضّل لبني إسرائيل، وأما في آية الأعراف فدل على تأنيبهم وتقريعهم.

ولننظر الآن إلى موقف المفسرين وعلماء المتشابه اللفظي الذين سألوا عن سر الاختلاف بين الآيتين بالتقديم والتأخير.

أرجع الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ) تقديم لفظتي (سجدا وحطة) في آيتي البقرة والأعراف إلى أن القرآن حكى المعنى دون اللفظ، وما يدل على ذلك أن لغتهم غير العربية، وما دام كذلك فلا غرابه أن نجد هذا الاختلاف في التقديم والتأخير.[١]

وعلل الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تقديم لفظتي (سجدا وحط) وتاخيرهما في كلا الموضعين بعدم التناقض بين الآيتين، وذكر أن لا بأس إذا اختلفت العبارتان إذا لم يكن هناك تناقض، وحجته في ذلك الجمع بين القول بالحطة، والدخول ساجدين دون الأخذ بأهمية الترتيب،أي أن الترتيب لا أهمية له إذا لم يكن هناك تناقض؛ لأنهم بحسب قوله جامعون في الإيجاد بينهما.[٢] ، ووافق أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) الزمخشري فيما ذهب إليه.[٣]

وأشار الرازي (ت ٦٠٦هـ) إلى علة التقديم، فالعلة في كلا الموضعين جاءت لأجل التنبيه والتعظيم وإظهار الخضوع والخشوع لله تعالى. [٤]

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١/ ٢٣٨

[٢] ينظر: الكشاف، ١ / ٢٧٢

[٣] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١/ ١٠٤

[٤] ينظر: مفاتيح الغيب ، ١٥ / ٣٨

وذكر أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥ هـ)[١]، والبقاعي (ت ٨٨٥ هـ)[٢] والألوسي(ت ١٢٧٠هـ)[٣] أن علة التقديم في كلا الموضعين جاءت لمناسبة السياق، سياق ما تقدم من آيات، فالسياق اقتضى ذلك التقديم.

وفسر الباحث كلامهم من خلال النظر في السياق، كالآتي:

في آية البقرة تقدمت هذه الآية آيات دلت على النعم التي كان عليها بنو إسرائيل، ومن الخير أن أذكر بعض هذه الآيات قال تعالى﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ البقرة: (٥٧)وبعد ما أنعم الله عليهم، طلب منهم دخول الباب سجدا له، ثم أمرهم أن يقولوا بما يمحوا الذنوب، لذلك ناسب تقديم الأمر بالدخول على القول بالحطة لأن الفعل دال على الخضوع.

وأما في آية الأعراف فيحتمل أن يكون بعضهم مذنبا، ومن كان مذنبا اشتغل بحط الذنب عن العبادة، فكان التكليف أن يقولوا أولا حطة ثم الدخول سجدا، فناسب تقديم وتأخير اللفظتين السياق والمقام، وإضافة لما ذكره الرازي من بيان علة التقديم فإن له لفتة بيانية جميلة انفرد بها عن غيره، وهي أن التقديم في آية البقرة جاء من أجل التعظيم لله تعالى وإظهار الخضوع والتنبيه، ووافقه في ذلك محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤ هـ) . [٤]

ولابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨) هـ لفتة معنوية جميلة فذكر أن تقديم الأمر (بالسجود) على القول (بالحطة) في آية البقرة جاء من باب الدعاء حتى يتحقق القول بالحطة في حال السجود، ولأن السجود يسبق ويتقدم البدء بالدعاء. [٥]

---

[١] ينظر: البحر المحيط ٦ / ٣٣٠

[٢] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ١ / ٣٩٤

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ١/ ٢٦٧

[٤] ينظر: رضا : محمد رشيد ، تفسير المنار ، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت: ١٣٥٤ هـ، ١٩٩٠ م، ٩/ ٣١٣

[٥] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي ، ص ٢٠٥

وذكر ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)[١]،وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)[٢] تعليلا حسنا لعلة التقديم، فتقدمت لفظة (السجود) على لفظة (حطة) في آية البقرة، ذلك لأن الله تعالى افتتح الآيات بذكر النعم، قال تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(البقرة:٤٧)وهذا يفرض شكر النعمة، والسجود من ضمن وسائل الشكر.

وأما في آية الأعراف فقدم لفظة (حطة) على لفظة (السجود) ذلك لأن الآيات في آية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخ وتقريع لهم؛ لأنهم أذنبوا، قال تعالى﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)

التقديم إذن ناسب السياق والمعنى بسبب كفرهم، ووافقهما عبد العظيم المطعني في ذلك.[٣]

وأرجع الزركشي (ت ٧٩٤هـ)[٤]،والطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)[٥] وعلي أبو القاسم عون[٦] هذا الاختلاف بين الآيتين في التقديم والتأخير إلى التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على أساليب مختلفة ومتنوعة.

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ٢٩، ص ٩٦

[٢] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار ، ١ / ٢٥٧

[٣] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١٥٢

[٤] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٨٠٥

[٥] ينظر: التحرير والتنوير ، ١/ ٥١٢

[٦] ينظر : بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ٣ / ٩٦٢

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- أغلب العلماء تجلى موقفه ورأيه وراء تقديم وتأخير هاتين اللفظتين بالاعتماد على سياق اللفظتين والآيات التي سبقتها.
- أغلب العلماء ذكر أن العلة وراء تقديم وتأخير اللفظتين في كلا الموضعين المناسبة (مناسبة السياق للمعنى)، وتقديم سبق ما تقتضي تقديمه، أي أن السياق اقتضى ذلك التقديم، وبعضهم قال من أجل تعظيم الله سبحانه وتعالى وإظهار الخضوع له، وبعضهم اهتم بالمعنى دون اللفظ أي الاهتمام والعناية بالمعنى، وآخرون ذكروا أن السبب من باب التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على أساليب مختلفة، والبعض منهم أرجع السبب وراء تقديم السجود على الحطة في آية البقرة لأهمية السجود وتقدمة على القول بالحطة وهذا رأي الغرناطي.
- رأي ابن الزبير الغرناطي في بيان علة تقديم الأمر (بالسجود) على القول (بالحطة) في آية البقرة حسن؛ لأن من عادة العرب أن تبدأ بالمهم ثم المهم جدا وهكذا، فالسجود أهم من الدعاء، وبدا للباحث أنه أفاد من مقولة سيبويه المشهورة.
- الإسكافي ذكر أن التقديم جاء من أجل اهتمامه بالمعنى دون اللفظ، وذكر أنهم خوطبوا بغير العربية، فحكاية اللفظ زائلة ويبقى المعنى، وبالمقابل كان مخيرا بأي لفظ أراد تأدية المعنى، ولا يوافق الباحث ما ذهب إليه الإسكافي؛لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين وهو في غاية الدقة، وقد أُمرِنا أن نتدبر القرآن في ألفاظه ومعانيه معا لما فيهما من الإعجاز البياني.
- ويختار الباحث ما ذهب إليه ابن جماعة، فسياق الآيات يفرض تقديم وتأخير اللفظتين في كلا الموضعين.

اللفظة السادسة: تقديم وتأخير (السماء على الأرض).

وردت لفظة (السماء) مقدمة على لفظة (الأرض) في مائة وستة وثمانين موضعا في القرآن الكريم.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(سبأ٣)

وتقدمت لفظة (الأرض) على لفظة (السماء) في سبعة مواضع.[2]

قال تعالى﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس: ٦١)

نالت هاتان اللفظتان الكثير من التحليل والتعليل عند المتأخرين لبيان مسألة الاختلاف بالتقديم والتأخير.

الأصل الوارد في القرآن الكريم أن تتقدم لفظة (السماء) على لفظة (الأرض) كما في آية سبأ، وهذا لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، ثم إن مقام سياق الآيات يفرض ويقتضي ذلك التقديم، واختلفت آراء المفسرين وعلماء المتشابه اللفظي في بيان علة الاختلاف لهذه المسألة:

نظر الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ) إلى مفتتح السور لإبراز العلة وراء تقديم السموات على الأرض، ففي سورة سبأ افتتح الله سبحانه وتعالى السورة بقوله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾سبأ: (١)

افتتحت السورة بتقديم السموات على الأرض لذلك ناسب تقديم السماء على الأرض، وهناك علة أخرى ذكرها الإسكافي وهي عظم ملك شأن السموات وكبر سلطانها، ولذلك قدمت لأهميتها ومكانتها والعناية بها.

---

[1] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ٥

[2] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ٥

وأما في سورة يونس فإن الآية ذكرت بعد قوله ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾(يونس: ٦١)

فكان القصد ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من عمل كان خيرا أو شرا، ويكون ذلك العمل في الأرض، ولذلك تقدمت الأرض لأجل الترتيب ومناسبة السياق للمعنى.[١]

ووافق الكرماني (ت٥٠٥هـ)[٢]، والزمخشري (ت٥٣٨ هـ)[٣] الإسكافي فيما ذهب إليه.

ووافق ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) الزمخشري والإسكافي في بيان علة التقديم والتأخير للفظتين، ففي آية يونس تقدمت الأرض على السماء لذكر أعمال الناس وهم في الأرض فناسب ذلك التقديم.

وأما تقدم السماء على الأرض في آية سبأ فذكر أن المقام ذكر فيه علم الغيب، ومعظم هذا العلم يأتي من السماء، ومراعاة لذلك ناسب تقديم السماء على الأرض للفضل والشرف.[٤]

وعبر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)[٥]، والزركشي (ت ٧٩٤ هـ)[٦] وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)[٧] عن علة تقديم لفظة (الأرض على السماء) بعبارات تقترب مما ذكره الإسكافي، وذكروا أن سبب تقدم الأرض على السماء في آية يونس، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى ذكر أحوال أهل الأرض، ثم وصل قوله تعالى{وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ} فناسب ذلك تقديم الأرض على السماء، وأما قولهم في سبب تقديم السماء على الأرض فذكروا أن السماء من حقها أن تتقدم الأرض لعلو مكانتها ولعظمها وهذا هو المعهود في القرآن الكريم.

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ، ٣ / ١٠٧٦

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي، المسألة ١٩٧، ص١٤١

[٣] ينظر: الكشاف، ٣ / ١٥٢

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ١١ / ٢١٤

[٥] ينظر: مفاتيح الغيب، ١٧ / ١٢٩

[٦] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٨٦

[٧] ينظر: البحر المحيط ، ٦ / ٣٣١

ووافق محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٠هـ) الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين، بيد أنه اضاف أن علة تقدم السماء جاءت لشرفها.[١]

وكرر النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)[٢] والبقاعي (ت ٨٨٥ هـ)[٣] من سبقهما في تعليل تقديم لفظة (السماء على الأرض)، فذكرا أن ذلك هو المعهود والمعروف في القرآن الكريم أن تتقدم السماء الأرض، وأما تقديم لفظة (الأرض على السماء) فذكرا أن علة التقديم جاءت لأن الآيات سيقت لشاهدته على أهل الأرض فناسب أن تتقدم الأرض على السماء.

ووافق ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) من سبقه في العلة والاختلاف وراء التقديم والتأخير للفظتي (الأرض والسماء) ففي آية يونس ذكر أن النور والتوراة والعمل يكون في الأرض، ولذلك ناسب تقديم الأرض على السماء ودلل بقوله تعالى ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾(يونس: ٦١)

وأما تقديم السماء على الأرض في آية سبأ فجاء بسبب انكار الكفار للقيامة، وما فيها من أمور غيبة، فناسب تقديم السموات على الأرض؛لإظهار الحجة والدليل على وقوع يوم القيامة. [٤]

وأرجع ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) العلة والسر البلاغي وراء تقديم لفظة (السماء) على لفظة (الأرض) في آية سبأ لرتبة الفضل والشرف.

وأما في آية يونس فعلة تقديم لفظة (الأرض) على (السماء) جاءت لأجل الرتبة،ولأنها منتظمة إلى ما هي أقرب إليه وهم المخاطبون بقوله﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

---

[١] ينظر: الرازي : محمد بن أبو بكر بن عبد القادر ، أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، المكتبة العصرية، بيروت، ت: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٢٢

[٢] ينظر : النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ت: ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦، ٣/ ٥٩٥

[٣]، ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥ / ٤٤٩

[٤] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني المسألة ١٩٥ و ٣٤٩، ص ٢٠٦ و ٣٠١

كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾(يونس: ٦١)، فاقتضى حسن النظم تقديمها مرتبة في الذكر مع المخاطبين.[١]

ووافق فاضل السامرائي[٢]، وعبد العظيم المطعني[٣]، ما ذهب إليه ابن القيم الجوزية، في ذكر علة تقديم وتأخير لفظتي (السماء والأرض)، بيد أنهما أضافا لفتة معنوية بسيطة في مسألة تقديم السماء على الأرض في آية سبأ، وهي أن سبأ تتحدث عن الساعة التي هي من أمور الغيب، وإن أمرها يأتي من السماء.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

هناك من نظر إلى العلة والسبب وراء تقديم الأرض على السماء إلى المناسبة مناسبة السياق للمعنى، ومنهم من أرجع العلة والسبب إلى الفضل والشرف، وآخرون نظروا إلى السبب في ذلك إلى الرتبة مع ذكر المخاطبين في الأرض.

وأجمعت أقوال العلماء في مصنفاتهم إلى أن العلة وراء تقديم (السماء على الأرص) يرجع إلى مكانة السماء على الأرض وعلوها والعناية والاهتمام بها، وهناك من نظر إلى مناسبة ما يقتضي تقديمة للآيات السابقة، أو النظر إلى مفتتح السور ومناسبة السياق لذلك، والباحث يرجح ما ذهب إليه ابن عاشور.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الرازي والزركشي وأبو حيان الأندلسي في بيان علة تقديم (الأرض على السماء) في آية يونس؛ لأن الله سبحانه ذكر أحوال أهل الأرض، والأعمال التي يعملونها تكون في الأرض، ولذلك ناسب تقديم الأرض على السماء، وأما علة (تقديم السماء على الأرض) في آية سبأ فجاءت لعلو مكانتها ، وأنها محل الغيب عند الناس فناسب تقديمها بالإضافة إلى أن السورة تتحدث عن أمور الغيب.

---

[١] ينظر: ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر ايوب الزرعي، بدائع الفوائد، تح: عادل عبد الحميد العدوي و هشام عبدالعزيز وأشرف أحمد، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ت: ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦، ١ /٦٧

[٢] ينظر: السامرائي :فاضل صالح ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمّان، ط ٣، ت: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م، ١ / ٣٤٥

[٣] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢/ ١١٧

اللفظة السابعة: (بشير – نذير)

وردت لفظة (بشير) مقدمة على لفظة (نذير) في تسعة مواضع.[١]

قال تعالى﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (البقرة: ١١٩)

وتقدمت لفظة (نذير) على لفظة (بشير) في موضعين اثنين.[٢]

قال تعالى ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾(الأعراف ١٨٨)

من الخير بدءًا أن أذكر سياق الآيتين لأبيّن الغرض البلاغي وراء تقديم وتأخير كلتا اللفظتين.

ففي آية البقرة يقول الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيرها:

قال تعالى﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (البقرة: ١١٩)

إنا أرسلناك يا محمد بالإسلام الذي لا اقبل من أحد غيره من الأديان، مبشرًا من اتبعك فأطاعك، وقبل منك ما دعوته إليه من الحق بالنصر في الدنيا، والظفر بالثواب في الآخرة.[٣]

وأما آية الأعراف فقال الطبري مفسرا الآية:

قال الله تعالى ﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم أن أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف،وأبشر بثوابه من آمن به واطاعه منكم والنذير مبالغة في الإنذار بالعقاب على فعل المعاصي وترك الواجبات، والبشير مبالغة في البشارة بالثواب على فعل الواجبات وترك المعاصي.[٤]

---

[١] وردت في السور: المائدة / ١٩، سبأ / ٢٨، فاطر / ٢٤ ، الفتح / ٨ ، مريم /٩٧ ، الإسراء /١٠٥، الأحزاب / ٤٥ ، فصلت / ٣-٤

[٢] وردت في سورة هود / ٢

[٣] ينظر: الطبري: محمد بن جرير بن يزيد ، جامع البيان في تأويل القرآن، دار هجر ، تح: د. عبدالله عبد المحسن التركي، ، ٢ / ٤٨٠

[٤] نفسه ، ١٠ / ٦١٧

نالت هاتان اللفظتان الكثير من التفسير عند علماء التفسير، وأغلبهم لم يقف عند مسألة الاختلاف بالتقديم والتأخير بين الآيتين.

لم يظفر الباحث بشيء أو إشارة في مصنفات المتشابه اللفظي التي توافرت له، من بيّن العلة وراء التقديم والتأخير بين اللفظتين.

والأصل الوارد في سياق القرآن أن تتقدم (لفظة البشير) على (لفظة النذير) كما في آية البقرة؛ ذلك لأن النبي (ﷺ) بعث إلى الأمة مبشرا برضوان الله وجنته لمن أطاعه، ومنذرا بعد ذلك من عقابه لمن عصاه.

وأما تقدم لفظة (نذير) على لفظة (بشير) كما وردت في آية الأعراف فوقف عندها قلة من المفسرين:

أشار أبو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، إلى الغرض وراء تقديم لفظة (نذير) على (بشير) وذكر أن هذه الآية سبقت بآية يسأل فيها الكفار عن الساعة، وبما أنهم كفار فاقتضى المقام والسياق أن تتقدم نذير على بشير، ومن أجل أن ينذروا من عقاب الله، وأن الساعة واقعة لا محالة.[١]

وذكر أبو السعود (ت٩٨٢ هـ)، أن الغرض وراء تقديم النذير على البشير، جاء لأن المقام مقام إنذار، فالنبي (ﷺ) كشف للكافرين مجيء أمر الساعة واقترابها، ولكنه لم يعين لهم وقت حدوثيها، وهذا من باب الإنذار، ولذلك ناسب أن تتقدم (النذير) على (البشير)[٢]

وأرجع الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣ هـ) العلة وراء تقديم لفظة (النذير) على (البشير) في آية الأعراف إلى المقام والسياق، فالسياق يتحدث عن خطاب المكذبين المشركين فالنذارة أعلق بهم من البشارة ولذلك ناسب تقديم النذير على البشير في آية الأعراف.[٣]

---

[١] ينظر: البحر المحيط، ٤ / ٣٤٣

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣ / ٨٠

[٣] ينظر: التحرير والتنوير ٨ / ٣٨٢

وخلاصة القول:

الغرض من تقديم (لفظة نذير) على (لفظة بشير) في آية الأعراف جاء لأجل مناسبة السياق لمقام الآيات، وسبق ما يقتضي تقديمة من آيات.

ويختار الباحث ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي، فسياق الآيات يتحدث عن الكفار الذين يسألون عن الساعة، فاقتضى تقديمهم لينذروا من عقاب الله.

اللفظة الثامنة: (غفور –حليم)

وردت لفظة (غفور) مقدمة على لفظة (حليم) في أربعة مواضع.[1]

قال تعالى﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾(البقرة٢٢٥)

وتقدمت لفظة (حليم) على (غفو) في موضعين اثنين.[2]

قال تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾(الإسراء: ٤٤)

وقف الباحث على كتب التفسير، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له، ولم يجد من أشار إلى الغرض البلاغي وراء تقديم وتأخير لفظتي (الحليم – الغفور) في كلتا الآيتين، بيد أنه توصل في سياق تفاسيرهم إلى علة التقديم والتأخير، وأغلب المفسرين الذين فسروا هاتين الآيتين اتفقوا في تفسيرهم لهما:

فالزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ذكر أن آية البقرة تتحدث عن اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة، والحديث الذي لا يعقد القلب عليه كقولك أعمى الله بصري، ويعد هذا لغوا إذا كان باللسان دون القلب، فالله سبحانه وتعالى لا يؤاخذه، حتى يكون في قلبه وعند ذلك يغفر الله لمن تاب ويحلم، ولا يتعجل في العقاب، ولذلك ناسب تقديم الغفور على الحليم

---

[1] وردت في السور: آل عمران / ١٥٥، المائدة / ١٠١

[2] وردت في: سورة فاطر / ٤١

في المقام والسياق، فالغفور هو الذي يغفر ذنوب العباد لمن تاب وعاد إلى الله بعد تقصيره مع الله تعالى ، ويحلم ويتأنى في العقاب لعله يرجع إلى الله.

وأما الآية الثانية (آية الإسراء) فالخطاب فيها للمشركين الذين جعلوا لله آلهة، ولم يفقهوا تسبيح كل من في السموات والأرض لله تعالى، ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق، فكان الله بهم حليما غفورا فلم يعاجلهم ولم يسارعهم بالعقوبة على غفلتهم وجهلهم بالتسبيح وشركهم بالله تعالى، فناسب تقديم الحليم الذي لا يعاجل في العقاب على الغفور الذي يغفر ذنوب من يتوب إلى الله، والمقام والسياق في الآية هو مقام امهال وابطاء، والحلم هو الأناة.[١]

ووافقه في هذا التفسير الرازي (ت ٦٠٦هـ)[٢]، والنيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)[٣]، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)[٤]، وابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)[٥]، والبقاعي (ت٨٨٥هـ)[٦]، والألوسي (ت١٢٧٠ هـ) .[٧]

وخلاصة القول:

يرى الباحث أن علة تقديم لفظة (غفور) على (حليم) في آية البقرة،جاءت من أجل سياق ومقام الآيات، فالله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ الناس باللغو بألسنتهم ولكن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم فيغفر لمن تاب منهم، ولا يتعجل ويسارع في عقابهم لعلهم يتوبون إل الله.

وأما علة تقديم لفظة (حليم) على لفظة (غفور) في آية الإسراء؛فجاءت أيضا لمناسبة سياق ومقام الآيات، إذ إن السياق جاء في الرد على المشركين وغفلتهم عن من يسبح لله تعالى في السماء والأرض، فبيّن سبحانه أن كل شيء يسبح بحمده، فهم لم يعاجلهم

---

[١] ينظر: الكشاف، ٤ / ٥٢٢

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب، ٦ / ٨٥، ٢٠ / ٢٢١

[٣] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥ / ١٠٩

[٤] ينظر: البحر المحيط، ٢ / ٣٩٠ ، ٩/ ٤٧٧

[٥] ينظر:ابن كثير: إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح مصطفى وآخرين، مؤسسة قرطبة القاهرة، ١٠ / ١٩٩ ، ١١ / ٣٣٨

[٦] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١١ / ٤٢٨

[٧] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ١٥ / ٨٣

بالعقوبة، ويغفر لمن رجع تاب منهم. التقديم والتأخير إذن في كلتا اللفظتين جاء لمناسبة السياق والمقام.

اللفظة التاسعة: (الأنعام – الحرث)

وردت لفظة (الأنعام) مقدمة على لفظة (الحرث) في موضع واحد في سورة آل عمران.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ (آل عمران: ١٤)

وتقدمت لفظة (الحرث) على (الأنعام) في موضع واحد سورة الأنعام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٦)

إن المتأمل في الآيتين السابقتين يجد الاختلاف بينهما بالتقديم والتأخير، ومن أجل معرفة السر وراء ذلك التقديم، سبر الباحث أغوار نصوص المفسرين، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له، وتجلى موقف العلماء للباحث كالآتي:

علل الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) هذه المسألة تعليلا جيدا، فعلة تقديم لفظة (الأنعام) على لفظة (الحرث) في آية آل عمران جاءت من باب تقديم الأهم في الرتبة، فالآية صُدِرت بذكر الحب، وكان المحبوب مختلف المراتب متفاوت الدرج لذلك اقتضت الحكمة الإلهية تقديم االمهم ثم المهم جدا من المحبوب.[١]

وكرر ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)[٢] ما ذهب إليه الزركشي في هذه المسألة.

وأما البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) فرأى أن العلة وراء تقديم الأنعام على الحرث في آية آل عمران جاءت لبيان وترتيب مكانة الشهوات عند الإنسان. [٣]

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٨٠

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٢ / ١٩

[٣] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١ / ١٤

وذكر السيوطي (ت٩١١هـ) أن العلة وراء ذلك التقديم جاءت بسبب ميلان النفس، إذ إن النفس تميل إلى الأنعام أكثر من الحرث لجمالها ومكانتها.[١]

وأشار محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ) إلى أن العلة وراء تقديم (الأنعام) على (الحرث) في آية آل عمران جاءت لأجل الترقي والانتقال من المهم إلى المهم جدا، وأما تقديم لفظة (الحرث) على لفظة (الأنعام) في آية البقرة فجاء أيضا لأجل الترقي ولكن من الأدنى إلى الأعلى، إذ إن مكانة الحرث عند الإنسان أقل من مكانة الأنعام.[٢]

ولم يجد الباحث من أشار من علماء المتشابه اللفظي وعلماء التفسير في مصنفاتهم إلى الغرض البلاغي وراء تقديم لفظة (الحرث) على لفظة (الأنعام)، إلا صاحب كتاب المنار الذي ذكر الغرض البلاغي جاء من أجل الترقي من الأدنى إلى الأعلى والأفضل.

وخلاصة القول:

أغلب التوجهات كانت تنظر للأهمية ومكانة لفظة (الأنعام) على (الحرث) عند الإنسان، فالأنعام مكانتها مقدمة غلى الحرث لجمالها، وبعضهم نظر إلى الانتقال والترتيب من الأعلى إلى الأقل.

وأما تقدم لفظة (الحرث) على لفظة (الأنعام) فلم يتناولها إلا محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ) في تفسير المنار، فذكر أن الغرض وراء التقديم جاء من أجل الترقي من الأقل والأدنى إلى الأفضل والأعلى وهذا توجيه جيد لا بأس به ومقبول، لأن هنا الأمر محل إعطاء وإخراج وعادة الإنسان يعطي ويخرج الأدنى ثم الأعلى والأحسن، ولا يعطي مباشرة الأحسن لحبه للمال حبا جما، وهذه طبيعة مغروسة وموجودة في النفس البشرية.

ويرى الباحث سرا آخر غير ما تقدم في النكتة البلاغية والدلالية وراء تقديم (الأنعام) على (الحرث)، فتقديم الأنعام أولى من الحرث؛ لأنها وسيلة في إتمام الحرث.

---

[١] ينظر: السيوطي: أسرار ترتيب القرآن ، تح: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام، ط٢، ت: ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، ص ٩٢

[٢] ينظر: تفسير المنار، ٣ / ٢٤٥

اللفظة العاشرة: (الجنة – المغفرة)

وردت لفظة (الجنة) مقدمة على لفظة (المغفرة) في موضع واحد في القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(البقرة: ٢٢١)

وتقدمت لفظة (المغفرة) على لفظة (الجنة) في موضعين اثنين في القرآن الكريم.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣)

عند النظر إلى الآيتين السابقتين نجد وجود الاختلاف بينهما بالتقديم والتأخير ولمعرفة السر وراء هذا الاختلاف وقف الباحث على كتب المفسرين، وجاءت توجيهاتهم للمسالة كالآتي:

أولا: أجمعت أقوال العلماء في مصنفاتهم أن السر البلاغي وراء تقديم لفظة (المغفرة) على لفظة (الجنة) في آية آل عمران جاء لعلة السبق والسببية، فالمغفرة تسبق دخول الجنة؛ ولأنها سبب في دخول الجنة، وهذا هو الأصل فالمغفرة دائما تسبق الجنة وسبب في دخولها.[٢]

وأما العلة وراء تقديم لفظة (الجنة) على لفظة (المغفرة) في آية البقرة فتعددت واختلفت آراءهم في ذلك:

فذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) أن علة تقدم ذكر الجنة على المغفرة، ذلك أن الجنة متسببة عن حصول المغفرة ولتحسن المقابلة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(البقرة: ٢٢١)، ولأجل أن

---

[١] وردت في: سورة الحديد الآية / ٢١

[٢] ينظر : البحر المحيط ٢/ ١٧٦، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ٢ / ١٢٠، ينظر : السمين الحلبي: أحمد يوسف، الدر المصون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، / ٤١٨، ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار ، ص ٦٤٢

يبدأ الأنسان بما تشوق إليه النفس، وذلك حينما ذكر (والله يدعو) فأتى بالأشرف للأشرف ثم ذكر المغفرة على سبيل التتمة.[١]

ووافقه في ذلك السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)[٢]، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).[٣]

وأشار أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٤]،والألوسي (ت ١٢٧٠هـ)[٥] إلى أن الغرض من تقديم لفظة الجنة على لفظة المغفرة في آية البقرة، هو أن التخلية ومعناها(تطهير النفس من رذائل الأخلاق) مقدمة على التحلية ومعناها (تحلية القلب بالعمل بالطاعات)، وقدمت أيضا لأجل مراعاة مقابل النار.

وأما محمد يوسف أطفيش (ت ١٣٣٢هـ) فيرى أن العلة وراء تقدم ذكر الجنة على ذكر المغفرة في آية البقرة، ذلك أن التخلية مقدمة على التحلية بالزمن.[٦]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

أجمعت أقوال العلماء الذين تناولوا هذه المسألة في العلة والسبب وراء تقدم لفظة (المغفرة) على لفظة (الجنة) في آية آل عمران،فذكروا أن العلة وراء ذلك التقديم هي (التقدم بالسبب)، فالمغفرة سبب في دخول الجنة وهذا هو الأصل، ولذلك لا بد أن تتقدم.

وأما تقدم لفظة (الجنة) على لفظة (المغفرة) في آية البقرة، فتعددت العلل فمنهم من علل لأجل مقابلة ذكر النار في اللفظة التي سبقتها، ومنهم من أجل تشويق النفس، ومنهم لأجل البدء بالأشرف والأهم.

ويرى الباحث أن تقديم لفظة (الجنة) على لفظة (المغفرة) أولى ترغيبا للمؤمن في الجنة عن طريق المغفرة.

---

[١]: ينظر: البحر المحيط ٢/ ١٧٦

[٢] ينظر: الدر المصون ١ / ٤١٨

[٣] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار / ٤٥٩

[٤] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١ / ٢٢١

[٥] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ٢ / ١٢٠

[٦] ينظر: قطب الأئمة : محمد يوسف أطفيش ، تيسير التفسير، ط١، الجزائر ، ١/ ٢٥٩

اللفظة الحادية عشرة: (المنافقين – الكافرين)

وردت لفظة (الكافرين) مقدمة على لفظة (المنافقين) في ثلاثة مواضع. [١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الأحزاب: ١)

وتقدمت لفظة (المنافقين) على (الكافرين) في موضعين اثنين. [٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٤٠)

عند النظر إلى الآيتين السابقتين، نلحظ تقدم ذكر (الكافرين) على (المنافقين) في آية الأحزاب، وتأخير ذكر (الكافرين) على ذكر (المنافقين) في آية النساء.

الأصل الوارد في القرآن الكريم أن تتقدم لفظة (الكافرين) على لفظة (المنافقين) وهذا ما ذكر في آية الأحزاب؛ لأن الكافرين أوضح في طلب التنازلات وإظهار الحقد للمسلمين من المنافقين الذين لا يظهرون عدواتهم للمسلمين صراحة، ويتميزون بالخداع والكذب.

ومن عادة العرب تقديم الأهم في السياق، وأشار إلى ذلك سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، في مقولته المشهورة " كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهمانِهم و يعنيانِهم"[٣] وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) . [٤]

---

[١] وردت في السور: التوبة / ٧٣، الأحزاب / ٤٨، التحريم / ٩

[٢] وردت في: سورة التوبة /٦٨

[٣] الكتاب ٣٤/١

[٤] ينظر: دلائل الاعجاز، ص ١٤٥

وعند النظر في أقوال العلماء في هذه المسألة تبيّن للباحث الآتي:

أشار السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) إلى أن العلة البلاغية من تقديم لفظة (المنافقين) على لفظة (الكافرين) في آية النساء، فعلة ذلك كون المنافقون أشر من الكافرين، ولذلك ذكروا قبلهم.[١]

وذكر أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) نكتة معنوية جميلة في هذه المسألة ، فالعلة من وراء تقديم المنافين على الكافرين في آية النساء جاءت لأجل تشديد الوعيد عليهم.[٢]

ووافقه في ذلك الألوسي (ت١٢٧٠ هـ)، وبيّن أن الغرض من التقديم جاء لأجل تشديد الوعيد على المنافقين.[٣]

ونظر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، إلى الأهمية، فتقديم المنافقين على الكافرين جاءت للأهمية، ولأن حالهم أخفى، بمعنى أنهم يظهرون الأيمان ويخفون الكفر.[٤]

وخلاصة القول:

الأصل في القرآن أن تتقدم لفظة (الكافرين) على لفظة (المنافقين)؛ لأنهم أوضح في التنازلات من المنافقين.

وأما علة تقديم لفظة (المنافقين) على لفظة (الكافرين)؛ فجاءت لأجل تشديد العذاب والوعيد عليهم يوم القيامة، وقدموا أيضا للأهمية، ولأن حالهم أخفى من الكافرين، فهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر.

ويختار الباحث ما ذهب إليه أبو السعود، فتقديم المنافقين على الكافرين في آية النساء، جاء لعلة تشديد الوعيد عليهم، بالإضافة إلى أنهم أشد عذابا يوم القيامة، ونلحظ أن الله تعالى متى ذكر لفظة (المنافقين) مقدمة، ذكر معها العذاب في نهاية الآية.

---

[١] ينظر: السمرقندي:أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد ، بحر العلوم ، تح: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط١، ت: ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م، ١/ ٣٩٨

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/ ٢٤٥

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ٥ / ١٧٣

[٤] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥/ ٤٣٩

اللفظة الثانية عشرة:(العليم – الحكيم)

وردت لفظة (العليم) مقدمة على لفظة (الحكيم) في تسعة عشر موضعا. [١]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٢)

وتقدمت لفظة (الحكيم) على لفظة (العليم) في سبعة مواضع. [٢]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ٨٣)

نظر الباحث في كتب التفاسير، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له؛ ليبيّن السر البلاغي وراء الاختلاف بين الآيتين بالتقديم والتأخير، بيد أنه لم يظفر إلا بالنزر اليسير من أشار إلى الغرض البلاغي صراحة، وتوصل الباحث من خلال سياق شروحاتهم للآيتين إلى الغرض البلاغي وراء ذلك التقديم والتأخير.

ففي آية البقرة يدور الحديث عن التعليم، وكيف أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها، والغالب في القرآن الكريم أن تتقدم العليم على الحكيم، وأما آراء العلماء فكانت كالآتي:

ذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) أن الغرض البلاغي من تقدم لفظة (العليم) على لفظة (الحكيم) في آية البقرة، جاء لعلة المناسبة، إذ ناسب تقدم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة؛ لأنه المتصل به في قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء، لا علم لنا) فالذي ظهرت به المزية هو العلم، فناسب ذكره متصلا بالعليم.[٣]

ولم يذكر علة تقديم لفظة (الحكيم) على لفظة (العليم) في آية الأنعام، ولكن يمكن من خلال سياق شرحه للآية الوصول إلى ذلك الغرض البلاغي، فالله تعالى أرشد النبي إبراهيم (عليه السلام) إلى الاحتجاج بالكواكب، فكانت الحجة دليلا واضحا نحو قومه، وهذا من حكمة الله تعالى، ولذلك اقتضى سياق الكلام تقديم لفظة (الحكيم) على لفظة (العليم).[٤]

---

[١] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ١٩

[٢] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ١٩

[٣] ينظر: البحر المحيط : ٢٩٧/١

[٤] نفسه: ٤ / ١٧٦

ووافق ابن عادل الدمشقي (ت٨٨٠هـ)[١]،والبقاعي (ت٨٨٥هـ)[٢] ما ذكره أبو حيان الأندلسي في العلة البلاغية من تقديم العليم على الحكيم، فناسب تقديم العليم على الحكيم لاتصاله بألفاظ العلم.

وبيّن الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أن العلة البلاغية وراء تقديم العليم على الحكيم جاءت لعلة السببية، إذ إن الحكمة ناشئة عن الإتقان.[٣]

ووافق جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) الزركشي في علة تقديم العليم على الحكيم إلى الصفة الذاتية، ليتصل بما يناسبها (لا علم لنا) والإتقان معنى الحكمة، والعلاقة بين الحكمة والعلم (سبب ومسبب).[٤]

وأما علة تقديم لفظة (الحكيم) على لفظة (العليم) في آية الأنعام فجاءت للمناسبة، فالحكمة علم دقيق يحتاج إلى إحكام وإتقان، والحجة هنا هي احتجاج النبي إبراهيم (علية السلام) بالكواكب.

وذكر صلاح الخالدي أن العلة وراء تقديم الحكيم على العليم في آية الأنعام جاءت بسبب أن الآيات المتقدمة تتحدث عن حكمة الله أولا، ثم عن علمه ثانيا، حكمة الله في إيتاء إبراهيم (عليه السلام) حجته على قومه ورفعه درجات، لذلك ناسب تقديم الحكيم على العليم.[٥]

وخلاصة القول:

إذا كان سياق الآيات يتحدث عن العلم، وأحوال التعلم فإن لفظة (العليم) تتقدم لفظة (الحكيم) فإن التقديم يكون للمناسبة، أو السببية.

---

[١] ينظر : الدمشقي: أبو حفص عمر بن علي ، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد، علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ت: ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م، ١ / ٥٢١

[٢] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١/ ٢٤٩

[٣] ينظر: البرهان في علوم القرآن ، ص ٧٧٩

[٤] ينظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار، ص ٩٠٣

[٥] ينظر: الخالدي : صلاح ،إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠ م، ص ٢٢٤

وأما تقدم لفظة (الحكيم) على (العليم) فجاء من أجل مناسبة السياق والآيات السابقة، ويختار الباحث ما ذهب إليه أبو حيان، ويرى سرا بلاغيا آخر، فتقديم الحكمة أولى من تقديم العلم، لأن الحكمة تتضمن العلم.

اللفظة الثالثة عشرة: (لعباً – لهواً)

وردت لفظة (لعبا) مقدمة على لفظة (لهوا) في أربعة مواضع.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ (الأنعام: ٧٠)

وتقدمت لفظة (لهوا) مقدمة على لفظة (لعبا) في موضعين اثنين.[٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ (الأعراف ٥١)

إن الناظر في الآيتين السابقتين يجد الاختلاف بينهما بالتقديم والتأخير، وللوقوف على سر هذا الاختلاف لا بد من سبر أغوار نصوص كتب العلماء.

في البدء ننظر ما المراد بلفظتي لعب ولهو، بيّن ذلك الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، فذكر أن معنى اللهو هو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، فيقال لهوت بكذا، لهوت عن كذا أي: اشتغلت عنه.[٣]

وأما لفظة اللعب فأصل الكلمة اللعاب وهو البزاق السائل، ولعب لعبًا سال لعابه ، ولعب فلان إذا كان فعله غير قاصد مقصدًا صحيحًا.[٤]

---

[١] وردت في: سورة الأنعام /٣٢، سورة الحديد /٢٠، محمد / ٣٦

[٢] وردت في سورة العنكبوت / ٦٤

[٣] ينظر: الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن،تح: محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص ٤٥٥

[٤] نفسه، ص ٤٥٠

وأما توجيهات العلماء للمسألة فجاءت كالآتي:

أشار الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) إلى الغرض البلاغي من تقديم لفظة (اللعب) على لفظة (اللهو) في آية الأنعام، فعلة التقديم عنده جاءت لمناسبة سياق الآيات، فسياق الآيات يتحدث عن الكفار الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، فهم عند سماعهم القرآن لعبوا وعبثوا، ولم يتدبروا في آياته، فكانت أول أفعالهم اللعب والاستهزاء وثانيها الانشغال بحلاوة الدنيا ثم اللهو بعد اللعب.

وأما سياق الآيات في سورة الأعراف فيتحدث عن عامة الكفار، وليس عن فئة الكفار المنشغلة باللعب واللهو عن سماع القرآن، لذلك قدم فعل أكثرهم وهو (اللهو) على فعل أقلهم وهو (اللعب).[١]

وذكر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) أن الغرض البلاغي وراء تقديم لفظة (اللعب) على لفظة (اللهو) في آية الأنعام، جاء لعلة السبق الزمني، فزمن اللعب يكون في الصبا، وأما زمن اللهو فيكون في الشباب، وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب، ولذلك تقم اللعب على اللهو في الآية.

وأما الغرض من تقديم لفظة (اللهو) على لفظة (اللعب) في آية الأعراف فجاء لعلة الترتيب ، ترتيب ما انقضى من حياة الإنسان، إذ بدأ بما انتهت به حياة الإنسان، فانتهت بزمان الشباب، ولأن سياق الآيات يتحدث عن يوم القيامة، ولذلك تقدم اللهو على اللعب.[٢]

ووافقه في ذلك الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) [٣]، والأنصاري (ت ٩٢٦هـ).[٤]

وأما الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) فذكر أن لفظة (اللعب) تتقدم على لفظة (اللهو) في آية الأنعام، ذلك لأن اللعب متقدم في الوجود الدنيوي، ولأنه أول ابتداء تعقل الانسان، لم يصرح بعلة التقديم، فالعلة جاءت لأجل السبق الزمني.

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٢/ ٥١٦، ٥١٩

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي المسألة ١٠٠ ، ص ١٠٧ ، ١٠٨

[٣] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز في بصيرة (الحمد لله)، ١ / ١٩٣

[٤] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن المسألة ١٤، ص ١٦٤

وأما تقدم ذكر (اللهو) على ذكر (اللعب) في آية الأعراف، فجاء لعلة تناسب سياق الآيات، فسياق الآيات يتحدث عن تعذيب الكافرين، فذكروا بداية بمواطن اللهو التي صنعوها في الحياة، ثم بعد ذلك مواطن اللعب.[١]

وأشار ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) إلى أن علة تقديم (اللعب) على (اللهو) في آية الأنعام جاءت لأجل ذم الدنيا والاشتغال بلعبها ولهوها وزينتها عن الله تعالى.[٢]

وأما في آية الأعراف فالغرض البلاغي من تقديم (اللهو) على (اللعب) فجاء لعلة ذم المشتغلين بالدنيا عن اتباع الحق وإهماله ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٥١)

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

الغرض البلاغي من تقدم لفظة (اللعب) على لفظة (اللهو) في آية الأنعام يأتي كما بينه علماء المتشابه اللفظي جاء لعلة مناسبة سياق الآيات، أو للسبق الزمني، أو لذم الدنيا والانشغال بها عن الله تعالى.

وأما تقدم لفظة (اللهو) على لفظة (اللعب) في آية الأنعام فجاء لأجل مناسبة السياق، أو الترتيب، أو ذم المشتغلين بالدنيا عن الله تعالى.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الكرماني في الغرض البلاغي من تقديم وتأخير اللعب على اللهو، فتقدمت لفظة (اللعب) على لفظة (اللهو) في آية الأنعام؛لأن زمن الصبا مقدم على زمن الشباب.

وأما في آية الأعراف فالسر في تقديم اللهو على اللعب كما بينه الكرماني، جاء من أجل ترتيب ما انقضى من حياة الإنسان، ومن حيث انتهت حياته، فالموقف هنا عظيم فهو موقف حساب وتذكر، ويرى الباحث أن اللهو أولى بالتقديم من اللعب في غير سياق الآيتين، لأن اللهو يتضمن اللعب، وأحيانا ننظر إلى السياق؛ لنرى من الأولى بالتقديم.

---

[١] ينظر :ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٤٤٧

[٢] ينظر :كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ١٤٦، ص ١٧٥

اللفظة الرابعة عشرة: (ضراً – نفعاً)

ذكرت لفظة (ضراً) مقدمة على (نفعاً) في خمسة مواضع ، وجاءت بصيغة الفعل في ثلاثة مواضع.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٩)

وتقدمت لفظة (نفعا) على لفظة (ضرا) في ثلاثة مواضع، وجاءت بصيغة الفعل في خمسة مواضع [2]، وأحصى سعيد الزبيدي جميع هذه المواضع في كتابه(سؤال في التفسير) .[3]

قال تعالى:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف١٨٨)

عند النظر إلى الآيتين السابقتين نجد بينهما الاختلاف بالتقديم والتأخير، فمرة تتقدم لفظة (ضرا) على لفظة (نفعا)، ومرة تتقدم لفظة (نفعا) على لفظة (ضرا)، وللوقوف على معرفة سر هذا الاختلاف نظر الباحث في الكتب التي عنيت بالمتشابه في القرآن الكريم (التقديم والتأخير) وكتب المفسرين،التي توافرت له.

عد العلماء أن الأصل في القرآن الكريم أن تتقدم لفظة (ضراً) على لفظة (نفعا) في الذكر؛ لأن العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه، ثم طمعا في ثوابه، بدليل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة:١٦)

نظر الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ) في سورة يونس إلى الآية التي تقدمت آية يؤنس في الذكر؛ لبيان العلة من تقديم لفظة (ضرا) على لفظة (نفعا) فالله تعالى يقول قبل هذه الآية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ (يونس: ٤٦) ثم يقول الكفار في القرآن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ

---

[1] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ٤، ٢١

[2] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص، ٤ ، ٢١

[3] ينظر : الزبيدي : سعيد جاسم ، سؤال في التفسير، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ت: ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤ م، ص ١٦١

صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس: ٤٨) فيرد عليهم الرسول (ﷺ) أنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا أملك ما وعدكم الله من هذا العذاب، وأن أدفع عنكم سوء العقاب، وذكر أن لفظة (الضر) تقدمت على لفظة (النفع) لخروجها من ذكر العذاب، ولذلك تقدم الضر على النفع؛ لمناسبة سياق ما قبلها وما بعدها من آيات.

وأما في آية الأعراف فهذه الآية سبقت بقوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ ﴾ (الأعراف: ١٨٧) ثم جاء بعدها قوله تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، ولو أمعنا النظر لوجدنا أنها تتحدث عن سؤالهم عن وقت الساعة، فرد عليهم الرسول (ﷺ) إن الذي تسألون عنه أخفى الغيوب، وأنا لا أعلم منها ما هو أقرب، فكيف ما يختص بعلم الغيب، ثم جاء بعدها قوله تعالى ﴿ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ ﴾ ولذلك ناسب تقدم لفظة النفع على لفظة الضر بحكم ما قبلها وما بعدها.[١]

ووافق الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)[٢] وابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ)[٣] الخطيب الإسكافي في بيان علة تقديم وتأخير لفظتي (ضرا ونفعا) في كلتا الآيتين من سورة الأعراف وسورة يونس، فالغرض عندهم كما ذكره الإسكافي المناسبة، مناسبة سياق الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية.

وذكر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) أن الغرض البلاغي من تقديم وتأخير لفظتي (نفعا وضرا) في كلتا الآيتين، جاءت لذكر الغالب، إذ إن الغالب في القرآن الكريم أن يتقدم لفظ (الضر على النفع)؛ لأن المعبود يعبد ربه خوفا من عقابه أولاً، ثم طمعاً في ثوابه ودليل ذلك ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(السجدة:١٦) وأما العلة من تقدم لفظة (الضر) على لفظة (النفع) في آية يونس فجاءت موافقة لما قبلها

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، المسألة ٨٩، ٢ / ٢٠٨

[٢] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي ، ص ٥٧٧

[٣] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ١٦٧، ص ١٨٨

وأما في آية الأعراف فالعلة من تقدم ذكر (النفع) على ذكر (الضر)، جاءت لسابقة لفظ تضمن نفعاً، فتقدمت قبل هذه الآية قوله تعالى﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ ﴾ (الأعراف: ١٧٨) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦ ﴾ (الأعراف: ١٨٦)فقدمت الهداية على الضلال وهي تضمنت معنى النفع، ولذلك تقدمت لفظة النفع على الضر.[١]

ووافق أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ)[٢]، و الفيروزآبادي(ت ٨١٧ هـ)[٣]، وجلال السيوطي (ت ٩١١ هـ)[٤]، و الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)[٥] الكرماني في بيان علة تقديم وتأخير لفظتي (الضر والنفع) في كلتا الآيتين، إذ إن العلة عندهم في تقدم النفع على الضر، جاءت لمناسبة سياق ما قبلها من آيات، وتقدم ألفاظ تضمنت معنى النفع، وأما تقديم لفظة الضر على النفع جاء على الأصل؛ لأن العبادة تكون أولا خوفا من عقابه ثم طمعا في ثوابه.

وأما البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) فذكر أن الغرض من تقديم لفظة (الضر) على لفظة (النفع) في آية يونس جاء للتنبيه، تنبيه بأن نعم الله عليهم أكثر من نقمة، ولذلك عليهم أن يقيدوها بالشكر خوفا من زوالها، وأما تقديم ذكر النفع على الضر في آية الأعراف فجاء لأنه أهم إلى النفس، أي أن التقديم جاء من أجل أهمية النفع على الضر ومكانته.[٦]

ونظر سعيد الزبيدي إلى سياق الآيات لتحديد الغرض من تقديم وتأخير لفظتي (الضر والنفع) في كلتا الآيتين، فسياق الآيات التي وردت فيها (الضر والنفع) هو الذي يحدد هذا تقديم اللفظ أو تأخيره.[٧]

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي، المسألة ٦٠، ص ١٣٠

[٢] ينظر: البحر المحيط، ٤ / ٤٣٣

[٣] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز بصيرة (المص)، ١/ ٢٢٠

[٤] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار، ص ١٠٧٢

[٥] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، المسألة ٥١، ص ٢١٣

[٦] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٨ / ١٨٧

[٧] ينظر : سؤال في التفسير، ص ١٦٨

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

أغلب العلماء نظروا إلى مناسبة السياق لبيان العلة من تقدم لفظة (الضر) على لفظة (النفع)، وآخرون أرجعوا العلة للتنبيه، وبعض التوجيهات ذكرت أن هذا هو الأصل في القرآن.

وأما علة تقدم لفظة (النفع) على لفظة (الضر) كما في آية الأعراف فذكرت التوجيهات العلة من وراء ذلك جاءت لمناسبة سياق الآيات السابقة واللاحقة، أو لسابقة لفظ تضمن معنى النفع، أو التقديم للأهمية، أهمية النفع بالنسبة للإنسان.

ويرى الباحث أن السياق الذي ذكره سعيد الزبيدي، يبدو أنه الأوفق في تقديم وتأخير لفظتي (النفع) و (الضر).

اللفظة الخامسة عشرة: (الجن – الإنس)

ذكرت لفظة (الجن) مقدمة على لفظة (الإنس) في تسعة مواضع.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ﴾ (الرحمن: ٣٣)

وتقدمت لفظة (الإنس) على لفظة (الجن) في ستة مواضع. [2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء: ٨٨)

إن المتأمل والناظر في القرآن الكريم، يجد كثيرا ما تقترن لفظة (الجن) بلفظة (الإنس)، وعندما نتتبع آيات القرآن الكريم، نجد أن الله سبحانه وتعالى أحيانا يقدم الجن على الإنس، وأحيانا يقدم الإنس على الجن، وهذا التقديم لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

وعندما ننظر في الآيتين السابقتين، نجد بينهما الاختلاف بالتقديم والتأخير، ففي آية الرحمن تقدمت لفظة (الجن) على لفظة (الإنس)،وهو الأكثر في القرآن الكريم، وأما في آية

---

[1] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ٣٢

[2] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ٣٢

الإسراء فتقدمت لفظة (الإنس) على لفظة (الجن)، ولمعرفة سر هذا الاختلاف لا بد أن نقف على آراء العلماء وتجلت في الآتي:

ذكر أبو القاسم السهيلي (ت ٥٨١ هـ) أن علة تقديم لفظة (الإنس) على لفظة (الجن) في آية الإسراء جاءت لفضلهم ولمكانتهم على الجن، ونظر إلى تقديم لفظة (الجن) على لفظة (الإنس) من ناحية لغوية بنائية فالإنس أخف لفظا من الجن؛ وذلك لمكان النون الخفيفة والسين المهموسة، فكان تقديم الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وجماحه.[١]

ووافقه في ذلك جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)[٢]، و محمد عبدالله سعادة في بيان علة تقديم وتأخير (الجن على الإنس) في كلا الموضعين.[٣]

وأشار الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، إلى أن علة تقديم الإنس على الجن في آية الإسراء، جاءت لفصاحة وبيان الإنس على الجن.

وأما في آية الرحمن فذكر أن الغرض من تقديم الجن على الإنس، ذلك لأنهم أقوى أجساما وأعظم إقداما.[٤]

ووافق البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) الزركشي في ذلك، فذكر البقاعي أن العلة من تقديم الإنس على الجن في آية الإسراء؛ جاءت لقدرتهم على البلاغة والبيان، وأما في آية الرحمن فتقديم الجن على الإنس جاءت لقوتهم وقدرتهم على الخفاء والتشكل.[٥]

وذكر ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) أن العلة وراء التقديم والتأخير في كلتا الآيتين جاءت للتحدي، أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأن ينفذوا من أقطار السموات والأرض.[٦]

---

[١] ينظر: السهيلي: أبو القاسم عبدالرحمن عبدالله ، نتائج الفكر، تح: عادل عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ت: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ٢١١-٢١٢

[٢] ينظر: السيوطي : جلال الدين ، معترك الأقران في اعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ت: ١٩٨٨، ١/ ١٣١

[٣] ينظر : سعادة : محمد عبدالله ، أسرار النظم القرآني آيات وعبر ، مكتبة مبارك العامة، ص ١٩١ – ١٩٤

[٤] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص٧٨٦

[٥] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥٠٨/١١، ١٧٠/١٩

[٦] ينظر: اللباب في علوم القرآن، ص ٣٣٠

ووافق الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)[١]، ابن عادل الدمشقي في بيان العلة في كلا الموضعين، فأشار الأخير إلى أن الغرض من تقديم الإنس على الجن في آية الإسراء جاء من باب التحدي والتعجيز على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولم يذكر الغرض من تقديم الجن على الإنس في آية الرحمن.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

نظر السهيلي إلى البناء التركيبي للمفردة لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.

العلة من وراء تقديم وتأخير لفظتي الجن والإنس في كلتا الآيتين جاءت لأجل التحدي والتعجيز للأنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وللأجن أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض، أو لعلة فضل وشرف الإنس من الجن لذلك قدموا، وأحيانا يقدم الجن لثقل لفظتهم على لفظة الإنس.

ويختار الباحث ما ذهب إليه ابن عادل الدمشقي من بيان علة تقديم الإنس على الجن في آية الإسراء، فالقرآن نزل بلسان العرب وتحداهم على أن يأتوا بمثله أو بعشر آيات، أو بآية واحدة فلم يستطيعوا، وأما علة تقديم الجن على الأنس في آية الرحمن، فيختار رأي البقاعي، فعلة تقديم لفظة الجن على لفظة الإنس جاءت لقوتهم وقدرتهم على الخفاء والتشكل.

ويرى الباحث رأيا آخر في بيان علة تقديم الجن على الإنس في القرآن الكريم، وهو أن الجن خلقوا قبل الإنس بدليل قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) ولذلك قدموا في الذكر.

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ١٤ / ١٥٩

اللفظة السادسة عشرة: (موسى وهارون)

وردت لفظة (موسى) مقدمة على لفظة (هارون) في موضعين.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾(الأعراف: ١٢١، ١٢٢)

وأما لفظة (هارون) فذكرت متقدمة على لفظة (موسى) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه: ٧٠)

إن الناظر والمتأمل في الآيتين السابقتين يجد بينهما الاختلاف بالتقديم والتأخير، ولا بد من الوقوف على كتب التفسير وكتب المتشابه اللفظي لمعرفة السر من هذا الاختلاف.

الأصل في القرآن الكريم أن تتقدم لفظة (موسى) على لفظة (هارون)، ذلك لأنه المخاطب بالدعوة والرسالة من عند ربه، ولكن أحيانا تتقدم لفظة (هارون) على لفظة (موسى) فما السر في ذلك، كشف عن هذا السر العلماء كالآتي:

بيّن الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) أن علة تقديم لفظة (موسى) على لفظة (هارون) في آيتي الأعراف والشعراء، جاءت لكونه المخاطب بالرسالة، ولأنه نبي الله، وأما علة تقديم لفظة (هارون)على لفظة (موسى) في آية طه فجاءت مراعاة للفاصلة القرآنية للآيات السابقات.[٢]

ووافق الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)[٣] ، والفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)[٤] الخطيب الإسكافي في بيان علة تقديم لفظة (هارون) على لفظة (موسى) في آية طه.

وبيّن الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) أن علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين جاءت لأجل الفاصلة القرآنية.[٥]

---

[١] وردت في: سورة الشعراء / ٤٨

[٢] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٢/ ٦٦٧

[٣] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي ، ص١٢٨

[٤] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (بصيرة المص) ، ١ / ٢١٨

[٥] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٥٩٦

وخالف ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) الغرناطي في بيان علة تقديم موسى على هارون في آية الأعراف، فذكر أن العلة وراء التقديم جاءت مناسبة لما تقدم من آيات وليس لأجل الفاصلة القرآنية، ووافق من سبقه في علة تقديم هارون على موسى.[١]

وأشار الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) إلى أن علة تقديم (موسى) على (هارون) في آية الأعراف جاءت لأجل الشرف، شرف اصطفاء الله تعالى للنبي موسى (عليه السلام) كونه من أولي العزم، وأما علة تقدم (هارون) على (موسى) في آية طه فجاءت لعلة تناسب رؤوس الآيات. [٢]

ووافق السيوطي (ت ٩١١ هـ)[٣]، و أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ)[٤]، وأبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٥]، والطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)[٦] الزركشي في ذلك.

وأما ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ)[٧] فذكر أن العلة وراء تقديم موسى على هارون في آية الأعراف جاءت لعلة الرتبة في الذكر، وأما بيان علة تقديم هارون على موسى فوافق الغرناطي في ذلك،والتي جاءت لعلة الفاصلة القرآنية.

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)[٨] من سبقه في الغرض البلاغي من تقديم موسى على هارون، ولكن له لفتة بلاغية جميلة في بيان علة تقديم هارون على موسى، فهو لم يكتف بالقول (الفاصلة القرآنية) ولكنه أضاف لفتة جميلة وهي(دفع التوهم) من الاعتقاد أن رب موسى هو فرعون، إذ إن فرعون ربى موسى، أي كفل موسى في صغره ، فيعتقد حينها قومه أن رب موسى هو فرعون، لذلك تقدمت لفظة هارون على لفظة موسى؛ لأجل دفع التوهم والاعتقاد عن قوم فرعون، وأيضا لأن هارون أكبر سنا من موسى.

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ١٦٥، ص ١٨٧

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن ،ص ٧٨٤- ٧٨٥

[٣] ينظر: معترك الأقران، ١/ ١٣٢

[٤] ينظر: البحر المحيط ، ٤/ ٣٦٥

[٥] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٣/ ٦٤٨

[٦] ينظر: التحرير والتنوير، ١٦/ ٢٦٢

[٧] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ١/ ٢٤١٢

[٨] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٩ / ٢٦

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

اختلف العلماء في بيان علة تقديم لفظة (موسى)على لفظة(هارون) في آية الأعراف فذكر بعضهم أن العلة من وراء التقديم جاءت لعلة الشرف.

وبعضهم ذكر أن العلة من وراء التقديم جاءت للاصطفاء من الله تعالى بالرسالة والدعوة.

وذكر آخرون أن العلة من وراء التقديم جاءت لعلة الرتبة، أو لعة الفاصلة القرآنية.

وأما بيان علة تقديم لفظة (هارون) على لفظة (موسى) في آية طه فجاءت مقدمة لعلة الفاصلة القرآنية، أو لدفع التوهم والاعتقاد عن قوم فرعون أن رب موسى هو فرعون، أو لأن هارون أكبر سنا من موسى.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الزركشي (فموسى عليه السلام) هو المخاطب بالدعوة والرسالة من عند ربه وهارون وزير عنده، فالله تعالى يقول ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ (الفرقان ٣٥) وموسى (عليه السلام) أسندت إليه الرسالة، وأما هارون فكان مساعد له فقط، ولذلك تقدم ذكر موسى على هارون.

اللفظة السابعة عشرة :(ألسنتهم – أيديهم)

وردت لفظة (ألسنتهم) مقدمة على لفظة (أيديهم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النور: ٢٤)

وذكرت لفظة (أيديهم) مقدمة على لفظة (ألسنتهم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (الممتحنة: ٢)

نجد أن هاتين الآيتين ذكرهما معظم المفسرين في تفاسيرهم مبينين ما فيهما من معان، بيد أن الباحث لم يجد توجيها للعلة وراء تقديم وتأخير لفظتي (ألسنتهم وأيديهم) في تفاسيرهم، ولم يجد ذلك أيضا في الكتب التي عنيت بتوجيه المتشابه اللفظي التي توافرت له،ولكنه بعد النظر في هذه التفاسير[1] توصل من خلالها إلى العلة البلاغي وراء تقديم وتأخير لفظتي (ألسنتهم وأيديهم) في كلتا الآيتين.

فآية النور تتحدث في سياقها عن موقف يوم القيامة، وشهادة الأعضاء على الإنسان في ذلك الموقف الرهيب بما كان يعمله في الدنيا، وهذه الأعضاء تتقدم نحو الإنسان بحسب الأهمية المعنوية من الخاص إلى العام، إذ يأتي اللسان في المقدمة؛ لأنه أقدر الأعضاء على الشهادة والإفصاح من الأيدي ، ولأن أكثر سيئات الإنسان تكون مصدرها اللسان، تشهد عليهم جراء أفعالهم الشنيعة من رمي زوجات النبي (ﷺ) المحصنات وغيرها من الموبقات، ولذلك تقدم ذكر (اللسان) لأهميته؛ ولأنه أكثرها قدرة على الإفصاح ولمناسبة سياق ما تقدم من آيات.

وأما آية الممتحنة فتتحدث عن إخبار الله تعالى للمؤمنين عن عداوة كفار إياهم، لكي لا يميلوا إليهم، فهم إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداء بالضرب والقتل من خلال أيديهم، وبالشتم من خلال ألسنتهم، ويودون أن تعودوا إلى الكفر.

---

[1] ينظر تفاسير: الكشاف للزمخشري (٥٢٨ هـ)، ٤/ ٢٨١، ٩٠/٦، بحر العلوم للسمرقندي (٣٧٦ هـ) ٣/ ٤٣٤، ٤/ ٣٥١، البحر المحيط للأندلسي (٧٤٥ هـ)، ٦/ ٤٠٥، ٨ / ٢٥١، تفسير ابن كثير (٧٧٤هـ) ، ١٠ / ١٩٩، ١٣ / ٥١٢، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨٨٥ هـ)، ٢٤٢/١٣، ٤٩٤/١٩، إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٩٨٢ هـ)،٦/ ١٦٦، ٨/ ٢٣٦

إذن نجد أن لفظة (أيديهم) تقدمت على لفظة (ألسنتهم)؛لأن سياق الآيات يتحدث عن عداوة وبطش الكفار (كفار مكة) للمؤمنين، وغالبا البطش والعداوة تبدأ بوسائل الضرب والقتل التي محلها اليد، ولذلك تقدم ذكر الأيدي هنا لمناسبة سياق الآيات ولمكانتها بين الأدوات.

اللفظة الثامنة عشرة : (الأولى – الآخرة)

وردت لفظة (الأولى) مقدمة على لفظة (الآخرة) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٧٠)

وتقدمت لفظة (الآخرة) على لفظة (الأولى) في ثلاثة مواضع.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ (النجم:٢٥)

عند النظر إلى الآيتين السابقتين نجد بينهما الاختلاف بالتقديم والتأخير، والأصل الذي ورد في القرآن الكريم تقديم الأولى على الآخرة، ولكن أحيانا يعدل القرآن إلى تقديم الآخرة لعلة بلاغية، واختلف آراء العلماء في تحديد تلك العلة أو الغرض البلاغي وراء التقديم والتأخير.

فالزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) لم يذكر العلة صراحة وراء تقديم وتأخير لفظتي (الأولى والآخرة)، ولكن يمكن الوصول إلى العلة من خلال سياق تفسيره للآيتين.

ذكر الزمخشري في شرحه ليس للإنسان أن يتمنى من شفاعة الآلهة، وهو تمن في غاية البعد؛لأن لله الآخرة والأولى وهو يعطيهما لمن يشاء، ويمنعهما عمن يشاء، وليس لأحد أن يتحكم على أي شيء منهما، والاختيار بيده، ويبدو أن العلة جاءت لأجل مناسبة ما سبق من آيات.[٢]

ووافق ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) و أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)، الزمخشري في ذلك.

---

[١] ينظر: سورة الليل آية ١٣، وفي سورة النازعات آية ٢٥

[٢] ينظر: الكشاف ٤/٥٢٠، ٥/ ٦٤٤

فابن عادل الدمشقي ذكر في آية القصص أن الأمر في الاختيار بيد الله تعالى في الأولى والآخرة، أي أن الأمر مفوض إليه ليس لأحد شركة ولا منازعة، فناسب تقديم الأولى على الآخرة مناسبة لرؤوس الآيات.

وأما في آية النجم فذكر أن ليس للإنسان ما يتمناه ويشتهيه من شفاعة الأصنام يوم القيامة، فلله الأمر في الآخرة والأولى، فالآية تتحدث عن موقف من مواقف يوم القيامة،وهو شفاعة الأصنام لهم كما يظنون، لذلك ناسب تقديم الآخرة على الأولى مناسبة لرؤوس الآيات.[١]

وذكر أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) أن الله هو المستحق بالعبادة، ولا أحد يستحقها غيره، فهو المولى للنعم كلها عاجلا وآجلا وله الأمر في الأولى والآخرة، ولذلك تقدمت الأولى مناسبة لرؤوس الآيات وسبق ما يقتضي تقديمه.[٢]

وكرر أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ)[٣]، والزركشي (ت ٧٩٤ هـ)[٤] ما ذهب إليه الزمخشري في بيان علة تقديم وتأخير لفظتي (الأولى والآخرة) في كلتا الآيتين، فذكرا أن العلة وراء ذلك التقديم والتأخير؛ جاءت لأجل مناسبة رؤوس ما تقدم من آيات.

وأما البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) فبيّن أن علة تقديم وتأخير الاخرة على الأولى، ذلك أن الأخرى دار للذات وبلوغ جميع الأماني، ولأجل هذا كان الكفار يدعون فيها ويتمنون شفاعة آلهتهم لهم لتحقيق أمانيهم، ولذلك قدمت الاخرة؛لأهميتها ومكانتها معهم من أجل تحقيق الأماني.[٥]

---

[١] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٢٨٣/١٥

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٧/ ٢٣، ٨ / ١٥٩

[٣] ينظر : البحر المحيط ، ٧/ ١٢٥، ٨ / ١٦٠

[٤] ينظر: البرهان في علوم القرآن الكريم، ص ٧٩٠

[٥] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٤ / ٣٤٢٥

ووافقه في ذلك الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)[١]،والطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)[٢]، وعلي أبو القاسم عون[٣]في بيان علة التقديم، فجاءت علة التقديم عندهم للاهتمام والمكانة لكلتا اللفظتين في سياق الآيتين.

وأما محمود السيد شيخون في كتاب أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم فذكر أن العلة وراء تقديم الآخرة،جاءت لمراعاة الفاصلة القرآنية، وتقديم الأولى جاءت لمناسبة اللفظ.[٤]

وخلاصة القول:

ما ذكره العلماء من توجيهات مناسبة، بيد أنهم اختلفوا في بيان علة تقديم وتأخير (الأولى والآخرة)، فمنهم من ذكر لمناسبة ما سبق تقديمه وآخرون لمناسبة رؤوس الآيات.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الزركشي ومن سبقة في بيان علة تقديم وتأخير لفظتي الأولى والآخرة التي جاءت لأجل مناسبة رؤوس الآيات وسبق ما يقتضي تقديمه .

ويرى الباحث سرا بلاغيا آخر، فتقديم الأولى على الآخرة أولى لأجل الترتيب الزمني.

---

[١] ينظر: تفسير روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ١٠٦/٢٠

[٢] ينظر: التحرير والتنوير، ٢٧/ ١١٦

[٣] ينظر: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ٣/ ٩٦٠

[٤] ينظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، ص ٩٢، ٩٣

اللفظة التاسعة عشرة : (أواه– حليم)

وردت لفظة (أواهٌ) مقدمة على لفظة (حليم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾(التوبة: ١١٤)

وتقدمت لفظة (حليم) على لفظة (أواهٌ) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود: ٧٥)

إذا نظرنا في الآيتين السابقتين نجد بينهما الاختلاف بالتقديم والتأخير، ولبيان هذا الاختلاف نظر الباحث في كتب التفاسير وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له، ولم يظفر فيها بشيء إلا ما ذكره الغرناطي في كتابه ملاك التأويل.

في البدء ننظر ماذا قال أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) في مجاز القرآن عن معنى هذه لفظة (أواه): ذكر أن (أواهٌ) من (فعّال) تعني التضرع والشفق والفرق ولزوم الطاعة.[١]

وأما توجيهات العلماء للمسألة فجاءت كالآتي:

لم يصرح الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) عن علة تقديم لفظة (أواه) على لفظة (حليم) في آية التوبة، بيد أن الباحث توصل إليها من خلال سياق تفسيره للآية، فذكر أن النبي إبراهيم (عليه السلام) كان يتأوه حزنا وتأسفا وتحسرا على إعراض أبيه عن إجابة دعوته، فكان (عليه السلام) لفرط ترحمه ورأفته يترفق بأبيه ويستغفر له حتى تبيّن له أنه عدو فتبرأ منه، لذلك تقدمت أواه بسبب أفعال أبيه،فكان تقدمها مناسبا لرؤوس الآيات، وما تقدم من ألفاظ.

وأما في آية هود لما زال الخوف عن النبي إبراهيم (عليه السلام) بسبب البشرى التي جاءته من عند ربه عن طريق الملائكة، أخذ يجادل ويسأل الرسل في قوم لوط، وألا يستعجلوا في إنزال العقوبة عليهم، فيقول لهم أرأيتم إن كان فيها خمسون رجلا مسلما، أتهلكونها، قالوا لا، ثم قال إن كان فيها أربعون أتهلكونها فيجيب الرسل لا حتى وصل بهم أن فيها رجل واحد مسلم وهو لوط، فرد عليه الرسل نحن أعلم بمن فيها، فكان (عليه السلام)

---

[١] ينظر: التيمي : أبو عبيدة بن معمر بن المثنى ، مجاز القرآن، تح: د. محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت

حليما لا يتعجل العقوبة لقوم لوط ظنا منه أملا فيهم أن يؤمنوا، ولذلك تقدمت لفظة (حليم) مناسبة لما سبق من ألفاظ ومناسبة لرؤوس الآيات.[١]

ووافق الرازي (ت ٦٠٦ هـ) الزمخشري في تفسيره للآية[٢]، ومن خلال سياق تفسيره يبدو أن العلة لتقديم وتأخير لفظتي (أواه وحليم) في كلتا الآيتين، جاءت للمناسبة.

و بيّن الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) العلة وراء تقديم وتأخير لفظتي (أواه وحليم) في كلا الموضعين، ففي آية التوبة تقدمت لفظة (أواه) بسبب تأسفه وتحسره على رفض أبيه دعوته مع تلطفه نحو أبيه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (مريم: ٤٢)، لذلك ناسب تقديم لفظة (أواه) على (حليم) في هذه الآية.

وأما في آية هود فتقدمت لفظة (حليم) لأن النبي (عليه السلام) كان يجادل الرسل؛ لعدم تعجيل العقوبة على قوم لوط علهم يؤمنوا، فناسب تقديم لفظة (حليم) على لفظة (أواه) في هذه الآية.[٣]

وخلاصة القول:

توصل الباحث من خلال سياق تفاسير بعض العلماء في كتبهم إلى علة التقديم، وعلى رغم أنهم لم يفصحوا بها،ومن هؤلاء أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ)[٤] وابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ)[٥] وأبي السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٦] فالعلة عندهم لتقديم وتأخير لفظتي (أواه وحليم) في كلا الموضعين؛ جاءت للمناسبة، مناسبة ما تقدم من ألفاظ، وهم بذلك يوافقون من سبقهم.

ويؤيد الباحث ما ذهب إليه الغرناطي في بيان علة تقديم وتأخير (أواه على حليم) فالتقديم جاء مناسبا لما سبق من ألفاظ ولسياق الآيات، فأفعال والد سيدنا إبراهيم (عليه

---

[١] ينظر: الكشاف ٣/ ٢١٨

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب ١٦ / ٢١٥، ١٨ /٣١

[٣] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٦٠٣، ٦٠٤

[٤] ينظر: البحر المحيط ٥/ ١٠٩، ٢٤٦

[٥] ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٢٤/١٠، ٥٣٠

[٦] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ٤/ ١٠٨، ٢٢٧

السلام) جعلته يتأسف ويتحسر على أبيه، وأما تقدم (حليم على أواه) فجاء مناسبا للسياق، فإبراهيم (عليه السلام) لم يتعجل عقاب الرسل على قوم لوط.

اللفظة العشرون :(قارون وفرعون، فرعون وقارون)

وردت لفظة (فرعون) مقدمة على لفظة (قارون) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٤)

وتقدمت لفظة (قارون) على لفظة (فرعون) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٩)

إن الاختلاف واضح وبارز بين الآيتين بالتقديم والتأخير فأحيانا تتقدم لفظة (فرعون) على لفظة (قارون) كما في آية غافر وهذا هو الأصل الوارد في القرآن الكريم، ومرة تتقدم لفظة (قارون) على لفظة (فرعون) كما في آية العنكبوت.

قلة من العلماء من علل وبيّن سبب هذا الاختلاف بين الآيتين بالتقديم والتأخير، وجاء تعليلهم كالآتي:

أرجع ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) العلة في تقدم لفظة (قارون) على لفظة (فرعون) في آية العنكبوت إلى مناسبة ما تقدم من رؤوس الآيات، فسبحانه قال (وكانوا مستبصرين)، فقارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراة، وقرابة من موسى لذلك قدم على فرعون في الذكر.

وأما علة تقديم (فرعون) على (قارون) في الذكر في آية غافر فجاءت للمناسبة؛لأن سياق الرسالة كانت إلى قارون،ومخالفته وعداوته وهلاكه لموسى كانت بعد فرعون، ولذلك ناسب تقديم فرعون على قارون لسبق عداوته لموسى (عليه السلام).[١]

وعلل أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) أن علة تقديم قارون على فرعون في آية العنكبوت جاءت لشرف نسبه على فرعون، فهو من أقارب موسى.[٢]

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ٣٣٣، ص ٢٨٨

[٢] ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٧ / ٤٠

بيد أنه لم يبيّن العلة من تقديم (فرعون) على (قارون) في آية غافر، لعله في نظره كونه الأصل الذي لا يحتاج إلى تعليل.

وذكر الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أن الغرض من تقديم (قارون) على (فرعون) في آية العنكبوت جاء لتسلية، تسلية النبي (ﷺ) فيما لقي من قومه لحسدهم له، فقارون كان من قوم موسى، وأبصر الناس وأعلمهم بالتوراة ، وأشرف من فرعون، لذلك قدم على فرعون.[١]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

تتقدم لفظة (قارون) على لفظة (فرعون) في آية العنكبوت لشرف قارون، فقارون أشرف من فرعون ولأنه من أقارب موسى، وهو أعلم بالتوراة من فرعون وكان من المستبصرين.

وأما تقديم لفظة (فرعون) على لفظة (قارون) في آية غافر فجاء مناسبة لما سبق، فالآيات السابقة الذي تتحدث عن ارسال موسى بالآيات إلى فرعون لذلك ذكر أولاً.

وبدا للباحث من خلال سياق شرح أبي السعود لآية غافر أن العلة وراء تقديم (فرعون) على (قارون) جاءت لمناسبة ما تقدم من آيات، فلو عدنا ونظرنا في الآيات التي سبقت هذه الآية لوجدنا أنها تتحدث عن ارسال موسى إلى فرعون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ (غافر:٢٣)، والخطاب موجه إليه من موسى (عليه السلام)، لذلك من الطبيعي أن يتقدم ذكر فرعون على موسى.[٢]

ويختار الباحث ما ذهب إليه ابن جماعة، فعلة تقديم (قارون) على (فرعون) لعلمه بالتوراة، وأما تقديم (فرعون) على (قارون) في آية غافر فجاء مناسبة لما تقدم من آيات، ويضيف الباحث سرا آخر، فتقديم فرعون على قارون أولى كونه الملك وصاحب المال، وقارون وزير معه.

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ١٥ / ٢٧٧

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم، ٧ / ٢٧٣

اللفظة الحادية والعشرون: (صحف إبراهيم وموسى)

وردت لفظة (صحف موسى) مقدمة على لفظة (صحف إبراهيم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ (النجم:٣٦،٣٧)

وتقدمت لفظة (صحف إبراهيم) على لفظة (صحف موسى) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (الأعلى: ١٩)

إن المتأمل والناظر للآيتين يجد بينهما الاختلاف بارزا بالتقديم والتأخير، ولذلك لا بد من الوقوف على كتب التفسير وكتب المتشابه اللفظي التي عنيت بمسائل التقديم والتأخير في ألفاظ القرآن الكريم التي توافرت للباحث من أجل الوصول إلى الغرض البلاغي وراء التقديم والتأخير.

أرجع الرازي (ت ٦٠٦ هـ) العلة في تقديم صحف موسى (عليه السلام) على صحف إبراهيم (عليه السلام) في آية النجم إلى السياق، ذلك لأن سياق الآيات يتحدث عن أهل الكتاب، وهم اليهود، فقدم كتابهم، ولذلك ناسب تقديم صحف موسى على صحف إبراهيم

وأما علة تقديم صحف إبراهيم (عليه السلام) على صحف موسى(عليه السلام) في آية الأعلى، فذكر أن العلة وراء ذلك ترجع إلى ترتيب الوجود في الإنزال، فصحف إبراهيم (عليه السلام) كانت قبل صحف موسى (عليه السلام).[١]

ووافق السيوطي (ت ٩١١ هـ) الرازي في بيان العلة وراء تقديم صحف إبراهيم على صحف موسى (عليهما السلام)، فصحف إبراهيم كانت قبل صحف موسى في السبق والايجاد والإنزال.[٢]

ويرى الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) أن العلة وراء تقديم صحف موسى على صحف إبراهيم في آية النجم جاءت بسبب كثرة انتشارها، وأيضا لمراعاة رؤوس الآيات، وأما العلة وراء تقديم صحف إبراهيم على صحف موسى في آية الأعلى فجاءت لأجل السبق في النزول والتشريف، فهو بذلك يوافق الرازي ولكنه أضاف علة أخرى وهي التشريف.[٣]

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٣

[٢] ينظر: معترك الأقران ١/ ١٣٣، ١٣٤

[٣] ينظر: البرهان في علوم القرآن / ٧٧٤

ووافق أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[١] والألوسي (ت ١٢٧٠هـ)[٢] الزركشي في بيان علة تقديم صحف موسى على صحف إبراهيم.

وخالف البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) من سبقه في بيان علة تقديم صحف موسى على صحف إبراهيم في آية النجم، فذكر أن العلة وراء ذلك ترجع إلى عظم كتاب موسى، فكتاب موسى أعظم كتاب بعد القرآن.

وأما العلة وراء تقديم صحف إبراهيم على صحف موسى في آية الأعلى، جاءت لاشتمال صحفه على المواعظ بخلاف صحف موسى، ولذلك قدمت.[٣]

ووافق الخطيب الشربيني (ت٩٧٧ هـ) [٤] البقاعي في بيان علة تقديم صحف موسى على صحف إبراهيم، فكتاب موسى أعظم كتاب بعد القرآن الكريم.

وبيّن الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣ هـ) أن العلة والسبب وراء تقديم صحف موسى على صحف إبراهيم في آية النجم، جاءت لاشتهارها بسعة ما فيها من الهدى والشريعة، وأما صحف إبراهيم فكان المأثور فيها أشياء قليلة وقدرت بعشر صحف ، وأما علة تقديم صحف إبراهيم على صحف موسى في آية الأعلى فجاءت لوقوعها بدلا من الصحف الأولى فقدمت في الذكر أقدمهما.[٥]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- اختلف العلماء في بيان علة تقديم صحف إبراهيم على صحف موسى.
- البعض من العلماء نظر إلى مناسبة السياق لبيان علة التقديم في آية الأعلى، وآخرون أعادوا الأمر إلى كثرة الانتشار، وكثرة المواعظ.

---

[١] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ٨ / ١٦٣، ٩ / ١٤٧

[٢] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٢٧ / ٦٦

[٣] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩ / ٧١، ٢١ / ٤٠٨

[٤] ينظر: الخطيب الشربيني : شمس الدين محمد بن أحمد، السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤ / ٨٩، ٩٠

[٥] ينظر : التحرير والتنوير، ٢٧ / ١٣٢

- وأما بيان علة تقديم صحف موسى على صحف إبراهيم في آية النجم فجاء التقديم على الأصل في الوجود، والإنزال.
- ويختار الباحث ما ذهب إليه الرازي، فتقديم صحف موسى على صحف إبراهيم جاء لمناسبة سياق الآيات، فالسياق يتحدث عن اليهود فناسب تقديم كتابهم، وأما تقديم صحف إبراهيم على صحف موسى فجاء لعلة السبق في الإيجاد والنزول، فصحف إبراهيم أسبق في الايجاد والنزول من صحف موسى.

اللفظة الثانية والعشرون: (الشمس والقمر)

وردت لفظة (الشمس) مقدمة على لفظة (القمر) في أربعة عشر موضعا.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٤)

وتقدمت لفظة (القمر) على لفظة (الشمس) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾ (نوح: ١٦)

إن المتأمل والناظر في القرآن الكريم، يجد كثيرا ما تقترن لفظة (الشمس) بلفظة (القمر)، وعندما نتتبع آيات القرآن الكريم، نجد أن أغلب الآيات تتقدم فيها لفظة (الشمس) على لفظة (القمر)، وهذا هو الأصل في القرآن الكريم، ولم يجد الباحث في آيات القرآن تقدم لفظة (القمر) على لفظة (الشمس) إلا في موضع واحد ذكره سابقا.

ولبيان سبب هذا التقديم والتأخير لكلتا اللفظتين، وقف الباحث على كتب التفاسير ،والكتب التي عنيت بتوجيه المتشابه اللفظي التي توافرت له، وجاءت توجيهاتهم للمسألة كالآتي:

ذكر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) أن العلة والسبب وراء تقدم ذكر الشمس على ذكر القمر في القرآن، جاءت لأن الشمس أكبر وأعجب، والنفس تطلب سبب الأمر العجيب أكثر مما

---

[1] ملحق فهر الآيات، ص ٣٣

تطلب سبب الأمر الذي لا يكون عجيبا، ولذلك تقدم ذكر الشمس على ذكر القمر في القرآن الكريم.[١]

وأما الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) فله توجيه جميل في بيان علة تقديم الشمس على القمر في القرآن، فالشمس عنده أصل، والقمر فرع؛ لأن القمر يستمد نوره من الشمس، ولذلك تقدمت الشمس على القمر.

وأما تقدم القمر على الشمس، كما في آية نوح فذكر أن الأمر يحتمل وجهين:

- مناسبة رؤوس الآيات.
- انتفاع أهل السموات بالقمر أكثر من الشمس.[٢]

ووافق السيوطي (ت ٩١١ هـ)[٣] ومحمود السيد شيخون[٤] الزركشي في بيان العلة وراء تقديم الشمس على القمر في آية الأعراف.

وأرجع الزركشي العلة وراء تقديم القمر على الشمس في آية نوح إلى رعاية الفاصلة القرآنية.[٥]

وأما فاضل السامرائي فله تخريج آخر لهذه الظاهرة البيانية، فذكر أن علة تقديم الشمس على القمر في القرآن جاءت للأهمية والعناية.[٦]

وخالف اسماعيل البروسوي الحنفي (ت ١١٣٧ هـ) من سبقه في بيان علة تقديم الشمس على القمر في القرآن الكريم، فذكر أن علة تقدم الشمس على القمر، جاءت لكون الشمس معدن الأنوار الفلكية من البدور الفلكية، والنجوم أصلها في النورانية، وأن أنوراهم مقتبسة من نور الشمس.[٧]

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب ٢٥/ ١٤٠

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن ، ص٧٧٨

[٣] ينظر: معترك الأقران ١/ ١٣٢

[٤] ينظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم /٩٠

[٥] ينظر: البرهان في علوم القرآن ، ص ٧٧٨

[٦] ينظر: السامرائي : فاضل صالح ، على طريق التفسير البياني، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، ت: ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م،٢ / ١٣٨

[٧] ينظر: الحنفي: اسماعيل حقي ، تفسير روح البيان، المطبعة العثمانية ١٣ / ٤٢٢

وذكر الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) رأي جميل في بيان علة تقدم ذكر الشمس على ذكر القمر في القرآن الكريم؛ فجاءت العلة رعاية للمطابقة مع ما تقدم من الآيات، ولأنها أسنى مكانة ومكانا، وبناء على ما قيل من أنها في السماء الرابعة والقمر في السماء الأولى.[١]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي :

أغلب العلماء الذين تطرقوا إلى مسألة تقديم وتأخير الشمس على القمر ذكروا العلة وراء تقديم الشمس على القمر، ولكن القلة منهم ذكروا علة تقديم القمر على الشمس.

فعلة تقديم الشمس على القمر كانت عند العلماء مختلفة، فمنهم من ذكر أنها الأصل، وأنها معدن الأنوار الفلكية، وآخرون أرجعوا السبب إلى رعاية المطابقة لما تقدم، أو لمناسبة الضرورة، وأما علة تقدم القمر على الشمس فجاءت لمناسبة رؤوس الآيات أو لرعاية الفاصلة القرآنية.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الزركشي في بيان علة تقديم الشمس على القمر في القرآن؛ لأن الشمس أصل في الوجود تضئ بنفسها، وأما القمر فيستمد نوره منها، ولكونها أصلا في الوجود قدمت، وكذلك العلة وراء تقديم القمر على الشمس في آية نوح، ولذلك العلة وراء ذلك التقديم هو لمناسبة رؤوس الآيات.

اللفظة الثالثة والعشرون:(الضالون- المكذبون)

وردت لفظة (الضالون) مقدمة على لفظة (المكذبين) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٥١)

وتقدمت لفظة (المكذبون) على لفظة (الضالين) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الواقعة: ٩٢)

إن الموقف من التقديم والتأخير في (الضالين والمكذبين) على ما ورد في الآيات التي تقدم ذكرها عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٨ / ١٣٨

انقسم علماء التفسير والمتشابه اللفظي إلى قسمين، فمنهم من فسر مسألة (المكذبين – الضالين) ولم يبين العلة من التقديم والتأخير ،وآخرون تناولوا المسألة وتطرقوا إلى العلة البلاغية وراء التقديم والتأخير.

وتوجيهات من تناول المسألة،وبيّن العلة وراء التقديم والتأخير، جاءت كالآتي:

ذكر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) أن علة تقديم (الضالين على المكذبين) جاءت للمناسبة، مناسبة ما تقدم من آيات، فهم أصروا على الحنث العظيم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة: ٤٦) فضلوا في سبيل الله، ولم يصلوا إليه، وذلك ضلال عظيم ثم كذبوا رسله فكذبوا بالحشر، لذلك قدمت لفظة الضالين على لفظة المكذبين.

وأما علة تقديم لفظة (المكذبين) على لفظة (الضالين) فجاءت لمناسبة ما تقدم من آيات؛ لأن بدء الخطاب في الآية كان للكفار ،فهم كذبوا بالحشر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ (الواقعة:٨١) فضلوا طريق الخلاص، لذلك هم لا يهتدون إلى النعيم، وعندها قُدمت لفظة (المكذبين) على (الضالين) لمناسبة ما تقدم.[١]

ووافق ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) الرازي في بيان علة تقديم الضالين على المكذبين، وذكر أن علة تقديم المكذبين على الضَّالين جاءت لأنهم أصرُّوا على الحنث العظيم فضلوا عن السبيل ، ثم كذبوا الرسول ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (الواقعة: ٤٧) ولذلك ناسب تقديم لفظة (الضالين) لتكذيبهم الرسول.[٢]

وذكر الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) علة تقديم (الضالين على المكذبين) جاءت لأجل الذم بسبب ما ابتلوا به من العذاب.

وأما تقديم (المكذبين على الضالين) فجاء مناسبا للسياق؛ لأن الخطاب هنا للمكذبين الكفار الذين ضلوا، فقدم تكذيبهم إشارة إلى كرامة النبي (ﷺ)، حيث بيّن الله تعالى أن أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم بالبعث.[٣]

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٧٥

[٢] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ١ / ٤٧٩٥

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٢٧/ ١٩١

وجاءت العلة عند الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) في تقديم وصف الضالين على المكذبين مراعاة الترتيب والحصول، فهم ضلوا عن الحق، وكذبوا بالبعث ليحذروا من الضلال ويتدبروا في دلائل البعث.[١]

وأما علة تقديم (المكذبين) على (الضالين) فجاءت بسبب تكذيبهم البعث، والكلام هنا على عذاب قد حان حينه، وفات وقت الحذر منه، فبيّن سبب عذابهم وذكروا بالذي أوقعهم في سببه، ليحصل لهم ألم التندم.[٢]

وأرجع فاضل السامرائي علة تقديم (الضالين على المكذبين) إلى مناسبة ما تقدم من آيات قبلها، فتقدم قبلها أصحاب الشمال، وذكروا أنهم كانوا مترفين، ،وأنهم كانوا على الحنث العظيم، وهذا من الضلال، ثم ذكر بعد ذلك تكذيبهم بيوم البعث قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (الواقعة: ٤٧)

وأما تقديم المكذبين على الضالين فيرجع إلى سياق الآية، فهي واقعة في سياق التكذيب [٣]؛ بسبب وورد قبلها ذكر التكذيب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٨١، ٨٢)

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

أغلب العلماء فسرت تقديم وتأخير (الضالين على المكذبين) إلى مناسبة السياق، سياق الآيات المعنوي الواقعة فيه.

ويوافق الباحث ما ذهب إليه الرازي، فعلة التقديم في كلا الموضعين جاءت للمناسبة، مناسبة سياق ما تقدم من آيات، فالترتيب للفظتين جاء وفق ما يقتضيه السياق من ترتيب الآيات، فتقدمت لفظة الضالين على المكذبين بسبب ترفهم، وإصرارهم على الحنث

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ٣٠٩/٢٧

[٢] نفسه / ٣٤٩

[٣] ينظر: السامرائي : فاضل صالح ، من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط١، ت: ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م، ص ١١٩

على العظيم، وتقديم المكذبين على الضالين بسبب تكذيبهم بالحديث وبالرسول (صلى الله عليه وسلم).

اللفظة الرابعة والعشرون: (الكتاب – القرآن)

وردت لفظة (الكتاب) مقدمة على لفظة (القرآن) في موضع واحد في سورة الحجر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ (الحجر: ١)

وتقدمت لفظة (القرآن) على لفظة (الكتاب) في موضع واحد في سورة النمل.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾ (النمل: ١)

إن الاختلاف واضح بين الآيتين بالتقديم والتأخير، فأحيانا تتقدم لفظة (الكتاب) على لفظة (القرآن) كما في آية الحجر، ومرة تتقدم لفظة (الكتاب) على لفظة (القرآن) كما في آية النمل، وتجلى موقف العلماء للباحث من مسألة التقديم والتأخير في كلا الموضعين كالآتي:

يرى الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أن لا فرق بين الكتاب والقرآن من حيث التقديم والتأخير فهما كالمتعاطفين [١]، ووافق أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) الزمخشري في ذلك.[٢]

ولم يذكر الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) علة التقديم والتأخير صراحة ولكن يمكن الوصول إلى ذلك من خلال سياق شرحه للآية.

فتقديم لفظة (الكتاب) على لفظة (القرآن) في آية الحجر جاء لأجل غرض المناسبة والمطابقة، مطابقة ما وقع بعدها من آيات، فقدم (الكتاب) لوقوع بعدها قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ (الحجر: ٤) وأُخرت لفظة (القرآن) لوقوع بعدها قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) لذلك ناسب تقديم الكتاب على القرآن لمناسبة ومطابقة ما وقع بعدهما من آيات.

وأما في آية النمل فقدمت لفظة (القرآن) على لفظة (الكتاب)،ذلك لأنه وقع بعدها قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل:٦) فالتقديم جاء لأجل المناسبة

---

[١] ينظر: الكشاف ٤/ ٤٢٩

[٢] ينظر: البحر المحيط ٥ / ٤٣٢

والمطابقة، مطابقة ما وقع بعدها من آيات، وزيادة على ذلك ذُكرت أيضا آيات النبي موسى (عليه السلام) ثم اتبعت بقصة النبي داوود (عليه السلام).[١]

وأرجع البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) علة تقديم الكتاب على القرآن في آية الحجر إلى القطع الغالب في آية الحجر الذي هو من لوازم الكتاب، ويراد بالقطع (الفصل في الأحكام) والقطع هنا قطع بأمر الملائكة والأجل وحفظ الكتاب، والرمي بالشهب، ولذلك ناسب تقديم لفظة الكتاب على لفظة القرآن.

وأما علة تقديم (القرآن على الكتاب) في آية النمل فجاءت بسبب العناية بالنشر الذي هو من لوازم الجمع في مادة قرأ لذلك قدم القرآن، والنشر هنا واضح، إذ إن قصة النبي موسى (عليه السلام) منتشرة في أكثر من موضع، بداية تفريقه من أمه، ثم خروجه من وطنه إلى أرض مدين، وأيضا نشر قصة النبي سليمان (عليه السلام) مع الجن،ومع النملة، ومع ملكة سبأ،وقصة النبي صالح والنبي لوط (عليهما السلام)،كلها قصص منتشرة ومجموعة في القرآن الكريم،ولذلك ناسب تقديم القرآن على الكتاب.[٢]

وأما الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) فعلل تقديم وتأخير (الكتاب على القرآن) في كلتا الآيتين جريا على قاعدة العرب في تفننهم في الكلام. [٣]

وبيّن الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أن علة تقديم (الكتاب على القرآن) في آية الحجر؛ جاءت على أصل الوجود.

وأما علة تقديم (القرآن على الكتاب) في آية النمل ذلك لأنه أدل على الخصوصية المنزل على محمد (ﷺ)، وأيضا للتفخيم إذ إنه اشتمل على جنس الكتب السماوية حتى قيل كأنه كلها، ويمتاز عن غيره بالبديع والنسيج.[٤]

وذكر الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) أن السياق كان علة التقديم والتأخير لكلتا اللفظتين، فسياق الكلام في آية الحجر توبيخ للكافرين والمنكرين للبعث،وتهديهم بأنهم سياتي

---

[١] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي ، ص (٦٩٢- ٦٩٣)

[٢] ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/ ٣، ١٤ / ١٢٣

[٣] ينظر : فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن / ٤١٧

[٤] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ١٤ / ٤، ١٩ / ١٥٥

وقت يتمنون فيه لو كانوا مؤمنين، فناسب تقديم الكتاب المنزل على محمد (ﷺ) بعنوانه الأعم على القرآن.

وأما تقديم القرآن في آية النمل على الكتاب، فجاء لمناسبة السياق؛ لأن السياق والمقام هنا تنويه بالقرآن المخاطب به المؤمنين الذين يقرؤونه ويدرسونه ولذلك ناسب تقديمه.[1]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- اختلف العلماء في تعليل تقديم وتأخير لفظتي (القرآن والكتاب) في كلا الموضعين.
- الباحث لا يوافق ما ذهب إليه الأنصاري، عندما ذكر أن العلة جاءت في كلتا الآيتين جريا على قاعدة العرب في تفننهم في الكلام؛ لأن القرآن يقدم ويؤخر ليس جريا على قاعدة العرب، وإنما لعلة بلاغية أو معنوية أرادها الله سبحانه من وراء ذلك كونه كلام الله ومعجز وتحدى به فصحاء العرب.
- يختار الباحث ما ذهب إليه ابن عاشور من اعتماد السياق، فسياق الآيات وما يقتضيه من تقديم هو الفيصل والعلة وراء التقديم والتأخير .

---

[1] ينظر : التحرير والتنوير ١٤ / ٨-١٠، ١٩ / ٢١٨

اللفظة الخامسة والعشرون: (أنعامهم – أنفسهم)

وردت لفظة (أنعامهم) مقدمة على لفظة (أنفسهم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧)

وتقدمت لفظة (لكم) على لفظة (أنعامهم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس: ٣٢)

إن الموقف من التقديم والتأخير في (أنعامهم – أنفسهم) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

ذكر الرازي (ت٦٠٦هـ) أن علة تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة جاءت لتقدم ذكر الزرع، فالزرع أول ما ينبت تأكله الدواب، ولا يصلح للإنسان، فهو غذاء للإنسان، وبعد ذلك يصبح الحيوان غذاء للإنسان.[١]

ووافق ابن عادل الدمشقي (ت٨٨٠هـ) ما ذكره الرازي ولم يزد عليه شيئا.[٢]

وأما أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) فوافق الرازي في بيان تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة، بيد أنه أضاف لفتة بيانية جميلة لبيان علة التقديم، فذكر أن العلة جاءت للبدء بالأدنى (الأنعام) ثم الترقي إلى الأشرف (بني آدم).[٣]

وبيّن الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أن علة تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة جاءت من باب تقديم السبب، وقد سبق ذكره.[٤]

وأوضح البقاعي (ت٨٨٥هـ) أن علة تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة جاءت من باب الامتنان من الله على البشر؛ لأن بها قوامهم في معايشهم وأبدانهم، ثم إن السياق يتحدث عن إخراج الزرع.

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٥ / ١٨٨

[٢] ينظر: الباب في علوم الكتاب، ١٥ / ٤٩٢

[٣] ينظر: البحر المحيط، ٧ / ٢٠٠

[٤] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص٧٨٣

وأما علة تقديم لفظة (لكم) على لفظة (أنعامكم) في آية عبس فجاءت للمناسبة؛ ذلك لأن السياق في السورة ذكر طعام الإنسان الذي هو نهاية الزرع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾، فناسب تقديم (لكم) أي أنفسكم على (أنعامهم).[١]

ووافق السيوطي (ت ٩١١ هـ) البقاعي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.[٢]

وذكر الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أن علة تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة، هي أن انتفاع الأنعام لا يكون إلا من النبات الذي تقدم ذكره، بخلاف الإنسان الذي قد يتغذى بغيره، ولأنها تأكله قبل أن يثمر ويخرج سنبله، أو قدمت من باب الارتقاء من الأدنى إلى الأشرف.[٣]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر الرازي إلى السياق وما يقتضيه من تقديم لبيان علة تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة، والباحث يوافق الرازي في ذلك؛ لأن السياق المعنوي للآيات المتقدمة في الذكر استدعى ذلك التقديم.
- لم يبّن الرازي، وأبو حيان الأندلسي، والزركشي، وابن عادل الدمشقي، والألوسي بيان علة تقديم لفظة (لكم) على (أنعامكم) في آية عبس.
- انفرد أبو حيان الأندلسي برأي جميل عمن سبقه في بيان علة تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة.
- يقصد الزركشي في بيان علة التقديم (بالسبب) أي أن الزرع عندما تأكل منه الأنعام فتصبح طعامًا للإنسان، لذلك النبات سبب لطعام الإنسان.

---

[١] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٥ / ٢٦٩

[٢] ينظر: معترك الأقران، ١/ ١٣٢

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٢١ / ١٤٠

- اعتمد البقاعي على مناسبة للآيات؛ لبيان علة لفظة (لكم) على لفظة (أنعامكم) في آية عبس، والباحث يوافق البقاعي فيما ذهب إليه؛ لأن السياق غالبا ما يكون الحكم والفيصل في بيان العلة وراء التقديم والتأخير.
- وافق الألوسي أبا حيان في بيان تقديم لفظة (أنعامهم) على لفظة (أنفسهم) في آية السجدة، عندما ذكر أن علة التقديم جاءت للترقي من الأدنى(الأنعام) إلى الأشرف (بني آدم).

ويرى الباحث أن العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين، جاءت للتناسب السياق المعنوي للآيات التي تقدم ذكرها في كلا الموضعين.

فآية السجدة تقدم قبلها ذكر النبات، وعادة النبات يكون غذاء للأنعام، ولذلك ناسب تقديم لفظة (الأنعام) على لفظة (أنفسهم).

وأما آية عبس، فتقدم قبلها ذكر طعام الإنسان، ولذلك ناسب تقديم لفظة (لكم) أي (أنفسكم) على لفظة (أنعامكم). إذن السياق المعنوي واللفظي يجعلنا ندرك بلاغة اللفظ في القرآن.

اللفظة السادسة والعشرون: (الابن – الأخ)

وردت لفظة (الابن) مقدمة على لفظة (الأخ) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ ﴾ (المعارج: ١١،١٢)

وتقدمت لفظة (الأخ) على لفظة (الابن) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (عبس: ٣٤، ٣٥، ٣٦)

إن الموقف من التقديم والتأخير في لفظتي (الابن – الأخ) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

بيّن الطبري (ت ٣١٠ هـ) أن علة تقديم (الابن) على (الأخ) في آية المعارج؛جاءت إعلامًا منه عباده، أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء، يفتدي نفسه لو وجد

إلى ذلك سبيلا بأحب الناس إليه في الدنيا، وأقربهم نسبًا، ولذلك ناسب تقديم (الابن) على (الأخ).[١]

وذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أن علة البدء بالأخ في آية عبس جاءت بغية الهروب والحذر من مطالبته بالتعبات في الدنيا، كمثل أن يقول له لم تواسيني بمالك، وأخّر الابن لتعلق القلب به.[٢]

ووافق الرازي (ت ٦٠٦هـ)[٣]، والنسفي (ت ٧١٠هـ)[٤]،وابن عادل الدمشقي (ت٨٨٠هـ)[٥] الزمخشري في بيان علة تقديم الأخ على الابن في آية عبس.

وبيّن البقاعي (ت٨٨٥هـ) أن علة تقديم (الابن) على (الأخ) في آية المعارج، ذلك لأن السياق يتكلم عن الافتداء من قبل المجرم، فبدأ بأعزهم لشدة هول ما يرى، ولنصرته، والذب عنه. [٦]

وأما علة تقديم (الأخ) على (الابن) في آية عبس فجاءت لمناسبة السياق، ذلك لأن السياق يتكلم عن الفرار، فقدم أدناهم رتبة في الحب على سبيل الترقي، لذلك بدأ بالأخ كونه أقل رتبة في الحب من الأبن.[٧]

ووافق فاضل السامرائي[٨]، وعبد الفتاح لاشين[٩]، البقاعي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

---

[١] ينظر: تفسير الطبري، ٢٣ / ٢٥٩

[٢] ينظر: الكشاف، ٦ / ٣١٨

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب، ٣١ / ٦٥

[٤] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣ / ٦٠٤

[٥] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٢٠ / ١٧١

[٦] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٠ / ٣٩٦

[٧] ينظر: نفسه ، ٢١ / ٢٧٠

[٨] ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ١٩٣

[٩] ينظر: لاشين :عبد الفتاح ، من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، دار المريخ للنشر والطباعة، ت: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٢٢٠

وذكر الألوسي (ت١٢٧٠هـ) أن علة تقديم (الابن) على (الأخ) في آية المعارج جاءت لأن كل مجرم مشتغل بنفسه في ذلك اليوم، ويتمنى أن يفتدي بأقرب الناس لديه، لذلك بدأ بالابن كونه أقرب الناس لديه.[١]

وأما علة تقديم (الأخ) على (الابن) في آية عبس فجاءت من باب الترقي من الأدنى إلى الأرقى من حيث المنزلة في القلب، ولأجل المبالغة في الحب والمكانة، وبما أن الأخ أقل منزلة من منزلة الابن فناسب تقديمه.[٢]

ورأى الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، أن الترتيب الموجود في آية المعارج، عائد إلى شدة الميل الطبيعي لهم في العرف الغالب؛ لأن الميل الطبيعي ينشأ عن الملازمة، وكثرة المحافظة، ولذلك قدم (الابن) على (الأخ) لأن الميل نحوه أشد من الميل نحو الأخ.[٣]

ووافق الألوسي في بيان علة تقديم (الأخ) على (الابن) في آية عبس، التي جاءت من باب التدرج والترقي من الأدنى إلى الأعلى. [٤]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- اعتمد الزمخشري ومن وافقه على المعاني العامة التي تحملها الألفاظ في آية عبس.
- لم يتطرق الزمخشري ومن وافقه إلى العلة وراء تقديم الابن على الأخ في آية المعارج

ويختار الباحث ما ذهب إليه البقاعي من جعل السياق والمقام العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

فهاتان الآيتان عرض الله فيهما مشهدين من مشاهد يوم القيامة، حين يتدافع الناس لمعرفة مصيرهم، وتتقطع المودة والقرابة بينهم.

---

[١] ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٢٩ / ٦٠

[٢] نفسه، ٣٠ / ٤٨

[٣] ينظر: التحرير والتنوير،٢٩ / ١٦١

[٤]ينظر: التحرير والتنوير، ٣٠ / ١٣٥

ففي آية المعارج المشهد أشد خوفًا وروعة من مشهد آية عبس؛ لأن هنا المجرم يرى مقعده ومصيره، ولذلك يفتدي نفسه من عذاب ربه بالذين كانت لهم قرابة ومنزلة من قلبه، ولأجل هذا بدأ بأقربهم معزة وحبًا في قلبه، ولما كانت منزلة الابن كبيرة قدمه في الافتداء.

وأما آية عبس، تصوير لحالة الفرار من خطر وقع عليه، وبالتالي يتم التخلي عن الأبعد في نفسه وقلبه، وينتهي بالأقرب منزلة من قلبه، ولذلك ناسب تقديم (الأخ) كون منزلته أقل من منزلة (الابن) في قلبه.

المبحث الثاني: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الاسم على الاسم.

اولا : تقدم الاسم المعرف باللام على المعرف بالإضافة(هدى الله – الهدى)

وردت لفظة (هدى الله) مقدمة على لفظة (الهدى) في موضعين.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا ﴾ (البقرة: ١٢٠)

وتقدمت لفظة (الهدى) على لفظة (هدى الله) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(آل عمران: ٧٣)

إن الموقف من التقديم والتأخير في (هدى الله – الهدى) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

انقسم علماء التفسير والمتشابه اللفظي إلى قسمين، فمنهم من فسر مسألة التقديم والتأخير (هدى الله – الهدى) ولم يبيّن العلة وراء التقديم والتأخير ، وآخرون تناولوا المسألة وتطرقوا إلى العلة وراء التقديم والتأخير، وجاءت توجيهاتهم كالآتي:

ذكر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) أن علة تقدم (الهدى هدى الله) في آية آل عمران جاءت لمناسبة ما تقدم من آيات، فيقصد بالهدى هو الدين ودليل ذلك قوله تعالى في أول الآية (لمن تبع دينكم)، وأما (هدى الله) هو الإسلام، فكأنه قال بعد قولهم (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) فجاء الجواب (قل إن الدين عند الله الإسلام) كما جاء في أول السورة، لذلك جاء التقديم لأجل المناسبة وسبق ما يقتضي تقديمه.

وأما علة تقديم (هدى الله على الهدى) في آية البقرة فجاءت لأجل المناسبة وسبق ما يقتضي تقديمه من آيات، فذكر أن الآية نزلت في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وتقدير الآية (قل إن قبلة الله هي الكعبة).[2]

---

[1] وردت في سورة الأنعام / ٧١

[2] ينظر : البرهان في توجيه المتشابه اللفظي ، ص ٩٢

ووافق السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ)[١]،وابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ)[٢] والأنصاري (ت ٩٢٦هـ)[٣] والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[٤] الكرماني في ذلك.

وأما الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)[٥] فلم يصرح بعلة التقديم والتأخير (هدى الله – الهدى) بيد أن الباحث توصل من خلال سياق تفسيره إلى الآتي:

آية البقرة تتحدث عن تعنت اليهود في دخول الإسلام حتى إنهم قالوا لن نرضى عنك وإن بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا، فحكى الله كلامهم هذا في القرآن، فجاء الجواب من الله تعالى، قل لهم يا محمد: إن هدى الله هو الهدى، أي دين الله هو الإسلام، وما تدعون إليه هو الهدى، فقدم هدى الله على الهدى؛ لمناسبة سياق الآيات التي تقدمت، وأحوال اليهود.

وأما علة تقدم (الهدى) على (هدى الله) في آية آل عمران، فذكر الزمخشري أن آية آل عمران نزلت في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فاليهود أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار وكفروا به في آخر النهار؛ لأن الأمر جاء بتحويل القبلة وقت صلاة الظهر، فظنوا أن الفرصة سنحت لهم في تشكيك أصحاب محمد بمحمد ودينه، وقالوا إن ذلك غير مذكور في التوراة، فجاء الجواب من الله أن الهدى هو هدى الله أي أن الكعبة هي قبلة الله، فجاء التقديم لأجل المناسبة وسبق ما يقتضي تقديمه من آيات.

---

[١] ينظر: بحر العلوم ١/ ٢٧٧

[٢] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني المسألة ٤١، ص ١٠٤

[٣] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن ، ص ٣٧

[٤] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (بصيرة الم) ١/ ١٦٥

[٥] ينظر: تفسير الكشاف ١/ ٣١٦، ٥٦٩

وخلاصة القول:

بدا خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- كل من تناول مسألة (هدى الله – الهدى) من العلماء اتفقوا على أن الغرض من هذا التقديم والتأخير في كلتا الآيتين جاء لأجل مناسبة سبق ما يقتضي تقديمه.
- وخالف الزمخشري الكرماني في بيان علة تقدم (الهدى) على (هدى الله).

ويختار الباحث ما ذهب إليه الزمخشري، فآية البقرة نزلت في اليهود، وليس في تحويل القبلة ودليل ذلك قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم)، فجاء الرد من الله قل لهم يا محمد: أن هدى الله (الدين) هو الهدى (القرآن).

فجاء التقديم لآجل مناسبة سبق ما يقتضي تقديمه، وأما في آية آل عمران فنزلت في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وقت صلاة الظهر ودليل ذلك قوله تعالى {وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } فهم آمنوا به أول النهار، ثم عندما جاء الأمر بتحويل القبلة في آخر النهار كفروا به، لذلك جاء التقديم لأجل مناسبة سبق ما يقتضي تقديمه.

ثانيا: تقدم الحال على الصفة (فجاجا – سبلا)

وردت لفظة (فجاجا) مقدمة على لفظة (سبلا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣١)

وتقدمت لفظة (سبلا) مقدمة على لفظة (فجاجا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (نوح: ٢٠)

هاتان الآيتان الكريمتان ذكرهما معظم المفسرين في تفاسيرهم التي توافرت للباحث مبينين ما فيهما من معان، وأحيانا يذكرون علة التقديم والتأخير، وإن كانت آراء البعض منهم نقلها عن الآخر، وفي الجانب الآخر لم يجد الباحث لهما توجيها في الكتب التي عنيت بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم التي توافرت له.

أولا: المقصود بكلمة (الفجاج) هي الطريق الواسعة بين جبلين، أو الطرق الواسعة البعيدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج: ٢٧)

وأما (السبل) فهي الطريق المنبسطة في الأرض. [١]

تناول الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) مسألة تقديم وتأخير (الفجاج على السبل) من جانب نحوي، فقدمت الفجاج على السبل في آية الأنبياء؛ لأنها صفة ولكنها جعلت حالا كقوله: (لعزة موحشا طلل قديم)، والفرق في المعنى بين آية الأنبياء، وآية نوح، ففي الأنبياء إعلام سبحانه حين خلقها، خلقها على تلك الصفة ، فهذه الآية بيان لما أبهم، وأما في آية نوح فسبحانه جعل فيها طرقا واسعة.[٢]

---

[١] ينظر: مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مادة: ف ج ج ، ص ٥٥٣ ، ٨٤١، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الاسلامية، استانبول تركيا، مادة ف ج ج ، ص ٤١٥ ، ٦٧٤

[٢] ينظر: الكشاف ٢ /٥٧٠، ٤ / ٥٧٠

ووافق الرازي (ت ٦٠٦ هـ)[١] والنسفي (ت ٧١٠ هـ)[٢] وأبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٣] الزمخشري فيما ذهب إليه.

وأما أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) ففسر مسألة التقديم والتأخير(الفجاج على السبل) بالنظر إلى الضمير فـ(فيها) في آية الأنبياء، فذكر أن الضمير يعود على الرواسي، ولذلك ناسب تقديم الفجاج على السبل، ووافق الزمخشري في التفريق من حيث المعنى بين الآيتين.[٤]

وللألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) كلام طويل حول هاتين الآيتين، أورد فيه رأي الزمخشري، ولكنه اختلف معه في إعراب (فجاجا)، فأعربها منصوبة على المفعولية للفعل جعل، وذكر أن الله تعالى خلق الفجاج للسابلة مع ما فيه من التأكيد والتكرار، وعلى نية تكرار العامل، ثم يذكر أن آية الأنبياء واردة للامتنان على سبيل الإجمال، وآية نوح واردة للاعتبار على سبيل الحث على إمعان النظر.[٥]

ووافق الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ما ذهب إليه الألوسي في الغرض من التقديم والتأخير في كلا الموضعين.[٦]

وأشار فاضل السامرائي إلى الغرض من تقديم وتأخير(الفجاج والسبيل) في كلا الموضعين. فتقديم (الفجاج) على (السبل) في آية الأنبياء جاء لأجل سبق ما يقتضي تقديمه في السياق، ففي هذه الآية تقدم ذكر الرواسي وهي (الجبال) لذلك اقتضى تقديم الفجاج التي تكون بين الجبال.

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب ١٧ / ١٦٥

[٢] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢ / ٤٠٢

[٣] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦ / ٦٥

[٤] ينظر: البحر المحيط ، ٦ / ٢٨٧

[٥] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ١٧ / ٣٨

[٦] ينظر: التحرير والتنوير، ١٧ / ٥٨

وأما في آية نوح فلم يرد ذكر الجبال فأخرها، فوضع كل لفظة في الموضع الذي يقتضيه السياق.[1]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- أغلبهم نظر إلى السياق وجعلوه علة للتقديم.
- بيّن الألوسي من خلال سياق شرحه للآيتين أن التقديم والتأخير في كلا الموضعين جاء لمناسبة السياق، إذ إن السياق في آية الأنبياء يدل على امتنان الله للعباد بالنعم، والفجاج من ضمن تلك النعم لذلك قدمت، وأما في آية نوح فالسياق يدل على الحث والاعتبار في خلق الأرض، والسبل تكون على الأرض، ولذلك قدمت السبل.

ويختار الباحث ما ذهب إليه فاضل السامرائي حينما جعل السياق علة للتقديم؛ لأن كل آية سياقها يختلف عن الآخر فآية الأنبياء سبقت بلفظة الرواسي التي هي الجبال فناسب تقديم الفجاج التي تكون بين الجبال، وأما آية نوح فسبقت بالحديث عن الأرض المنبسطة فناسب تقديم السبل، وهذا يجعلنا ندرك بلاغة اللفظ في القرآن.

---

[1] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٢

ثالثا: تقدم الظرف على التمييز (بيني وبينكم – شهيدا)

وردت لفظة(شهيدا) مقدمة على (بيني وبينكم) في أربعة مواضع. [١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء ٩٦)

وتقدمت لفظة (بيني وبينكم) على لفظة (شهيدا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٢)

إن الموقف من التقديم والتأخير في المسألة السابقة على ما ورد عند العلماء في الآيتين السابقتين، تجلى للباحث في الآتي:

اختصر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) بيان علة التقديم، فذكر أن علة تقديم الظرف (بيني وبينكم) على التمييز (شهيدا) في آية العنكبوت، فالعلة جاءت لأجل المجاورة، فوصف الله تعالى شهيدا بقوله (يعلم ما في السموات والأرض)، ولم يجز الفصل بينهما بالظرف لذلك تقدم الظرف وتأخرت لفظة (شهيدا) للمجاورة.

وذكر أن تقدم لفظة (شهيدا) على الظرف جاءت على الأصل، فالأصل في القرآن أن تتقدم الشهادة على الظرف.[٢]

ووافق ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)[٣]، والفيروزآبادي(ت ٨١٧هـ)[٤]، والأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)[٥] ما ذكره الكرماني في بيان علة تقديم الظرف على الشهادة، بيد أن ابن جماعة له رأي آخر في مسألة تقديم الشهادة على الظرف بخلاف ما ذهب إليه الكرماني، فذكر أن علة تقديم الشهادة على الظرف جاءت لعدم وجود صفة بعد الشهادة مباشرة، وإنما جاء اللفظ على القياس كقوله تعالى (وكفى بالله شهيدا، وكفى بالله وكيلا). ووافقه في ذلك الفيروزآبادي .

---

[١] وردت في السور: الأنعام / ١٩، الرعد / ٤٣، الأحقاف / ٨

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي، المسألة ٢٨٠، ص ١٦٧

[٣] ينظر: كشف المعاني، المسألة ٢٤٤، ص ٢٣٦

[٤] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز بصيرة (سبحان الذي..)، ١ / ٢٩٥

[٥] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، المسألة ٢٧، ص ٣٣٤

وبيّن الرازي(ت٦٠٦هـ) أن علة تقديم الظرف وتأخير الشهادة في آية العنكبوت جاءت لمناسبة السياق؛ لأن كلامه مع أهل الكتاب، وشهادة المرء على نفسه هو إقرار وهو أقوى الحجج عليه، لذلك قدم ما هو ألزم عليهم.[١]

وجاء توجيه النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) [٢] للمسألة توجيها عاما، ولم يتطرق لعلة التقديم والتأخير في آيتي العنكبوت والإسراء، بيد أنه ذكر أن الكلام في آية الرعد للمشركين، فاستشهد عليهم بأهل الكتاب.

وأما في آية العنكبوت فكان الكلام لأهل الكتاب فاقتصر على شهادة الله، ثم بيّن كون شهادة الله كافية بقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ (لعنكبوت: ٥٢) ثم هددهم بقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٢).

واختصر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) القول في بيان علة تقديم الظرف على الشهادة في آية العنكبوت، فذكر ان العلة جاءت لأجل العناية بذكر الناس وتفصيل أحوالهم، وفي كلامه نظر، صحيح الآية ذكرت أحوال الناس لكنها صنفتهم، فالآية لم تتحدث عن الناس بصفة عامة، ولكنها كانت تذكر المشركين الذين جحدوا وكذبوا الرسول (ﷺ)، وطلبوا من الرسول أن يكون له شهيدا، فجاء الرد من الله (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) فالله شهيدا ويعلم ما في السموات والأرض، ولم يتطرق إلى علة تقديم الشهادة على الظرف في آية الإسراء، ربما على أنها الأصل. [٣]

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) الكرماني في بيان علة تقديم الظرف على الشهادة، ولم يتطرق إلى علة تقديم الشهادة على الظرف ربما على أنها الأصل.[٤]

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب، ٥ / ٨٠، ٨١

[٢] ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ٥ / ٣٩٢

[٣] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٦١/١٤

[٤] ينظر: تفسير روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ٢١/ ٧

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر الكرماني، وابن جماعة، والفيروزآبادي، والأنصاري، والنيسابوري إلى التناسب المعنوي، في بيان علة تقديم الظرف على الشهادة.
- أغلب من جاء بعد الكرماني اعتمد عليه، وأما علة تقديم الشهادة على الظرف فجاءت على الأصل، فالأصل في القرآن أن تتقدم الشهادة، وذلك واضح في أغلب آيات القرآن التي ذكرت فيها الشهادة مع الظرف.

ويرى الباحث أن العلة وراء التقديم والتأخير من خلال ما عرض النيسابوري في الآيتين؛ جاءت لأجل المناسبة، مناسبة سياق الآيتين، لأن تقديم وتأخير الشهادة على الظرف في كلا الموضعين اعتمد على سياق الآيات، ففي آية العنكبوت الخطاب مع المشركين الذين جحدوا وكذبوا الرسول الذي بلغهم وأنذرهم، حتى أن جماعة منهم كانوا يسألون النبي ﷺ بقولهم من يشهد أنك رسول الله فجاء الرد الإلهي قل يا محمد (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا).

ويختار الباحث ما ذهب إليه الكرماني في توجيه علة تقديم الظرف على الشهادة أولى، فتعليله للمسألة كان تعليلا حسنا، لأن المجاورة تؤدي إلى إتمام المعنى وإزالة اللبس والغموض ولذلك لا بد أن تجاور الصفة الموصوف.

رابعا: تقديم الظرف على الصفة : (حيث- رغداً)

وردت الصفة (رغدا) مقدمة على الظرف (حيث) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٣٥)

وتقدمت لفظة الظرف (حيث) على لفظة الصفة (رغد) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ٥٨)

أولا: ذكر الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) أن (الرغد) وصف لموصوف دل عليه السياق أي أكلا رغدا، وأما (حيث) فظرف مكان أي من أي موضع أردتما الأكل.[١]

لم يجد الباحث فيما توافرت له من المصادر والمراجع من تناول هذه القضية بشكل مفصل، إلا أن هناك إشارات مختصرة في توجيه المسألة لبعض العلماء في بيان العلة من التقديم والتأخير لهذه المسألة، وجاءت توجيهاتهم كتالي:

بنى أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تعليله في تقديم الصفة (الرغد) على الظرف (حيث) في آية البقرة (٣٥) على المناسبة، فذكر أن لفظة (الرغد) من صفات الأكل فناسب أن تكون قريبة من العامل ولا تؤخر ولا يفصل بينهما بالظرف.

وأما علة تقديم الظرف (حيث) على الصفة (رغدا) في آية البقرة (٥٨) فجاءت لمناسبة الفاصلة في قوله تعالى (كلوا منها حيث شئتم رغدا) وقوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) فهما سجعتان متناسبتان. [٢]

وأما البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) فأورد رأي أبي حيان الأندلسي في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) دون أن يعلق عليه.[٣]

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ٢/ ٤٣٣

[٢] ينظر: البحر المحيط، ١/ ٣٨٣

[٣] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١/ ٣٩٣

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أبا حيان حول ما أورده من تعليل للمسألة ولم يزد شيئا على ذلك .[١]

وذكر عبد العظيم المطعني توجيها حسنا للمسألة، فذكر أن علة تقديم الصفة على الظرف في آية البقرة (٣٥) جاءت للأهمية؛ لأن الخطاب هنا لآدم وحواء، والطعام كان أهم عندهما من المكان، فالمكان لا يعنيهما في شيء؛ لأنهما اثنان والجنة فسيحة لا تضيق بهما، وأما علة تقديم الظرف على الصفة في آية البقرة (٨٥) فجاءت أيضا للأهمية؛ بيد أن الخطاب هنا لبني إسرائيل، والمكان أهم عندهم من الطعام، إذ ظنوا أن المكان يضيق بهم، لذلك توسعوا فيه، فقدم ما هو أهم عندهم.[٢]

وخلاصة القول:

يرى الباحث أن علة التقديم في كلتا الآيتين؛ جاءت لمناسبة السياق، ففي الآية الأولى (٣٥) السياق القرآني هنا يتحدث عن الجنة، فقدم رغدا، لأن كل ما في الجنة من أكل هو متاح ورغد.

وأما الآية الأخرى(٨٥) فقدم الظرف وأخر الرغد، فالسياق هنا في الدنيا ويتحدث عن بني إسرائيل، لذلك ناسب تقديم المكان وتأخير الرغد، لأن الرغد في الدنيا ليس واسعا كما هو في الجنة.

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ١/ ٢٦٥

[٢] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢/ ١٨٨

خامسا:(تقديم ضمير المخاطب (نرزقكم) على ضمير الغائب (إياهم) وتأخيره)

ورد الضمير المخاطب (نرزقكم) مقدما على الضمير الغائب (إياهم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الأنعام: ١٥١)

وتقدم الضمير الغائب (نرزقهم) على الضمير المخاطب (وإياكم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١)

إن الموقف من التقديم والتأخير في ضمير المخاطب والغائب (نرزقكم – إياهم) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) أن علة تقديم ضمير المخاطب (نرزقكم) على ضمير الغائب (إياهم) في آية الأنعام جاءت لورود قبل الضمير في قوله تعالى (لا تقتلوا أولادكم من إملاق) أي من أجل الفقر، وفي الآية نهي عن قتل الأولاد مع فقرهم على أنفسهم إذا لزمتهم نفقة غيرهم، لذلك قال سبحانه أنا أرزقكم وأرزقهم معكم.

وأما في آية الإسراء فعلة تقديم ضمير الغائب (نرزقهم) على ضمير المخاطب (وإياكم)؛ لورود قبل الضمير قول تعالى (خشية إملاق)، فالآباء هنا غير واقعين في الفقر، ولكنهم يخشون الفقر على الأولاد في المستقبل، ولذلك تقدم ضمير الغائب لإزالة الخوف عنهم وعن الأولاد، أي لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر، فالله يرزقهم وإياكم، وبذلك يأمنوا على أولادهم من الفقر ويمتنعوا عن القتل، فوضع كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره.[١]

ووافق الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) [٢] وابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ)[٣] وابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ)[٤] والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ).[٥]

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ، ٢/ ٥٦١

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي / ص ١١٤

[٣] ينظر: ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: د. حفني محمد شرف، مصر، دار إحياء التراث الإسلامي، ص ٥٦١

[٤] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ١٣٧، ص ١٦٩

[٥] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (الحمد لله) ١/ ١٩٩

والبقاعي(ت ٨٨٥ هـ)[١] والأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)[٢] والألوسي (ت١٢٧٠هـ)([٣]) وفاضل السامرائي [٤]، ومحمود السيد شيخون[٥] ما ذكره الخطيب الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين.

ووافق ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) الخطيب الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين ، بيد أنه توسع في شرح المعنى ولم يكتف بذكر العلة، فذكر أن المخاطبين في آية الإسراء ليسوا الأغنياء بل هم كفار العرب التي كانت عندهم عادة وأد البنات؛ خشية الفقر المتوقع والعجر عن نفقتهن مستقبلا، فقدم الأهم هنا وهم الأبناء على الآباء.[٦]

وكرر أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) ما ذهب إليه الخطيب الإسكافي في بيان علة التقديم في كلا الموضعين، بيد أنه أضاف لفتة جمالية حسنة، وهي أن التقديم في كلا الموضعين جاء من باب التفنن في البلاغية [٧]، وتبعه في ذلك السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) مختصرا القول في ذكر علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين التي جاءت من باب التفنن في البلاغة.[٨]

واكتفى السيوطي (ت ٩١١ هـ) بما ذكره أبو حيان، ولم يزد عليه شيئا.[٩]

وأما الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) فذكر تعليلا حسنا، فتقديم ضمير المخاطبين على الغائبين في آية الأنعام جاء للأهمية، ذلك لأن الخطاب للفقراء، فكان رزقهم أهم من رزق أولادهم، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم.

---

[١] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٧/ ٣١٧

[٢] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، ص ١٨٠

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٨ / ٥٤

[٤] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٣

[٥] ينظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، ص ١١٨

[٦] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٤٧٩

[٧] ينظر: البحر المحيط ، ٤/ ٢٥١

[٨] ينظر: الدر المصون، ٥ / ٢١٩

[٩] ينظر:قطف الأزهار وكشف الأسرار ، ص ٩٥٨

وأما في آية الإسراء فالخطاب للأغنياء، ولكنهم غير واقعين في الفقر، بيد أنهم يخشون الوقوع فيه، فكان رزق أولادهم أهم وهو المطلوب، لذلك قدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم.[1]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- أن علة التقديم عند الإسكافي لضمير المخاطب على ضمير الغائب، ذلك لأن الآباء واقعون في الفقر، فقدموا حتى يطمئنوا ويمتنعوا عن قتل الأولاد، وأما علة تقديم لضمير الغائب على المخاطب فجاء لعلة الخشية؛ ذلك لأن الآباء ما زالوا لم يقعوا في الفقر، ولكن يخشون على أنفسهم وأبنائهم من ذلك.
- أغلب من جاء بعد الإسكافي سار على نهجه ووافقه.

ويوافق الباحث ما ذهب إليه الزركشي، ويرى أن السياق لعب دور في مسألة التقديم والتأخير، فالنهي جاء في كلتا الآيتين عن قتل الأولاد، ففي الأنعام جاء النهي بسبب الفقر فطمئن سبحانه الآباء بتكفله برزقهم فعندها يمتنع القتل، لذلك السياق ناسب التقديم، وأما في آية الإسراء فنهى عن القتل خشية الفقر الذي لم يقع؛ لأنه تكفل برزق أولادهم ورزقهم معهم مستقبلا، فامتنع القتل، وناسب السياق التقديم.

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٨٠٤

سادسا: تقديم وتأخير (ابن مريم – أمه)

وردت لفظة أمه (مريم عليها السلام) مقدمة على لفظة (ابنها) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (لأنبياء: ٩١)

وتقدمت لفظة (ابن مريم) على لفظه أمه (مريم عليها السلام) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴾(المؤمنون: ٥٠)

نظر الباحث في كتب التفاسير، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له؛ لبيان السر البلاغي وراء الاختلاف بين الآيتين بالتقديم والتأخير، ولم يتطرق إلى هذه المسألة إلا النزر اليسير منهم، وجاءت توجيهاتهم كالآتي :

ذكر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) أن علة تقديم أمه(مريم عليها السلام) على (ابنها) في آية الأنبياء جاءت لسبق ما يقتضي تقديمه، فالسياق القرآني في هذه الآية ذكر مريم (عليها السلام) ولم يذكر الابن وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ ولذلك قدمت مريم (عليها السلام)، وقدم الابن في غير هذا الموضع.

أما في سورة المؤمنون لم يأت ذكر مريم (عليها السلام) ولذلك قدم ابنها عيسى (عليه السلام) .[١]

يفهم من خلال تعليل الزركشي للمسألة، أن علة تقديم أمه (مريم عليها السلام)؛ جاءت لسبق ما يقتضي تقديمه.

ووافق السيوطي (ت٩١١ هـ) الزركشي في بيان علة تقديم أمه (مريم عليها السلام) على ابنها عيسى (عليه السلام) في آية الأنبياء.

وذكر السيوطي أن علة تقديم عيسى (عليه السلام) على أمه مريم (عليها السلام) في آية المؤمنين جاءت لسبق ما يقتضي تقديمه؛ ذلك لأن الآيات السابقة ذكرت موسى (عليه السلام) وهو من الرسل، لذلك ناسب ذكر عيسى (عليه السلام) على أمه مقدما.[٢]

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٨٩

[٢] ينظر: معترك الأقران، ١ / ١٣٣، والإتقان في علوم القرآن ، ٤ / ٢٥٣

ووافق محمود السيد شيخون[١]، ومحمد عبدالله سعادة [٢]، ومنير محمود المسيري[٣] الزركشي في بيان علة تقديم أمه مريم (عليها السلام) على ابنها عيسى (عليه السلام) في آية الأنبياء، بيد أن محمود المسيري ذكر أن علة تقديم عيسى (عليه السلام) على أمه مريم (عليها السلام) في آية المؤمنين، جاءت لمكانته، فهو أفضل من أمه.

وأرجع أبو السعود (ت٩٨٢هـ) أن علة تقديم أمه (عليها السلام) على ابنها عيسى (عليه السلام) في آية الأنبياء لأصالتها فيما نسب إليها من الاحصان والنفخ.

وأما علة تقديم عيسى (عليه السلام) على أمه مريم (عليها السلام) في آية المؤمنون فجاءت لأصالته فيما ذكر من كونه آية، ومعنى كونه آية (عليه السلام) أي جاء من دون أب، وتكلم وهو صغير. [٤]

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[٥]، ما ذهب إليه أبو السعود في بيان علة التقديم في كلا الموضعين.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- الباحث يؤيد ما ذهب إليه السيوطي، فالعلة في تقديم عيسى (عليه السلام) كانت لمناسبة ما تقدم من ألفاظ في سياق الآيات.
- الباحث يوافق ما ذهب إليه أبو السعود في بيان العلة في كلا الموضعين.
- لا يؤيد الباحث ما ذهب إليه المسيري كون النبي عيسى (عليه السلام) أفضل من أمه؛ لأن كلاهما لهما مكانة عند الله تعالى، فبعض المفسرين يذكر أن مريم (عليها السلام) تكاد تصل إلى درجة الأنبياء، ويُذكر عنها (عليها السلام) أنها لم ترضع ثديا، وأنها تكلمت وهي صغيرة، ويكفي أن سورة في

---

[١] ينظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، ص ٩٣

[٢] ينظر: من أسرار النظم القرآني، ص ٨٧

[٣] ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ٤٩٥

[٤] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٦ / ١٣٩

[٥] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ١٨ / ٣٨

القرآن تسمت باسمها، بل إن اسمها ذكر صراحة في القرآن في أكثر من موضع، إذن مكانتها عند الله عالية.

ويرى الباحث أن مناسبة السياق القرآني للآيات السابقة كان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

فعلة تقديم أمه مريم (عليها السلام) على ابنها عيسى (عليه السلام) في آية الأنبياء جاءت لمناسبة ما تقدم من مدح وثناء لمريم (عليها السلام)، فالله تعالى مدحها وأثنى عليها، وأكرمها بأن تكون في مظهر عظيم، فسبحانه تعالت قدرته في مخالفة السنة البشرية، وذلك بأن تحمل من دون زواج، ولم يقربها رجل، بل إنها أحصنت فرجها، فنفخ الله فيها، لأجل أن يرى الناس آياته في خلقه، وأيضا لأجل أن يروا مثالا من التكوين الأول، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩)

وأما علة تقديم ابنها عيسى (عليه السلام) على أمه مريم (عليها السلام) في آية المؤمنون فجاءت لمناسبة سياق ما تقدم من آيات ، فالله سبحانه وتعالى ذكر موسى (عليه السلام)، فالسورة ذكرت الرسل والمهمة التي حملوا إياها،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون ٤٤)، وكون عيسى (عليه السلام) من الرسل، ناسب تقديمه في هذا الموضع.

سابعا: تقديم وتأخير كلمة التوحيد على كلمة الخلق.

وردت كلمة التوحيد مقدمة على كلمة الخلق في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام: ١٠٢)

وتقدمت كلمة الخلق على كلمة التوحيد في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (غافر: ٦٢)

ناقش العلماء سر الاختلاف الوارد بين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما من حيث التقديم والتأخير، فأحيانا تتقدم كلمة التوحيد على كلمة الخلق كما في آية الأنعام، ومرة تتقدم كلمة الخلق على كلمة التوحيد كما في آية غافر، وجاءت توجيهاتهم كالآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) أن علة تقديم كلمة (التوحيد) على كلمة (الخلق) في آية الأنعام جاءت لتقدم قبلها قولهتَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام:١٠٠)

فسياق الآية يتحدث عن مزاعم المشركين في تعدد الآلهة، إذ جعلوا لله شركاء من الجن، ولذلك ذكر بعدها قولهتَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾؛ ليدفع مزاعمهم من جعل لله شريكًا، فناسب تقديم كلمة التوحيد مناسبة لما تقدم.

وأما بيان علة تقديم كلمة الخلق على كلمة التوحيد في آية غافر فجاءت للمناسبة؛ ذلك لأن الآية ذُكرت بعد قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر: ٥٧)، فسياق الآية يتحدث عن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، وتثبيت خلق الإنسان، ولم تتطرق الآية إلى نفي الشرك عن الله، ولذلك ناسب تقديم كلمة الخلق على كلمة التوحيد.[١]

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ، ٢ / ٥٣٥

ووافق الكرماني (ت ٥٠٥هـ) [١]، والنيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)[٢]،وابن جماعة (ت٧٣٣هـ) [٣]، والفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) [٤]،والسيوطي (ت٩١١هـ)[٥]، وفاضل السامرائي[٦]، وعبد العظيم المطعني[٧] الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين، بيد أن الألوسي (ت١٢٧٠هـ)[٨] وافق الإسكافي في بيان علة تقديم كلمة (الخلق) على كلمة (التوحيد) في آية غافر فقط؛ لأن الألوسي لم يتطرق إلى بيان علة التقديم في آية الأنعام.

واقترب ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) في جوابه للمسألة من جواب الإسكافي، فذكر أن علة تقديم كلمة (التوحيد) على كلمة (الخلق) في آية الأنعام جاءت لتقدم قبلها قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنعام:١٠٠)، وقوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: ١٠١)، فكان من الملائم نفي ما جعلوه، وأدعوه من الشركاء والصاحبة والولد، فقدم ما الأمر عليه من الوحدانية سبحانه، ولذلك ناسب تقديم كلمة التوحيد.

وأما علة تقديم كلمة الخلق على كلمة التوحيد في آية غافر فجات لتقدم قبلها قوله تَعَالَىٰ:﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر: ٥٧)، وقوله تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر: ٦١)، فذكرت الآيتان الخلق

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ١١٠، ص ١١٢

[٢] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٣/ ١٣٦

[٣] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ١٣٠، ص١٦٤

[٤] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز بصيرة (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض)، ١ / ١٩٧

[٥] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار ، ص ٩٢٠

[٦] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٦

[٧] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١٥٨

[٨] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٧ / ٢٤٤

الأعظم، ولم يتقدم هنا ما تقدم في آية الأنعام ما أتبع بالتنبيه على أن سبحانه خالق كل شيء، فكان تقديم هذا التعريف هنا أنسب، وأهم.[١]

وبيّن البقاعي (ت ٨٨٥هـ) أن علة تقديم كلمة الخلق على كلمة التوحيد في آية غافر، ذلك لأن الآية جاءت في سياق الامتنان بالنعم ؛ للدلالة على الساعة التي ينكرونها، ويجادلون في أمرها، فناسب تقديم الخلق على التوحيد.[٢]

وذكر لبيب محمد جبران أن علة تقديم كلمة التوحيد على كلمة الخلق في آية الأنعام، جاءت لأن في السورة الحديث عن الشريك فلا يناسبه إلا نفي الشريك عن الله تعالى، وفيها رد صريح على زعم الكافرين.

وأما علة تقديم كلمة الخلق على كلمة التوحيد في آية غافر فجاءت للمناسبة؛ ذلك لأن في الآية اثبات خلق الناس، فالمقام لا يقتضي نفي الشريك، ولذلك ناسب تقديم كلم الخلق.[٣]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- اعتمد الإسكافي على سياق ما تقدم من آيات؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.
- أكثر العلماء وافقوا ما ذكره الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين.
- اقترب جواب الغرناطي من جواب الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين ، بيد أن الغرناطي كان أكثر تفصيلا، وبياناً لشرح مسألة التقديم.

---

[١] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٤٦٨

[٢] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧ / ١٠٢، ١٠٣

[٣] ينظر: جبران : لبيب محمد ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي)، دار الفاروق للنشر والتوزيع / عمان الأردن، ٢٠١٠م

- ربط البقاعي بين امتنان الله بالنعم على العباد ودلالة الساعة، والباحث لا يوافق ما ذهب إليه البقاعي في ذلك، فذكر النعم والامتنان بها لا تدل على الساعة، وإنما تذكر بالخالق المتفضل على عباده بهذه النعم، وعجز الإنسان وضعفه في تحصيل رزقه وقوته، ما لم يكن هناك توفيق من الله تعالى.

ويرى الباحث أن التناسب المعنوي بين الآيات كان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين، ففي آية الأنعام ذكر الله صفاته الكاملة، وأفعاله الصادقة، ثم بيّن فساد أقوال المشركين ومزاعمهم بالأدلة والبراهين، ولذلك ناسب معنوياً تقديم كلمة التوحيد على كلمة الخلق.

وأما في آية غافر فعددت نعم الله في خلق السماء، والأرض، وخلق الأنسان، ولذلك ناسب معنويا تقديم كلمة الخلق على كلمة التوحيد.

الفصل الثاني:

الفصل الثاني	**أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الفعل**
المبحث الأول	**أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل المعطوف على فعل مثله.**
المبحث الثاني	**أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل على الاسم.**
المبحث الثالث	**أسرار تقديم ألفاظ المتشابه وتأخيرها في متعلقات الفعل.**

الفصل الثاني : أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الفعل.

المبحث الأول : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل المعطوف على فعل مثله.

اللفظة الأولى (يعلمهم – يزكيهم)

وردت لفظة (يعلمهم) مقدمة على لفظة (يزكيهم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ١٢٩)

وتقدمت لفظة (يزكيهم) على لفظة (يعلمهم) في موضعين.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (الجمعة: ٢)

نظر الباحث في كتب التفاسير، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له؛ ليقف على سر التقديم في اللفظتين، بيد أنه لم يجد من العلماء من تناول هاتين اللفظتين ليكشف عن سر التقديم إلا القليل منهم وجاءت توجيهاتهم للمسألة كالآتي:

ذكر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم (يعلمهم) على (يزكيهم) في آية البقرة، ذلك أن النبي إبراهيم (عليه السلام) دعا للذرية بالتزكية قبل وجود الضلال، ولذلك ذكر تعليم الكتاب أولا؛ لأنه سبب في حصول التزكية، أي أن علة التقديم هي (سبب ومسبب)، فالتعليم يزكي النفس من الرجس والشرك، وهو سبب في حصول الطاعات التي تطهر وتزكي النفس البشرية.

وأما علة تقديم (يزكيهم) على (يعلمهم) في آيتي آل عمران والجمعة فجاءت لما يقتضيه السياق، فهي امتنان من المولى سبحانه وتعالى عليهم بالهداية وبهذا النبي (عليه الصلاة والسلام)، ففي البدء طهرهم من الرجس والشرك ثم علمهم الكتاب .[٢] ومعنى ذلك

---

[١] وردت في سورة آل عمران / ١٦٤

[٢] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٢٣٥، ٢٣٦

أن الغاية من ارسال الرسول (ﷺ) تطهيرهم من الضلال ثم بعد ذلك تعليمهم الكتاب، فالسياق اقتضى ذلك التقديم.

وبيّن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) ان علة تقديم الفعل(يعلمهم) على الفعل (يزكيهم) في آية البقرة جاءت للأهمية؛ لأن التعليم في الإسلام أهم وأحوج من التزكية، فهم كانوا أحوج إلى تعليم الكتاب وألفاظه من التزكية؛ لأن أصلها موجود بالإسلام، ولذلك أخر قوله (ويزكيهم).

وأما علة تقديم الفعل(يزكيهم) على الفعل(يعلمهم) في آيتي آل عمران والجمعة فجاءت بسبب اقتضاء المقام ذلك التقديم، فالرسول (عليه الصلاة والسلام) بعث في الأميين، وكانوا بحاجة إلى تزكية من الشرك الأكبر لقبلوا ما جاءهم من العلم. [١]

ورأى أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) رأيا آخر غير ما سبق، فعلة تقديم (يعلمهم) على (يزكيهم) في آية البقرة جاءت على أصل الوجود، فهم إذا تعلموا الكتاب وأحكامه تزكت وطهرت نفوسهم.

وأما علة تقديم (يزكيهم) على (يعلمهم) في آيتي آل عمران والجمعة فجاءت باعتبار كل نعمة جليلة على حدها مستوجبة الشكر، فالتزكية نعمة على حدها، وتعليم الكتاب نعمة جليلة على حدها، أي أن التقديم جاء وفق الأهمية، فالرسول بعث في الأميين، وتطهير النفس من الشرك أولى من التعليم، ثم يأتي بعد ذلك التعليم.[٢]، ووافق الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ما ذهب إليه أبو السعود.[٣]

وأوضح الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أن علة تقديم (يعلمهم) على (يزكيهم) في آية البقرة؛ جاءت للشرف، شرف تعليم الكتاب على التزكية، فالتزكية إشارة إلى التخلية، أي ترك الشرك والمعاصي، والتعليم إشارة إلى التحلية (تحلية النفس بتعليم الكتاب وألفاظه وأسراه) فقدم الثاني على الأول لشرفه.

---

[١] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢/ ١٦١، ١٦٢

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٨/ ٢٤٧

[٣] ينظر: التحرير والتنوير، ٢٨ / ٢٠٩

وأما علة تقديم (يزكيهم) على (يعلمهم) في آيتي آل عمران والجمعة فجاءت مرتبة على أصل الوجود في التلاوة، فأولًا تزكية النفس من الشرك ثم تعليم الكتاب.[١]

ونظر عبد العظيم المطعني إلى المقام؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين ، مكررا ما ذهب إليه ابن الزبير، متوسعا قليلا في المعنى، فالمقام في آية البقرة، مقام دعاء فجاء الترتيب طبيعيا على الأصل، فتلاوة الآيات يزيل الجهل، ثم تعليم أحكام الكتاب بعد التلاوة، وبذلك تحصل تزكية النفس، وأما في آية الجمعة فالمقام مقام تمجيد لله، وامتنان على عباده بالنعم، فقدمت التزكية على التعليم ليظهر أثر النعمة بعد ما كانوا في الضلال المبين.[٢]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- علل الغرناطي مسألة تقديم الفعل (يعلمهم) على الفعل (يزكيهم) تعليلا جميلا، وذلك أن التعليم سبب في حصول التزكية.
- نظر البقاعي إلى المقام والسياق لبيان علة تقديم (يزكيهم) على (يعلمهم)
- كرر المطعني ما ذهب إليه ابن الزبير؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين، بيد أنه توسع قليلا في المعنى.

ويختار الباحث ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي في بيان علة التقديم في آية البقرة؛ لأن الغاية من ارسال الرسول (ﷺ) تطهيرهم من الضلال، ثم بعد ذلك تعليمهم الكتاب، وأما في آيتي آل عمران والجمعة فيختار ما ذهب إليه الألوسي فالتقديم جاء مرتبا على أصل الوجود في التلاوة، فأولًا تزكية النفس من الشرك ثم تعليم الكتاب وأحكامه وأسراره، بالإضافة إلى ذلك يرى الباحث أن التعليم أولى بالتقديم؛ لأن الإنسان يرتقي التعليم بالنفس عن مهاوي الجهل فتزكو نفسه.

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٢٨ / ٩٣

[٢] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢/ ١٧٤، ١٧٥

اللفظة الثانية (يغفر – يعذب)

وردت لفظة (يغفر) مقدمة على لفظة (يعذب) في أربعة مواضع. [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٤)

وتقدمت لفظة (يعذب) على لفظة (يغفر) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (المائدة: ٤٠)

إن الفرق بين الآيتين في لفظتي (يغفر – يعذب) بالتقديم والتأخير واضح، فما السر في ذلك، ذلك سؤال يجيب عليه العلماء:

ذكر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) أن علة تقديم لفظة (يغفر) على لفظة (يعذب) في آية البقرة، جاءت رحمة من الله سبحانه وتعالى على عباده وترغيبا في المسارعة إلى موجبات المغفرة.

وأما علة تقديم لفظة (يعذب) على لفظة (يغفر) في آية المائدة فجاءت مناسبة لما قبلها؛ ذلك لأن قبلها تقدمت آيات تتحدث عن المحاربين والسارقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٣)، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (المائدة: ٣٤)

ونلحظ من خلال سياق الآيتين السابقتين، تقدم ذكر الآية التي تتحدث عن جزاء المحاربين ثم ذكر سبحانه بعدها الآية التي تتحدث عن التوبة، المغفرة، وجاء قبلها آية تتحدث عن جزاء السارقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا

---

[1] وردت في الآيات: آل عمران الآية ١٢٩، المائدة الآية ١٨، الفتح الآية ١٤

نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٨) إذن الآيات التي تقدم ذكرها تتحدث عن تعذيب المحاربين والسارقين، جزاء على أفعالهم، ولذلك ناسب تقديم العذاب على المغفرة. [١]

ووافق ابن الزبير الغرناطي(ت ٧٠٨ هـ) [٢]، وابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) [٣]، والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) [٤]، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) [٥]، والأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)[٦] الكرماني في ذلك.

ولم يذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) [٧]، والرازي (ت ٦٠٦هـ) [٨]، والنسفي (ت ٧١٠ هـ) [٩] علة تقديم لفظة (يغفر) على لفظة (يعذب) في آية البقرة، ربما على أن ذلك الأصل عند الله تعالى ولا يحتاج إلى تعليل فرحمة الله ومغفرته بعبادة تسبق غضبه وعذابه، ووافقوا الكرماني في علة تقديم لفظة (يعذب) على لفظة (يغفر) في آية المائدة، التي جاءت لأجل مناسبة ما قبلها.

وذكر أبو السعود (ت٩٨٢ هـ) تعليلا عاما للمسألة ولم يطل فيها، وبيّن أن علة تقديم لفظة (يغفر) على لفظة (يعذب) في آية البقرة؛ لتقدم رحمة الله على غضبه، وأما في آية المائدة علل تقديم لفظة (يعذب) على لفظة (يغفر) فجاءت مراعاة لترتيب الألفاظ في الآيات التي سبقتها.[١٠]

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٥٠ في سورة البقرة، ص ٨٧

[٢] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي ، ص ٢٨٣

[٣] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ٦٧، ص ١٢٣

[٤] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز بصيرة (الم)، ١ / ١٥٥

[٥] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار ، ص ٥٣٩

[٦] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن مسألة ١٢٤، ص ٧٣، ٧٤

[٧] ينظر: الكشاف، ١ / ٥١٨

[٨] ينظر: مفاتيح الغيب، ٩ / ١٣٦، ١١ / ٢٣٦

[٩] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١/ ٢٣١، ٤٤٦

[١٠] ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ١/ ٢٣٧ ، ٣ / ٣٦

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[١] وفاضل السامرائي [٢] أبا السعود فيما ذهب إليه من بيان علة تقديم لفظة (يغفر) على لفظة (يعذب) في آية البقرة، وأما في تعليل مسألة تقديم لفظة (يعذب) على لفظة (يغفر) في آية المائدة فوافقا الكرماني في ذلك، وأضاف السامرائي لفتة جميلة عندما ذكر أن علة ذلك التقديم جاءت ترهيبا من العذاب، ولأن الحكمة الإلهية اقتضت ذلك.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر الكرماني إلى السياق المعنوي لبيان علة التقديم في آية المائدة، وسار على نهجه من جاء بعده.
- علل أبو السعود المسألة تعليلا عاما، ولم يطل فيه.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الكرماني، فهو أول من علل المسألة ومن جاء بعده في ضوء السياق السابق، إما أن يكون مؤيدا أو ناقلا تعليله أو أحيانا يضيف شيئا عليه،ففي آية البقرة تقدمت المغفرة على العذاب لأن رحمة الله ومغفرته تسبق عذابه وغضبه، وأما في آية المائدة فرُتبت الألفاظ مراعاة لما سبقها من ألفاظ ومناسبة لسياق الآيات.

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٣ / ٦٨

[٢] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٠

اللفظة الثالثة (يرحم – يعذب)

وردت لفظة (يرحم) مقدمة على لفظة (يعذب) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٤)

وتقدمت لفظة (يعذب) على لفظة (يرحم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ (العنكبوت: ٢١)

إن الاختلاف ظاهر بين الآيتين بالتقديم والتأخير، ولمعرفة سر هذا الاختلاف لا بد من النظر إلى موقف العلماء الذين تساءلوا عن سر هذا الاختلاف.

أولا: لم يناقش العلماء مسألة تقدم الرحمة على العذاب ربما على أنها الأصل عند الله، ودليل ذلك حديث رسول الله (ﷺ) عن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه، قال: قال رسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم حاكيا عن ربه: « لما خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ في كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمتي تَغْلِبُ غَضَبِي، وقال أيضا «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ» [1] ويبدو من خلال الحديثين السابقين أن الرحمة هي الأصل عند الله؛ لأن رحمته وسعت كل شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف١٥٦) ولهذا السبب ربما العلماء لم يناقشوا مسألة تقديم الرحمة على العذاب.

وأما مسألة تقدم (العذاب على الرحمة) فجاءت أجوبة العلماء كالآتي:

ذكر الكرماني (ت٥٠٥ هـ) أن علة تقديم العذاب على الرحمة في سورة العنكبوت جاءت لأن النبي إبراهيم (عليه السلام) خاطب قومه ونهاهم عن عبادة الأوثان، لكنهم كذبوه وكذبوا الرسل من قبله، فكان من المناسب تقديم العذاب جزاءً لما فعلوا[2] ، أي أن العلة من تقديم العذاب على الرحمة جاءت لمناسبة ما تقدم من ألفاظ.

---

[1] البخاري:: محمد بن إسماعيل بن، صحيح ،تح: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ت: ١٤٢٢ هـ، ٨ / ٩٩

[2] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي ، المسألة ٣٧٦، ص ١٩٨

ووافق الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ما ذكره الكرماني في بيان علة التقديم، مكتفيًا بقوله، ولم يضف عليه شيئا. [١]

ووافقه أيضا في ذلك فاضل السامرائي، بيد أنه أضاف شيئا جميلا معتمدا على السياق، فذكر أن النبي إبراهيم (عليه السلام)عندما كذبه قومه هدهم بالعذاب من قبل ربهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ (العنكبوت: ٢٢) ونلحظ من خلال سياق الآية التهديد والوعيد عندما ذكر ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ ولذلك اقتضى السياق تقديم العذاب.[٢]

وأما الرازي (ت ٦٠٦ هـ) فعلل مسألة تقدم العذاب على الرحمة في آية العنكبوت جاءت لمناسبة ما سبق من آيات، فالسابق في الآيات ذكر الكفار منكري البعث، وسبق ذكر مستحقيه من العذاب، وذكرت معه أيضا الرحمة لئلا يكون العذاب مذكورا وحده.[٣]

وأوضح النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) أن علة تقدم لفظة العذاب على لفظة الرحمة في آية العنكبوت للترهيب، فهو أنسب في المقام من الترغيب، فالآية مسبوقة بتهديد المكذبين والمنكرين بالبعث، وحظهم في يوم البعث هو التعذيب فناسب تقديمه.[٤]

---

[١] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (الم غلبت...)، ١ / ٣٦١

[٢] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٠

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٥ / ٥٠

[٤] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/ ٣٧٩

وكرر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)[١]، وأبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٢]، والألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[٣]، والطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)[٤] ما ذكره النيسابوري في بيان علة تقديم العذاب على الرحمة واكتفوا بقوله ولم يزيدوا عليه شيئا.

ووافق ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ)، ما بينه الرازي في تعليل تقديم لفظة العذاب على الرحمة مكتفيا بقوله. [٥]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

أغلب العلماء الذين فسروا المسألة، وبينوا علة التقديم نظروا إلى مناسبة السياق والمقام لما تقدم قبله.

ويرى الباحث رأيًا آخر غير ما ذكر، وهو أن التناسب المعنوي مع السياق كان العلة وراء التقديم، فسياق السورة يتحدث عن الكفار العصاة وعقابهم وتهديهم، لذلك ناسب تقديم العذاب الذي جاء موافقا معنويا لما تقدم قبله.

---

[١] ينظر: البحر المحيط،٧ / ١٤٢

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٧ / ٣٥

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٠ / ١٤٨

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ٢٠ / ٢٣٢

[٥] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ١٥ / ٣٣٣

اللفظة الرابعة (يرحم – يغفر)

وردت لفظة(يغفر) مقدمة على لفظة (يرحم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(الأعراف:٢٣)

وتقدمت لفظة (يرحم) على لفظة (يغفر) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٩)

لم يناقش الكثير من العلماء العلة وراء تقديم وتأخير لفظتي(يغفر – يرحم) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما .

وقبل ذكر توجيهات من ناقش لفظتي (يرحم – يغفر) بصيغتي الفعل وبيان علة التقديم والتأخير، لا بد من التطرق إلى المواضع التي تقدمت وتأخرت فيها لفظة الرحمة على المغفرة بصيغة الاسم .

أولا: تقديم وتأخير الرحمة على المغفرة بصيغة الاسم.

تقدمت لفظة المغفرة على الرحمة بصيغة الاسم في ثلاثة وعشرين موضعا. [١]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾النساء ١١٠)

وأما تقدم لفظة الرحمة على المغفرة بصيغة الاسم فجاءت في موضع واحد،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (سبأ :٢)

لم يناقش العلماء العلة من وراء تقديم وتأخير لفظتي (الرحيم – الغفور) في كلا الموضعين، إلا ما ذكره الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) وفاضل السامرائي.

فذكر الزركشي أن علة تقديم المغفرة على الرحمة جاءت لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وأما علة تأخرها في آية سبأ؛ فلأنها جاءت منتظمة في سلك تعداد الخلق من المكلفين وغيرهم، فالرحمة شملتهم جميعا، والمغفرة تخص بعضهم.[٢]

---

[١] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ٢٥

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٨٠

ووافق فاضل السامرائي الزركشي في بيان علة تقديم المغفرة على الرحمة، فذكر أن علة تقدم المغفرة على الرحمة جاءت كون المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ، وأما تأخر المغفرة وتقدم الرحمة؛ لأن الرحمة شاملة والمغفرة خاصة.[١]

وخلاصة القول:

ما ذكره الزركشي وفاضل السامرائي حسن ومقبول، فكلاهما اعتمد على السياق المعنوي للآيتين لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.

ويرى الباحث أن الرحمة شاملة، والمغفرة خاصة، وإذا تقدم أمر يخص المكلفين تقدمت المغفرة على الرحمة، وأما إذا تقدمها أمر عام وشامل دون تحديد فئة معينة فتتقدم الرحمة على المغفرة، ثم إن المغفرة نتيجة للرحمة.

ثانيًا: تقديم وتأخير (يرحم – يغفر) بصيغة الفعل.

جاءت توجيهات العلماء في بيان تقديم وتأخير الفعل (يرحم) على الفعل (يغفر) كالآتي:

ذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) أن علة تقدم لفظة الفعل (يرحم)على الفعل (يغفر) في آية الأعراف (١٤٩) جاءت لأن القصة وقعت في بني إسرائيل، ولأنهم فعلوا ذنبا عظيما وهو اتخاذا إلها غير الله، ويعد هذا أعظم الذنوب، لذلك بدأ بالرحمة التي وسعت كل شيء ومن نتاجها غفران الذنب، وأما علة تقدم الفعل (يغفر) على الفعل (يرحم) في آية الأعراف (٢٣)؛ فلأنها تتحدث عن محاورة بين النبي آدم (عليه السلام) وربه، وكانت المحاورة عبارة عن عتاب على ما صدر من آدم (عليه السلام) وزوجه حواء من أكل ثمر الشجرة بعد ما نهاهما عن الاقتراب منها، حينها بادرا بالغفران وأتبعاه بالرحمة، إذن سياق الآيات اقتضى ذلك التقديم والتأخير.[٢]

ووافق السيوطي (ت٩١١ هـ) أبا حيان الأندلسي في بيان علة تقديم الفعل (يغفر)على الفعل (يرحم) في آية الأعراف الأولى ، ذلك لأن هنا وقعت محاورة بين آدم عليه السلام وربه في عتاب صدر منه، فبادر إلى طلب الغفران.

---

[١] ينظر: التعبير القرآني، ص ٥٧

[٢] ينظر:البحر المحيط، ٤ / ٣٩٢

وأما علة تقديم الفعل (يرحم) على الفعل (يعذب) في آية الأعراف الثانية؛ فلأن بني إسرائيل اتخذوا إلهًا غير الله، فبدئ بالرحمة التي وسعت كل شيء، ومن نتائجها المغفرة.[١]

وعلل أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) تقديم الرحمة على المغفرة للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي أي الرحمة، أو أن المراد بالرحمة في الآية مطلق الخير بهم، وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم، ولم يبيّن علة تقديم الفعل (يغفر) على الفعل (يرحم) في حوار النبي آدم (عليه السلام) مع ربه. [٢]

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أبا السعود في بيان علة تقديم الفعل (يرحم) على الفعل (يغفر) ذكرًا رأيه في سياق تفسير الآية. [٣]

وانفرد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) برأي حسن وجميل في تعليل تقديم الفعل (يرحم) على الفعل (يغفر) في آية الأعراف (١٤٩)، فذكر أن الرحمة سبب للمغفرة، والمغفرة مسببة عن الرحمة [٤]. أي أن المغفرة تندرج تحت الرحمة، والرحمة أشمل من المغفرة، فهي للمستقبل وللحاضر وللماضي، وأما المغفرة فتكون للذنب الذي مضى فقط.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر أبو حيان الأندلسي إلى المقام والسياق؛ لبيان علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين، وما ذكره من توجيه أفضل التوجيهات؛ ذلك لأن الإنسان عندما يتخذ إلهًا غير الله فيعد ذلك ذنبًا عظيمًا يطلب بسببه الرحمة من الله، وعندما يذنب عن عمل نُهي عنه يطلب المغفرة من الله.
- انفرد الطاهر بن عاشور برأي جميل عندما ذكر أن الرحمة سبب في وجود المغفرة، بل إنها نتاج للمغفرة.

ويرى الباحث أن علة تقديم الرحمة على المغفرة مع بني إسرائيل لأنهم اذنبوا ذنوبا كثيرة لا تعد ولا تحصى والرحمة أوسع وأشمل لهم من المغفرة، لذلك ناسب تقديم الرحمة

---

[١] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار، ص ١٠٥٣

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ٣ / ٢٧٣

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٧ / ٦٥

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ٩ / ١١٣

على المغفرة لكثرة ذنوبهم وعظمها، وأما تقديم المغفرة على الرحمة؛ فلأن النبي آدم (عليه السلام) كان في حوار مع ربه؛ ولأنه أذنب ذنبا واحدا، وهذا يستدعي المسارعة في التوبة والغفران، فاقتضى المقام والسياق تقديم الرحمة على المغفرة.

اللفظة الخامسة (تبدوا – تخفوا)

وردت لفظة (تبدوا) مقدمة على لفظة (تخفوا) في ثلاثة مواضع.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ (البقرة: ٢٨٤)

وتقدمت لفظة (تخفوا) على لفظة (تبدوا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ ﴾ (آل عمران: ٢٩)

إن الفرق بين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما واضح ولمعرفة سر ذلك، نظر الباحث في كتب التفاسير وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له وتجلى له الآتي:

ذكر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن الآيتين (البقرة وآل عمران) تعّرفان عباده بإحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن على حد سواء، وأما علة تقديم الإخفاء على الإبداء في آية آل عمران؛ فلأنها ذكرت صفة المنافقين، وسبقت آيات ذكرت قبل هذه الآية تذكر صفاتهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ ﴾ (آل عمران: ١٥٤) ، وأخبر الله سبحانه أن المنافقين هم الذين يتحذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٣) وحذر منهم ناهيا وزاجراقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران: ٢٨)

وأما علة تقديم الإبداء على الإخفاء في آية البقرة؛ فلأن الله تعالى لم يجر فيها ذكر المنافقين ولا ذكر النفاق، وإنما كان الخطاب للمؤمنين وفيما يخصهم من أحكام، فقدم ظواهر أعمالهم على بواطنها.[2]

---

[1] وردت في الآيتين: النساء / ١٤٩، الأحزاب / ٥٤

[2] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٢٨١، ٢٨٢

وذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) [١]، وابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) [٢] أن الإخفاء محله الصدر والإبداء محله النفس، وإذا كان الله لا يخفى عليه شيء فكيف يخفى عليه الضمير، وأما علة تقديم وتأخير كل منهما على الآخر فجاءت من باب التفنن في البلاغة والفصاحة.

وأما السيوطي (ت ٩١١هـ) فإنه لا يرى تعارض في كلا الموضعين ففي آية آل عمران جاءت بعد التحذير من المولاة والحب للكافرين، وهما من أعمال القلب، فناسب الابتداء بالإخفاء، وأما آية البقرة فجاءت عقب التحذير من كتم الشهادة، وأداء الشهادة من أعمال اللسان، فناسب تقديم الإبداء. [٣]

وبيّن أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) أن علة تقديم الإبداء على الإخفاء في آية البقرة، جاءت لأن المعلق بما في أنفسهم هو المحاسبة، والأصل في المحاسبة الأعمال البادية.

وعلة تقديم الإخفاء على الإبداء في آية آل عمران جاءت لأن الخطاب للمنافقين، فالله تعالى علمه بما يخفونه أقدم بما يبدونه، وهذا إيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه.[٤]

ووافقه في ذلك الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، بيد أنه أضاف نكتة بلاغية جميلة في بيان علة تقديم الإخفاء على الإبداء، فالعلة عنده من باب المبالغة بعلمه المحيط. [٥]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال نوجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر ابن الزبير الغرناطي إلى المقام والمخاطبين لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.
- علل أبو حيان مسألة التقديم تعليلا عاما دون الخوض في التفاصيل، وتبعه في ذلك ابن عادل الدمشقي.

---

[١] ينظر: البحر المحيط، ٢ / ٤٤٣

[٢] ينظر: اللباب في علوم القرآن، ٥ / ١٤٧

[٣] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار ، ص ٥٧٩

[٤] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ١ / ١١٨

[٥] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١ / ٣٠١

ويرى الباحث رأيا آخر غير ما ذكر معتمدا في ذلك على السياق وعلاقته بالمعنى، فالمعنى توافق مع السياق في كلا الموضعين، ففي آية آل عمران وردت قبلها آيات تتحدث عن المنافقين وتحذر منهم، وتذكر صفاتهم، فاقتضى السياق أن يقدم الإخفاء على الإبداء، وأما في آية البقرة فكان الحديث قبلها يدور حول أحكام المؤمنين كالشهادة، والشهادة تعني افصاح وإبداء، لذلك اقتضى السياق الذي توافق مع المعنى تقديم الإبداء على الإخفاء.

اللفظة السادسة (تبيضّ – تسودّ)

وردت لفظة (تبيضّ) مقدمة على لفظة (تسودّ) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٦)

وتقدمت لفظة (اسودّت) على لفظة (ابيضّت) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ آل عمران: (١٠٧)

عنما ننظر في الآيتين السابقتين اللتين تم ذكرهما، نجد أن لفظتي (تبيض–تسود) عندما ذكرتا مجملتين تقدمت لفظة (تبيض) على لفظة (تسود)، وأما عندما ذكرتا منفصلتين فتقدمت لفظة (اسودت) على لفظة (ابيضت) فما السر في ذلك، ذلك سؤال يجيب عليه العلماء كالآتي:

بيّن الرازي (ت ٦٠٦ هـ) أن العلة وراء تقديم لفظة (تبيضّ) على لفظة (تسودّ) في الآية الأولى جاءت للشرف؛ ذلك لأنها ذكرت أهل المؤمنين، وهم أهل البياض، ثم ختم بذكرهم في الآية الثانية؛ تنبيها من الله على أن رحمته تسبق غضبه كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) حاكيا عن ربه (سبقت رحمتي غضبي) ثم إن الفصحاء والأدباء يذكرون ضرورة أن يكون بداية الكلام ومنتهاه شيئا يسر الطبع ويريح الصدر، ولم يبين الرازي سر تقديم لفظة (اسودّت) على لفظة (ابيضّت) في الآية الثانية. [1]

وخالف الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) الرازي في بيان علة تقديم لفظة (تبيضّ) على لفظة (تسودّ) في الآية الأولى، فجاءت العلة تشريفا بذلك اليوم،وليس تشريفا للمؤمنين

---

[1] ينظر : مفاتيح الغيب، ٨ / ١٨٧

كما ذكر الرازي؛ وذلك بسبب ظهور رحمته ونعمته في ذلك اليوم، فرحمته تسبق غضبه، وعلة التقديم في الموضع الثاني تعجيلا بمساءة أهل العذاب.[١]

ووافق أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) الرازي في بيان علة تقديم لفظة (تبيضّ) على لفظة (تسودّ) في الآية الأولى التي جاءت للشرف، والابتداء بالمؤمنين، بيد أن أبا حيان الأندلسي بيّن أن علة تقديم لفظة (اسودّت) على لفظة (ابيضّت) في الآية الثانية جاءت للتحذير من حال الكفار، ولمجاورة لفظة (اسودّت) مع ما سبق مباشرة، إذ إنها سبقتها لفظة (تسودّ).[٢]

ووافق ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤ هـ)[٣]، والألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[٤] فيما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي من بيان علة تقدم لفظة (اسودّت) على لفظة (ابيضّت) التي جاءت للمجاورة.

واقتصر ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) على ما ذكره أبو حيان الأندلسي في بيان علة تقديم وتأخير لفظتي (تبيضّ – تسودّ) في كلا الموضعين ولم يضف عليه شيئا[٥].

واقتضب الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) القول في بيان علة تقديم وتأخير الفعلين، فالعلة جاءت لقصد البداءة والختم للاعتناء بشأنهم. [٦]

ووافقه في ذلك السيوطي (ت ٩١١ هـ) ولم يضف على تعليله شيئا، مكتفيا بما ذكره[٧]

وانفرد البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) برأي جميل في بيان السر في كلا الموضعين، ففي الآية الأولى ذكر أن علة تقديم لفظة (تبيضّ) على لفظة (تسودّ) اشراقًا وبهاءً للمؤمنين، وأما

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ٤ / ٤٤– ٤٥

[٢] ينظر: البحر المحيط، ٣ / ٢٦

[٣] ينظر: ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن ، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، د. ط، د. ت، ٢ / ١٥٤

[٤] ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٤ / ٢٥

[٥] ينظر: اللباب في علوم القرآن، ٥ / ٤٥٧

[٦] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٨٠٤

[٧] ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ١٢٨

الآية الثانية فعلة تقديم لفظة (اسودّت) على لفظة (ابيضّت) للترهيب وزيادة النكاية للكفار، فيقال لهم توبيخا وتقريعا (أكفرتم) يا سود الوجوه وعبيد الشهوات (بعد إيمانكم).[1]

وعلل أبو السعود (ت٩٨٢ هـ) العلة وراء تقديم لفظة (تبيضّ) على لفظة (تسودّ) ترغيبا في التمسك بالدين، وأما بيان علة تقديم لفظة (اسودّت) على لفظة (ابيضّت) فوافق أبا حيان الأندلسي في ذلك التي جاءت للتحذير؛ لأن المقام مقام تحذير من التشبه بالكفار.([2])

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال التوجيهات السابقة للعلماء الآتي:

- ابن أبي الأصبع المصري أضاف لفتة جميلة في بيان علة تقديم لفظة (تبيضّ) على لفظة (تسودّ) التي جاءت للترتيب
- أقرب التعليلات للوضوح ما ذكره الرازي وأبو حيان.
- ما يقصده الزركشي البدء بلفظ (تبيضّ) ثم تأخيره في الموضع الثاني لأجل الاعتناء بالمؤمنين والاهتمام بشأنهم.

ويرى الباحث أن علة تقديم لفظة (تبيضّ) على لفظة (تسودّ) تكريما للمؤمنين في ذلك اليوم، وذكر الوجه دون غيره؛ لأن علامات السرور تكون بادية عليه أكثر من غيره، وأما علة تقديم لفظة (اسودّت) على لفظة (ابيضّت) فجاءت مراعاة للجوار لما قبلها.

---

[1] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥ / ٢١، ٢٢

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٢ / ٦٩

اللفظة السابعة (قتلتم – متّم)

وردت لفظة (قتلتم) مقدمة على لفظة (متّم) في موضع موضعين.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (آل عمران: ١٥٧)

وتقدمت لفظة (متّم) على لفظة (قتلتم) في موضعين. [٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (آل عمران: ١٥٨)

إن الموقف من التقديم والتأخير في لفظتي (قتلتم – متّم) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء تجلى للباحث في الآتي:

علل النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) المسألة تعليلا حسنا، فذكر أن علة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى جاءت لأجل أن يقع الابتداء والختم على ما هو أفضل، أو لأنها سبقت في بيان فضل الجهاد، والقتل في سبيل الله، فقدم ما هو الأغلب من حال المجاهدين، وأما بيان علة تقديم الموت على القتل في الآية الثانية فجاءت لبيان أن حشر الخلائق كلهم إليه بأي وجه يفارقون الدنيا، والغالب على أحوال الخلق كلهم الموت. [٣]

ووافق ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) [٤]، ووافقه أيضا محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ)[٥] النيسابوري في بيان علة تقديم الموت على القتل وعكسه ، بيد أن ابن عادل الدمشقي اختلف معه في بيان علة تقديم القتل على الموت، فذكر أن علة ذلك لأجل التحريض على الجهاد، فقدم الأهم والأشرف.

وأشار أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) إلى علة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى التي جاءت لأجل الشرف والأهمية في تحصيل المغفرة والرحمة فهو أعظم ثوابا، وأما

---

[١] وردت في سورة الحج، آية رقم / ٥٨

[٢] وردت في سورة آل عمران / ١٥٦

[٣] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢ / ٢٩١

[٤] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٦ / ١٤

[٥] ينظر: تفسير المنار ٤ / ١٩٧

علة تقديم الموت على القتل في الآية الثانية فجاءت لأجل العظة والعبرة بالحشر والآخرة وتزهيد الدنيا.[١]

ووافق الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) [٢]، والبقاعي(ت ٨٨٥هـ) [٣]، والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) [٤] أبا حيان الأندلسي في بيان علة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى، وخالفوه في بيان علة تقديم الموت على القتل في الآية الثانية، فذكرا أن علة ذلك عدم وجود الجهاد، فيكثر الموت الطبيعي دون قتال، ولأجل ذلك قدم الموت على القتل، ويبدو أن رأيهم أكثر إقناعا من أبي حيان الأندلسي، لأن أكثر الناس يموتون موتة طبيعية دون قتل، ثم إن الآية لم تتطرق إلى الجهاد في سبيل الله، وإنما ذكرت مصير كل إنسان في هذه الدنيا.

وبيّن أبو السعود (ت ٩٨٢هـ) أن علة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى جاءت لأجل الترغيب في الجهاد واستجلاب المغفرة والرحمة، وهذا رأي مقنع وحسن من أبي السعود، فالمغفرة والرحمة ترغّب الإنسان في الجهاد في سبيل الله؛ لأن المرء يثاب على هذا العمل بالمغفرة والرحمة، ولم يوضح أبو السعود علة تقديم الموت على القتل في الآية الثانية، ربما عد ذلك الأصل ، ومصير كل كائن على هذه الأرض.[٥]

وانفرد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) برأي جميل عمن سبقه، فذكر أن علة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى جاءت لعلاقة (السبب والمسبب) فالقتل سبب في المغفرة، وهو أمر قريب، فقدم السبب على المسبب، فالمغفرة لا تأتي إلا إذا كان هناك سبب لها، والجهاد في سبيل الله سبب للمغفرة، فالله تعالى جعل لكل شيء في الحياة سببا، وأما

---

[١] ينظر: البحر المحيط، ٣ / ١٠٢

[٢] ينظر : الثعالبي: عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ود. عبد الفتاح أبو سنّة، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي ن بيروت، ط١، ت: ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م، ٢ / ١٣٠

[٣] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥ / ١٠٦

[٤] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٤ / ١٠٥

[٥] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٢ / ١٠٤

علة تقديم الموت على القتل في الآية الثانية فجاءت من باب التفنن في الفصاحة، [١] وهذا رأي حسن لأن الميت ليس شرطا أن يغفر له، إنما أمر يعود إلى الله.

وذكر فاضل السامرائي [٢]، وصلاح الخالدي [٣] أن علة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى جاءت بسبب تقيد القتل بأنه في سبيل الله، فلآية تتحدث عن الجهاد في غزوة أحد، والجهاد مظنة القتل، والمجاهد ينال الشهادة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى، وأما علة تقديم الموت قبل القتل فجاءت لعدم تقيد الموت في سبيل الله، وإنما كان مطلقا لذلك ختمت بالتذكير بالحشر إلى الله.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:.

وفقّ النيسابوري في بيان علة تقديم القتل على الموت؛ لأن الموت في سبيل الله يختلف عن الموت الطبيعي، فالموت في سبيل الله يتبعه المغفرة والفوز برضوان الله، وأما الموت الطبيعي فبعده حشر وعندها يعرف الإنسان مصيره ومآله.

ويقف الباحث موقفا آخر من هذه المسألة معتمدا على السياق ، فعلة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى جاءت لمناسبة السياق والمقام؛ فسياق الآية يتحدث عن الجهاد في سبيل الله، وأكثر ما يصيب الإنسان في المعركة القتل لذلك قدم، ثم إن السياق في الآية ذكر ما يناله الشهيد من الجزاء من مغفرة ورحمة، وأما علة تقديم الموت على القتل فجاءت أيضا لمناسبة السياق والمقام؛ فلأن سياق الآية لم يتحدث عن الجهاد، وإنما تحدث عن الموت الذي يصيب كل إنسان، ومصير كل إنسان لذلك قدم الموت على القتل، ولم يذكر جزاء الميت وإنما ذكر مآله وهو الحشر إلى الله.

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير ، ٤ / ١٤٣، ١٤٤

[٢] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٢

[٣] ينظر: إعجاز القرآني البياني، ص ٢٦٥

اللفظة الثامنة (أسمع – أبصر)

وردت لفظة (أسمع) مقدمة على لفظة (أبصر) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (مريم: ٣٨)

وتقدمت لفظة (أبصر) على لفظة (أسمع) في موضعين.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٦)

إن المتأمل والناظر في القرآن الكريم، يجد كثيرا ما تقترن لفظة (السمع) بلفظة (البصر)، وعندما نتتبع آيات القرآن الكريم، نجد غالبا ما تتقدم لفظة (السمع) على لفظة (البصر)، وأحيانا تتقدم لفظة (البصر) على لفظة (السمع)، لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

وعندما ننظر في الآيتين السابقتين، نجد بينهما الاختلاف بالتقديم والتأخير، ففي آية مريم تقدمت لفظة (السمع) على لفظة (البصر) وهو أكثر ما جاء في القرآن الكريم، وأما في آية الكهف فتقدمت لفظة (البصر) على لفظة (السمع) ولم يأت هذا إلا في موضعين، ولم يجد الباحث من خلال ما توافر له من مراجع، من ناقش هذه المسألة من العلماء إلا القليل منهم، وربما عائد ذلك إلى وضوح المسألة في سياقها والتي لا تحتاج إلى تعليل، وتجلت آراء العلماء الذين ناقشوا هذه المسألة للباحث في الآتي:

علل الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) المسألة تعليلا عاما دون الخوض في التفاصيل، فذكر أن علة تقديم السمع على البصر في القرآن جاءت لشرف الإدراك، أي أن الانسان يدرك بسمعه ما لا يدركه ببصره، و يدرك الأشياء بالسمع قبل البصر، لذلك اقتضى تقديم السمع على البصر، ولم يذكر علة تقديم البصر على السمع في القرآن.[٢]

ووافق السيوطي (ت ٩١١ هـ) الزركشي في بيان علة تقديم السمع على البصر في القرآن، واكتفى بقوله، ولم يبيّن علة تقديم البصر على السمع. [٣]

---

[١] وردت في سورة السجدة آية / ١٢

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٨٤

[٣] ينظر: معترك الأقران، ١ / ١٣١

وأما أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) فذكر أن علة تقديم السمع على البصر جاءت لأهمية السمع، فبالسمع يتلقى الإنسان الأحكام الشرعية، وبه يتحقق الإنذار، وأما علة تقديم البصر على السمع في آية الكهف فجاءت لمناسبة ما تقدم والذي يدل على عظيم شأن بصره لما نحن بصدده من قبيل المبصرات، وكل شيء لا يحجب عن بصره تبارك وتعالى.[١]

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أبا السعود في ذلك[٢]، وأما علة تقديم (السمع) على (البصر) في آية السجدة فجاءت بسبب أن أكثر العمل الصالح الموعود يترتب على السمع دون البصر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ا (السجدة: ١٢)

فكان عدم الفصل بينهما بالبصر أولى [٣]، ويفهم من خلال كلامه أن العلة وراء ذلك جاءت لأجل المجاورة بين الألفاظ، وعدم الفصل بينهما.

وناقش الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) المسألة نقاشا عاما دون التطرق إلى علة التقديم، بيد أن الباحث توصل من خلال سياق تفسيره لآية الكهف أن العلة وراء تقديم البصر على السمع جاءت لمناسبة السياق والمقام، فهم رأوا البعث من القبور، ورأوا ما يُعامل به المكذبون، وشاهدوا هول الموقف، ثم سمعوا من أقوال الملائكة ما فيه تصديق الوعيد، لذلك قدم البصر لمناسبة المقام والسياق، فسماعهم للمواعظ كان في الدنيا، أما في الحشر فيرون العذاب فقط دون سماع المواعظ.[٤]

وذكر فاضل السامرائي أن علة تقديم السمع على البصر في القرآن جاءت للأهمية، فالسمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ، وفاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه، وأما فاقد السمع فيصعب تبليغه، وأما علة بيان تقديم البصر على السمع في آية الكهف؛ فلأن الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم، ولجؤوا إلى ظلمة الكهف لئلا يراهم أحد ، لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا

---

[١] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٥ / ٢١٨

[٢] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٥ / ٢٥٥

[٣] ينظر: نفسه ٢١/ ١٢٧

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ٢١ / ٢٢١

يراه أحد من القوم، ولذلك اقتضى السياق تقديم البصر على السمع، لأهميته في هذه المواقف. [1]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- علل الزركشي، والطاهر بن عاشور المسألة تعليلا عامًا دون الخوض في التفاصيل.
- ربط فاضل السامرائي بين الأهمية والسياق؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.

ويوافق الباحث ما ذكره أبو السعود من بيان علة تقدم السمع على البصر، فكان تعليله للمسألة حسنا وجميلا؛ لأن الله تعالى ذكر أمورا سبقت هذه الآية تتحدث عن البصر والمبصرات، ومن ضمنها اللجوء إلى كهف مظلم حتى لا يراهم أحد، بيد أن الله يراهم في تقلبهم، وكذلك عندما طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم ، وكل هذه الأمور تستدعي البصر ولذلك تقدم البصر على السمع.

ويختار الباحث ما ذهب إليه فاضل السامرائي؛ لأن السياق والمقام القرآني اقتضى تقديم البصر على السمع في آية الكهف، وأما علة تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم فجاءت لأهميته واعتبار السبق بالوجود، فالسمع عند الإنسان ينشأ ويخلق قبل البصر، أي أنه سابق في الوجود عند الإنسان قبل البصر، ويقال والله أعلم أن الإنسان بعد موتة يظل سمعه يعمل لفترة وجيزة، وأبو هريرة يروي حديث عن الرسول (ﷺ) قال " العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ " [2]، إذن هو آخر ما يغيب من حواس الإنسان، وحتى الإنسان أثناء نومه تغيب حواسه إلا سمعه ، ولذلك يقدم على البصر، وهو أكثر ما جاء في القرآن الكريم.

---

[1] ينظر: من أسرار البيان القرآني، ص ١١٥

[2] صحيح البخاري، ٢ / ٩٠

اللفظة التاسعة: (اركعي – اسجدي)

وردت لفظة (الركوع) مقدمة على لفظة (السجود) في موضعين. [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴾ (الحج:٧٧)

وتقدمت لفظة (السجود) على لفظة (الركوع) في وضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٣)

إن الناظر والمتأمل في الآيتين اللتين سبق ذكرهما، يجد الاختلاف بينهما بالتقديم والتأخير، فمرة تتقدم لفظة (الركوع) على لفظة (السجود) كما في آية الحج، وأخرى تتقدم لفظة (السجود) على لفظة (الركوع) كما في آية آل عمران، فما سر ذلك، تلك مسألة ناقشها العلماء كالآتي:

أولا: أغلب العلماء الذين نظر الباحث في مؤلفاتهم التي توافرت له لم يعللوا مسألة تقدم لفظة (اركعوا) على لفظة (اسجدوا) في آية الحج، إلا ما ذكره ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) وعلة ذلك عنده جاءت بالطبع والزمان والعادة، والانتقال من علو وانخفاض [2]، والزركشي (ت ٧٩٤ هـ) الذي ذكر أن علة التقديم جاءت باعتبار التكليف والوجوب فالركوع يسبق السجود في التكليف [3]، ووافقه في ذلك عبد العظيم المطعني [4]، وعلي أبو القاسم عون [5]، وأما فاضل السامرائي فذكر أن علة التقديم جاءت للتدرج من القلة إلى الكثرة [6]، فالركوع يكون مرة واحدة، أما السجود يكون مرتين أو سجدتين.

---

[1] وردت في سورة الفتح / ٢٩

[2] ينظر: بدائع الفوائد، ١ / ٦٨

[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٧٨

[4] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١١٩

[5] ينظر: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ٣ / ٩٥٦

[6] ينظر: التعبير القرآني، ص ٨٥

ثانيا: جاءت توجيهات العلماء لمسألة تقديم (السجود) على (الركوع) في آية آل عمران كالآتي:

ذكر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) عدة أسباب لبيان علة تقديم لفظة (اسجدي) على لفظة (اركعي) في آية آل عمران، أولا: التنبيه على أن الواو بين الفعلين ليست للترتيب، بمعنى يمكن أن يكون المتقدم الركوع وليس السجود، ثانيا: غاية العبد من ربه أن يكون ساجدا، قال عليه الصلاة والسلام (لأقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد)، فلما كان السجود مختصا بهذا النوع من الرتبة لا جرم قدمه على سائر الطاعات. [١]

ما ذكره الرازي من تعليل، كلام حسن وجميل، وذلك عندما عد الواو عدم إفادتها الترتيب، ولذلك يمكن أن يكون المتقدم الركوع، كقولك قام زيد وخالد، فيمكن أن يكون القائم زيد أو خالد بما أن الواو ليست للترتيب، أما إذا كانت للترتيب، فإن المتقدم حسب الآية هو السجود.

ووافق القرطبي (ت ٦٧١ هـ) [٢]، وابن القيم (ت ٧٥١ هـ)[٣]، وابن عادل الدمشقي ت ٨٨٠ هـ) [٤]، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) [٥] الرازي في تعليله.

وأشار أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) إلى أن علة تقديم لفظة (اسجدي) على لفظة (اركعي) في آية آل عمران جاءت للشرف، ولكون السجود أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد. [٦]

ووافقه في ذلك الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) [٧]، ومحمد عبدالله سعادة [٨]، وعلي أبو القاسم عون. [٩]

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب، ٨ / ٤٨

[٢] ينظر : الجامع لأحكام القرآن، ٥ / ١٢٩

[٣] ينظر: بدائع الفوائد، ١ / ٦٨

[٤] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٥ / ٢١٦

[٥] ينظر : قطف الأزهار وكشف الأسرار ، ص ٥٨٩

[٦] ينظر: البحر المحيط، ٢ / ٤٧٨

[٧] ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم، ٢ / ٤٤

[٨] ينظر: من أسرار النظم القرآني، ص ٢٠١

[٩] ينظر: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ٣ / ٩٥٦

وبيّن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) علة تقديم لفظة (اسجدي) على لفظة (اركعي) في آية آل عمران معتمدا على السياق، فسياق الآيات التي ذكرت قبل هذه الآية، يتحدث عن الإخلاص الذي هو روح العبادة، وذلك في قوله تعالى (اقنتي) فالمراد بالقنوت هنا الإخلاص الذي يناسب السجود، ولذلك قدم السجود لمناسبة ذكر معنى الإخلاص قبله. [١]

وذكر أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) أن علة تقديم لفظة (اسجدي) على لفظة (اركعي) في آية آل عمران جاءت لأكثر من سبب، فقد تأتي للفضل، فالسجود أفضل أركان الصلاة، وأقصى مراتب الخضوع، أو لكون الترتيب في شريعتهم بهذه الصورة، أو اقتران لفظة اركعي بلفظة مع الراكعين، أي بمعنى مجاورة الألفاظ بعضها ببعض.[٢]

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) [٣] أبا السعود فيما ذهب إليه، عندما ذكر أن علة تقديم السجود على الركوع جاءت للفضل، فالسجود أفضل أركان الصلاة، وأقصى مراتب الخضوع.

وأما فاضل السامرائي فانفرد برأي جميل ومختصر في بيان علة لفظة (اسجدي) على لفظة (اركعي) في آية آل عمران، فذكر أن العلة جاءت لأجل التدرج من الكثرة إلى القلة. بمعنى التدرج من السجود وهو الكثير إلى القلة وهو الركوع [٤]، ونعت السجود بالكثير؛ لكونه متعددا فقد يأتي سجود سهو، أو سجود، تلاوة أو سجود شكر، وغيره من الأنواع، ولكن الركوع لا يكون إلا في الصلاة ويؤدى مرة واحدة في كل ركعة.

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

اختلف العلماء في توجيه علة تقديم لفظة (اسجدي) على لفظة (اركعي) في آية آل عمران، وعلة تقديم لفظة (اركعوا) على لفظة (اسجدوا) في آية الحج، ويخالف الباحث البقاعي في بيان علة تقديم لفظة (اركعي) فهي ليست لمناسبة القنوت، وإنما لمناسبة الاصطفاء، فسبحانه اصطفى السيدة مريم (عليها السلام) على نساء العالمين، والاصطفاء

---

[١] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤ / ٢٧٢

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٢ / ٣٥

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٣ / ١٥٧

[٤] ينظر: التعبير القرآني، ص ٥٨

يعني التقديم والتفضيل، وبما أن السجود مقدم ومفضل على الركوع في المكانة قدمه لمناسبة ما سبق من اصطفاء مريم (عليها السلام)، ولو نظرنا في كتب التفاسير لوجدنا أن أكثرها تذكر أن القنوت يعني إطالة الوقوف والدعاء في الصلاة، وليس بمعنى الإخلاص، بيد أن الدعاء يتضمن الإخلاص، فإخلاص الأعمال لله تعالى مطلوب دائما حتى يتقبلها الله منا.

ويرى الباحث أن علة تقديم لفظة (اركعوا) على لفظة (اسجدوا) في آية الحج، فالعلة جاءت لكونها الأصل في الوجوب، ويرى جانبا آخر غير ما ذكر في بيان علة تقديم لفظة (اسجدي) على لفظة (اركعي) في آية آل عمران، فالتقديم جاء لأهمية السجود بالنسبة للإنسان، ولمكانة العبد عند ربه وهو ساجد، فالله يقضي حوائج العبد عندما يتذلل إليه ويظهر له الخضوع، بل إن السجود كما ذكر علميا هو رياضة يفرغ الإنسان من خلالها الشحنات الزائدة، وينشط الدورة الدموية، والسجود يزيد تركيز وتدريب الإنسان على الصبر والهدوء، ونشعر بالراحة النفسية ونحن ساجدون، ولذلك يقدم السجود على الركوع لأهميته ومكانته.

اللفظة العاشرة: (باءوا – ضربت)

وردت لفظة (ضربت) مقدمة على لفظة (وباؤوا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١)

وتقدمت لفظة (وبآؤوا) على لفظة (ضربت) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ﴾ (آل عمران: ١١٢)

وقف الباحث على كتب التفاسير، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له، لمعرفة السر البلاغي وراء تقديم تأخير لفظتي (ضربت – وبآؤوا)، وبعد الاستقراء لكتب العلماء لم يجد من أشار إلى العلة البلاغية وراء التقديم، إلا ما ذكرة الغرناطي ت (ت ٧٠٨ هـ)، والبقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، ومحمد فاضل السامرائي.

فذكر الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم الفعل (ضربت) على الفعل (وبآؤوا) في آية البقرة جاءت للمناسبة، وذلك لما سال بنو إسرائيل النبي موسى (عليه السلام) أن يدعو ربه إلى ما يستلزم مهانة النفس من الطعام والشراب بدل المن والسلوى الذي يأتيهم رغدا من عند ربهم، فناسب أن يضرب عليهم الذلة والمسكنة، وأعقب بغضب من الله.

وأما علة تقديم الفعل (وبآؤوا) على الفعل (ضربت) في آية آل عمران فجاءت لمناسبة ما ذكر قلبها في قوله تعالى:﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (آل عمران: ١١١) فناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه، ولا فلاح، وهو (وباؤوا بغضب الله) ثم ضربت عليهم (المسكنة) أي الجزية. [١]

وأما البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) فبيّن أن علة تقديم الفعل (ضربت) على الفعل (وبآؤوا) في آية البقرة جاءت لأنهم سألوا الأدنى الوضيع وتركوا الأعلى الشريف، ثم رجعوا إلى ذلة أنفسهم ملتبسين بغضب عظيم من الله بتسليط قهره عليهم.

وأما علة تقديم الفعل (وبآؤوا) على الفعل (ضربت) في آية آل عمران فجاءت بسبب غرقهم في الذل؛ لأن الذل واقع عليهم أينما وجدوا.[٢]

وذكر محمد فاضل السامرائي أن العلة وراء التقديم والتأخير للفظتي (ضربت – وبآؤوا) جاءت للذم، فمواطن الذم والتشنيع في آية آل عمران أشد من آية البقرة؛ ذلك لأنه أعاد ذكر الفعل (ضربت) مرتين، بخلاف آية البقرة ذكره مرة واحدة، فتقديم غضب الله، وإعادة ذكر الفعل مرتين ذلك زيادة في الذم . [٣]

وخلاصة القول:

توصل الباحث من خلال سياق شروحات تفاسير العلماء إلى الآتي:

- السياق في كلتا الآيتين يتحدث عن الذل الذي أصاب بني إسرائيل، وسبحانه ذكر الذل والمسكنة في كلتا الآيتين، ومن خلال سياق شروحات المفسرين

---

[١] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٢١٣

[٢] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١ / ٤١٨، ٥ / ٢٩

[٣] ينظر: المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ص ١٩٤

تبيّن للباحث أن المقصود بالذل في آية البقرة هو المهانة والصغر، والمقصود بالمسكنة الفقر والحاجة.

- بنو إسرائيل في آية البقرة طلبوا من النبي موسى (عليه السلام) أن يدعو ربه بأن يرزقهم طعاما غير المن والسلوى؛ لأنهم ملوا منه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ ﴾ (البقرة: ٦١)فغضب النبي موسى (عليه السلام) من طلبهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ﴾ (البقرة: ٦١)، فالمن السلوى خير، والبقل والفوم والعدس والبصل هو أدنى عند الله ، ولذلك ناسب سياق الآيات تقديم الفعل (ضربت عليهم الذلة) أي ضربت عليهم المهانة والذل، على الفعل (وباؤوا).
- وأما في آية آل عمران فسياق الآيات يتحدث عن الذل الشديد الذي أصاب بني إسرائيل، فهم أذلاء أينما وجدوا، أي (يحاربون، ويقتلون، وتسبى ذراريهم وتملك أراضيهم)، الذل إذن واقع بهم وشديد عليهم، بخلاف آية البقرة إلا إذا اعتصموا بعهد من الله والمؤمنين، وذلك يبعد عنهم الأحكام، إلا حكم دفع الجزية (وضربت عليهم المسكنة)، ثم (وباؤوا بغضب من الله) أي رجعوا بغضب الله عما كانوا عليه من الحال الصالح، ثم دفعوا الجزية (المسكنة)، لذلك ناسب سياق الآيات تقديم الفعل (ضربت) على الفعل (وباؤوا) زيادةً في الذم.
- ,يوافق الباحث فاضل السامرائي فيما ذهب إليه من بيان علة التقديم والتأخير للفظتي (ضربت – وباؤوا)، فزيادة اللفظ غالبا تؤدي إلى زيادة المعنى وتأكيده، وهذا ما أشار إليه ابن جني في باب قوة اللفظ لقوة المعنى أي أن (كلما زاد اللفظ زاد المعنى) . [1]

[1] ينظر: الخصائص، ٣ / ٢٦٤

المبحث الثاني : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في الفعل على الاسم.

اللفظة الأولى: (أنزلناه مبارك)

وردت لفظة (أنزلناه) مقدمة على لفظة (مبارك) في موضعين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ ﴾(الأنعام٩٢)

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٥)

وتقدمت لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ ا(الأنبياء: ٥٠)

إن الناظر والمتأمل في الآيات التي سبق ذكرها، يجد الاختلاف بينها بالتقديم والتأخير، فمرة تتقدم لفظة (أنزلناه) على لفظة (مبارك) كما في آية الأنعام، وأخرى تتقدم لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) كما في آية الأنبياء، ولمعرفة سر ذلك، وقف الباحث على المراجع التي توافرت له التي اهتمت بمثل هذه المسائل، بيد أنه لم يجد إلا القليل من تناول هذه المسألة، وبيّن سر التقديم والتأخير، وجاءت توجيهاتهم للمسألة كالآتي:

ذكر ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) أن علة تقديم لفظة (أنزلناه) على لفظة (مبارك) في آية الأنعام جاءت للاهتمام ومناسبة البداءة بالإنزال، وأما علة تقديم لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) في آية الأنبياء فجاءت على الأصل، فالأصل في اللغة أن تتقدم الصفة المفردة النكرة على الصفة الجملة. [١]

ووافق أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٢]، والألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[٣] ما ذهب إليه ابن جماعة في تعليله للمسألة.

وبيّن أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) أن علة تقديم لفظة (أنزلناه) على لفظة (مبارك) في آية الأنعام جاءت للتأكيد، فصفة (الإنزال) أكثر تأكيدًا من صفة (المبارك) ومعنى كلامه: أن صفة الانزال جاءت لتأكد على أن هذا القرآن هو من عند الله وليس من

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ١٣٩، ص ١٧١

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٣ / ٢٠١

[٣] ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٨ / ٦٠

عند البشر؛ لأنهم أنكروا أن يكون هذا القرآن من عند الله وينزّل على بشر، وأما تأخير لفظة (مبارك)؛ فلأن القرآن قطعًا هو مبارك وكثير الفوائد والمنافع.

وأما بيان علة تقديم لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) في آية الأنبياء؛ فلأنها لم تنزل في معرض إنكار الكفار أن ينزل الله شيئا، بل جاءت عقب قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٨)أي أن الذي آتاه الرسول هو ذكر مبارك. [١]

وعلل السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) علة تقديم لفظة (أنزلناه) على لفظة (مبارك) في آية الأنعام، فذكر أن العلة جاءت لأن الكلام هنا مع منكري أن الله ينزّل على البشر كتابا ويرسل رسولا، ومعنى ذلك أن لفظة (أنزلناه) قدمت لتأكد على أن هذا القرآن من عند الله وليس من عند البشر.[٢]

ولم يذكر السمين الحلبي علة تقديم لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) في آية الأنبياء، ربما عد ذلك هو الأصل في اللغة.

واقتصر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) على بيان علة تقديم لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) في آية الأنبياء مكررا ما ذكره ابن جماعة، ولم يتطرق إلى بيان علة تقديم لفظة (أنزلناه) على لفظة (مبارك) في آية الأنعام.[٣]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- إن ما يقصده ابن جماعة بقوله الاهتمام في بيان علة تقديم (أنزلناه) على (مبارك)، أي الاهتمام والتأكيد بأن هذا القرآن منزل من الله سبحانه وتعالى، وليس من عند البشر، فهو معجز في ألفاظه ومعانيه.
- الباحث يوافق ما ذهب إليه ابن جماعة في بيان علة تقديم لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) في آية الأنبياء ، فالتقديم هنا جاء على الأصل اللغوي؛ لأن

---

[١] ينظر: البحر المحيط، ٤ / ١٨٢

[٢] ينظر: الدر المصون، ٥ / ٢٢٩

[٣] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٩٥

الموصوف المفرد في اللغة يتقدم على الموصوف الجملة، وقد تتقدم الصفة الجملة على الصفة المفردة كقوله تعَالَىٰ:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (الإسراء: ١٣)

- أفاد السمين الحلبي في تعليله لمسألة تقديم لفظة (أنزلناه) على لفظة (مبارك) في آية الأنعام من تعليل أبي حيان الأندلسي، فكلاهما متفق أن العلة جاءت في معرض منكري أن يكون هذا القرآن من عند الله، ولكن كل منهما فسر المسألة بطريقته.
- ويرى الباحث أن علة التقديم والتأخير في المسألة تعتمد على السياق، فلا يمكن معرفة سر ومعنى التقديم والتأخير دون النظر في سياق الآية الذي وردت فيه، فسياق آية الأنعام يتحدث عن الكفار المنكرين لوجود قرآن من عند الله ، فلو نظرنا في الآية التي تسبق الآية (٩٢) من سورة الأنعام لوجدنا أنها تتحدث عن المنكرين لوجود قرآن من عند الله قَالَ تعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾ (الأنعام: ٩١)، ونلحظ أن سياق الآية صريح في ذكر انكارهم للقرآن، فرد الله عليهم قَالَ تعَالَىٰ:﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: (الأنعام:٩١) وهذا تأكيد على أن القرآن والكتب السماوية السابقة هي من عند الله، لذلك ناسب سياق الآيات تقديم لفظة (أنزلناه) لدحض انكارهم، ثم اعقبت بلفظة (مبارك)، فالقرآن بطبيعته جعله الله مباركا في كل شيء، في ألفاظه ومعانيه، والبركة تشمل المشتغل به.
- وأما علة تقديم لفظة (مبارك) على لفظة (أنزلناه) في آية الأنبياء فجاءت على الأصل التركيبي اللغوي في الجملة العربية، فالصفة المفردة في اللغة تسبق الصفة الجملة.

اللفظة الثانية (يسعى – نورهم)

وردت لفظة (نورهم) مقدمة على لفظة (يسعى) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ (التحريم:٨)

وتقدمت لفظة (يسعى) على لفظة (نورهم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (الحديد: ١٢)

إن التشابه والاختلاف بين الآيتين واضح، فآية التحريم تقدم فيها الاسم (نورهم) على الفعل (يسعى)، بينما آية الحديد تقدم فيها الفعل (يسعى) على الاسم (نورهم)، فما سر ذلك.

وقف الباحث على كتب التفاسير وكتب المتشابه اللفظي التي تعنى بمثل هذه المسائل التي توافرت له؛ لمعرفة سر ذلك التقديم، بيد أنه لم يجد من ناقش المسألة من جانب بلاغي لبيان علة (التقديم والتأخير)، إلا ما ذكره الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)، والبقاعي(ت ٨٨٥ هـ) وجاء تعليلهما للمسألة كالآتي:

ذكر الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم الاسم (نورهم) على الفعل (يسعى) في آية التحريم جاءت لقرب المنزلة وعلو الحال، ولأنها ذكرت النبي (ﷺ)، وذكرت معه المؤمنين قال تعالى {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ} أي أن المؤمنين قريبو المنزلة من النبي (ﷺ)، وعلا حالهم، وهذا الأمر يقضي الثبات ومن أجل ذلك قدم الاسم على الفعل.

وأما في آية الحديد فسياقها يدل على بشارة للمؤمنين، ولم يأت في سياق الآية ذكر النبي (ﷺ) مع المؤمنين، ولم تذكر ألفاظا تدل على تمكن المنزلة، وإنما ذكرت فقط البشارة، ولذلك قدم الفعل (يسعى) ليناسب التجدد والحدوث.[1]

وبيّن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) أن علة تقديم الاسم (نورهم) على الفعل (يسعى) في آية التحريم جاءت لتعظيم النبي (ﷺ)،فالآية نفت الخزي عنه وعن الذين آمنوا معه؛ ولأنها ذكرت

---

[1] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ١٠٧١، ١٠٧٢

النبي (ﷺ)، ولذلك قدم الاسم، بخلاف ما جاء في آية الحديد، فالسعي هنا يحتاج إلى تجدد واستمرار، ولذلك قدم الفعل.[1]

وخلاصة القول:

إن ما ذكره الغرناطي والبقاعي حسن ومقبول، ويرى الباحث أن علة تقديم الاسم في آية التحريم، جاءت لسبق ما يقتضيه السياق، فالسياق ذكر النبي (ﷺ) ونفى عنه الخزي، وأثبت له الكرامة، وعطف علية المؤمنين، وأثنى عليهم ومدحهم، إذن كل هذه المعاني تقتضي من السياق أن يذكر الاسم (نورهم) مقدمًا على الفعل (يسعى)؛ ليدل على الثبات، وأما في آية الحديد فالسياق يختلف عما هو عليه في آية التحريم، أولا: لم يأت في سياق آية الحديد ذكر النبي (ﷺ)، وإنما ذكر فقط البشارة التي تصيب المؤمنين، والبشارة ليست ثابتة بنفس القدر للجميع، وإنما متفاوتة ومتغيرة، وتكون بقدر العمل الذي عمله في الدنيا، فينال بشارته في الآخرة وفق مقدار عمله في الدنيا، ولذلك قدم الفعل لأجل التناسب المعنوي بين الألفاظ والسياق.

اللفظة الثالثة: (بلغت – امرأتي)

وردت (بلغني الكبر) متقدمة على (امرأتي عاقر) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (آل عمران: ٤٠)

وتقدمت (امرأتي عاقر) على (بلغت من الكبر) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (مريم: ٨)

ناقش العلماء هاتين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما؛ لبيان علة تقديم وتأخير (بلغت) على (امرأتي) في كلا الموضعين وتجلى موقفهم للباحث من المسألة كالآتي:

أولاً: (بلغت من الكبر) تمثل حال النبي زكريا (عليه السلام)، وأما (امرأتي عاقرا) فتمثل حال زوجته.

---

[1] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٠ / ٢١٣

ثانيًا: توجيهات العلماء للمسألة جاءت كالآتي:

ذكر الكرماني (ت٥٠٥هـ) أن علة تقديم حال زوجته (امرأتي عاقر) على حاله (عليه السلام) (بلغت من الكبر) في آية مريم جاءت لأن في آية مريم (عليها السلام) تقدم ذكر (الكبر) في قوله تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤)، وتأخر ذكر المرأة في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٥)، فأعاد ذكر (عاقر)، وأخر ذكر (الكبر)؛ ليوافق لفظه (عتيا)، (عشيا)، (صبيا).[١]

ووافق ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ)[٢]، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)[٣]، والسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)[٤]، والفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)[٥]، والسيوطي (ت٩١١هـ)[٦]، والأنصاري (ت ٩٢٦هـ)[٧]، و(عز الدين الكردي)[٨] الكرماني في بيان علة التقديم في آية مريم، بيد أن ابن جماعة أضاف عبارة جميلة، فذكر أن هذا التقديم جاء من باب التفنن في الفصاحة، وأما أبو حيان الأندلسي فذكر أن (بلغني الكبر) جملة فعلية، فناسبت أن تكون كذلك لحال النبي زكريا (عليه السلام)؛ لأن العمر يتجدد شيئا فشيئا، وأما وصف حال زوجته (امرأتي عاقر) فجاءت جملة اسمية، فناسبت أن تكون كذلك كون العقر ثابتا ولازما لا يتغير.

وأما السمين الحلبي فذكر أن هذا التقديم باب مقصود في الفصاحة إذا لم يخل بالمعنى، وذكر أيضًا أن العطف بالواو في الآيتين لا يقتضي ترتيبًا زمانيًا، ولذلك لم يبال بتقديم ولا تأخير.

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة (٥٥)، ص ٨٩

[٢] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة (٧٤)، ص ١٢٧

[٣] ينظر: البحر المحيط، ٢ / ٤٧٠

[٤] ينظر: الدر المصون، ٣ / ١٥٩

[٥] ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (الم، الله لا....)، ١ / ١٦٢

[٦] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار، ص ٥٨٧

[٧] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، المسألة (١٥) من سورة آل عمران، ص ٨٥

[٨] ينظر : الكردي : عز الدين محمد ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت ط١، ت: ١٤٢٨هـ،٢٠٠٧م، ص ١٩٨

وانفرد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) في بيان علة تقديم (بلغني الكبر) على (امرأتي عاقر) في آية آل عمران برأي جميل، فذكر أن علة تقديم حال النبي زكريا (عليه السلام) على حال زوجته، من باب تقديم الذكر على الأنثى. [١]

وذكر الكردي أن علة تقديم حال النبي زكريا (عليه السلام) على حال زوجته؛ ذلك لأن المقام في ذكره (عليه السلام) ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (آل عمران: ٣٧)، وقوله تعالى:﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (آل عمران: ٣٨) ، وقوله تعالى:﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٩)، إذن سياق الآيات السابقة يتحدث عن النبي زكريا (عليه السلام)، ولذلك قدم اهتمامًا به.[٢]

وبيّن الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) أن المعنى في الآيتين واحد، ثم نظر إلى مقاطع الآيات في سورة مريم (عليها السلام) لبيان علة تقديم (امرأتي عاقر) على (بلغت من الكبر)، مبينًا أن السورة استدعت ما يأتي على حكمها، ويناسبها من لدن قوله تعالى في افتتاح السورة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ (مريم: ٢) إلى قوله تعالى في قصة عيسى (عليه السلام) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ (مريم: ٣٣)،فنلحظ أن فواصل الآيات في السورة لم تحرج عن مقاطعها، وإنما جاءت بمقطع واحد، لذلك اقتضت مناسبة سياق الآيات في هذه السورة ورود قصة النبي زكريا(عليه السلام) على ورد في السورة.

وأما آية آل عمران لم يتقيّد بما قبلها من آيات وما بعدها بمقطع مخصوص، فجرت هي على مثل ذلك. [٣]

---

(١) ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، المسألة (١٥) من سورة آل عمران، ص ٨٥

(٢) ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ص ١٩٨

(٣) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر الكرماني إلى التوافق والتناسب اللفظي بين الآيات لبيان علة التقديم في آية مريم.
- لم يتطرق الكرماني إلى بيان علة التقديم في آية آل عمران.
- نظر الغرناطي إلى فواصل ومقاطع الآيات لبيان علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين.
- انفرد أبو حيان بتحليل جميل ورائع في بيان علة التقديم في آية مريم (عليها السلام)
- أغلب العلماءالذين جاؤوا من بعد الكرماني اتفقوا معه في بيان علة التقديم في آية مريم (عليها السلام)
- علل الأنصاري مسألة التقديم في آية آل عمران تعليلا عاما دون التطرق إلى التفاصيل.
- ذكر السمين الحلبي أن العطف بالواو في كلا الآيتين لا يقتضي ترتيبا زمانيًا، أي أن التقديم والتأخير ليس مشعرًا بتقدم زمان، وإنما التقديم من باب تقديم المناسب في فصاحة الكلام، وهذا قول حسن وجميل؛ لأن تقديم المناسب في الكلام أولى، وليس من باب عطفه، صحيح أن العطف له دور أحيانا في مسألة التناسب اللفظي، ولكن ليس دائما.
- عندما وصف النبي زكريا (عليه السلام) حاله بقوله (بلغني الكبر) هذا من باب القلب، ويدل قوله هذا على تمكن الكبر منه.

ويرى الباحث أن علة تقديم (امرأتي عاقر) في آية مريم (عليها السلام)؛ ذلك لأن النبي زكريا (عليه السلام) كان يظن أن عدم الولادة عقر امرأته، ودليل ذلك أنه لم ينسب إلى نفسه العقر، ولذلك كان من المناسب تقديم (امراتي عاقر).

وأما علة التقديم في آية آل عمران فيختار الباحث ما ذهب إليه عز الدين الكردي في بيان علة تأخر (بلغت من الكبر) الذي جاء اهتمامًا به (عليه السلام) ومناسبة لسياق الآيات التي تقدمت على آية آل عمران في الذكر.

المبحث الثالث : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في متعلقات الفعل.

تقديم المفعول به على ضمير التوكيد (هذا – نحن)

وردت لفظة (نحن) مقدمة على لفظة (هذا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٨٣)

وتقدمت لفظة (هذا) على لفظة (نحن) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (النمل: ٦٨)

إن التشابه والاختلاف بالتقديم والتأخير بين الآيتين السابقتين واضح، ولمعرفة السر وراء ذلك، وقف الباحث على كتب العلماء التي توافرت له التي تناولت وبينت مسألة الاختلاف بين الآيتين، وتجلى موقفهم من تقديم لتأخير لفظتي (هذا – نحن) كما ورد في الآيتين في الآتي:

أرجع الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ) علة التقديم والتأخير بين اللفظتين إلى المناسبة اللفظية، فتقديم لفظة (نحن) والمعطوف (آباؤنا) على المفعول به الثاني (هذا) في آية المؤمنين جاءت لمناسبة ما تقدم قبلها من ألفاظ، ولو نظرنا في الآية التي تسبق آية المؤمنين في قوله تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨١)، نجد أن الأفعال السابقة أسندت إلى فاعليها مباشرة دون فاصل (قالوا، قال الأولون)، لذلك جاءت آية المؤمنين في قوله تعالى﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ على نفس البناء والنسق في الآية التي تسبقها، إذ تمم حكم الفاعل (نائب الفاعل) وهو توكيده، ثم عطف عليه (آباؤنا)، ثم ذكر المفعول به (هذا).[1]

وأما علة تقديم لفظة المفعول به(هذا) على لفظة الضمير التوكيد (نحن) في آية النمل فجاءت أيضًا لمناسبة اللفظ في الآية التي تسبقها، فتقدم قبل هذه الآية قوله تَعَالَىٰ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ (النمل: ٦٧)

وعندما ننظر في هذه الآية نجد أن المعطوف (آباؤنا) وهو كالفاعل قد تأخر عن اسم كان، وتقدمه (ترابًا) الذي هو كالمفعول به، فصار خبر كان ما هو (كالمفعول به) مقدمًا على ما هو معطوف المرفوع (اسم كان) أي (نحن وآباؤنا) الذي هو كالفاعل.

---

[1] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، المسألة (١٥٩)، ٢ / ٩٤٣

أي أن آية النمل جاءت مرتبة على هذا النسق وفق الترتيب والنسق الذي جاء في الآية التي تقدمتها في الذكر، لذلك تقدم المفعول به (هذا) على ضمير التوكيد المرفوع (نحن)؛ تناسقا مع ما سبق من ألفاظ من حيث البناء اللفظي.

وذكر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) أن علة تقديم لفظة (نحن) والمعطوف (آباؤنا) على المفعول به الثاني (هذا) في آية المؤمنين جاءت على القياس؛ لأن الضمير المرفوع المتصل (وعدنا) لا يجوز العطف عليه حتى يؤكد بالضمير المنفصل (نحن) ثم عطف عليه (آباؤنا) ثم ذكر بعد ذلك المفعول به (هذا)، لذلك جاء علة التقديم على القياس. [١]

وأما علة تقديم لفظة المفعول به (هذا) على لفظة الضمير التوكيد (نحن) في آية النمل فجاءت موافقةً في البناء للآية التي قبلها {كنا ترابًا}؛ لأن القياس فيه (كنا نحن وآباؤنا ترابًا)، فكانا متوافقين (هذا – ترابًا).

وكرر الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) في كتابه ما ذكره الكرماني في بيان علة التقديم في كلا الموضعين، ولم يزد عليه شيئا. [٢]

وبيّن الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أن التقديم في المسألة دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر، وأن الكلام سيق لأجله، وذكر أن تقديم لفظة (نحن) والمعطوف (آباؤنا) على المفعول به الثاني (هذا) في آية المؤمنين، دل على اتخاذ المبعوث وهو الذي تعمد في الكلام، وأما تقديم لفظة المفعول به (هذا) على لفظة الضمير التوكيد (نحن) في آية النمل فدل على اتخاذ البعث. [٣]

ووافق الرازي (ت ٦٠٦ هـ) [٤] ، والنسفي (ت ٧١٠ هـ) [٥]، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) [٦]، الزمخشري فيما ذهب إليه من بيان علة التقديم في كلا الموضعين .

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة (٣٣٣)، ص ١٨٤

[٢] ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (قد أفلح المؤمنون)، ١ / ٣٣٢

[٣] ينظر :الكشاف، ٤ / ٢٦٩

[٤] ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٤ / ٢١٤

[٥] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢ / ٦١٨

[٦] ينظر: البحر المحيط، ٧ / ٨٩

وخالف الأنصاري الزمخشري في بيان علة التقديم في آية النمل، فالتقديم عنده جاء اهتماما بمنكري البعث، ولهذا قال { إن هذا إلا أساطير الأولين}.[١]

ووافق أيضا أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٢]، والألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[٣] الزمخشري في بيان علة تقديم المفعول به (هذا) على الضمير (نحن) في آية النمل، بيد أنهما لم يتطرقا إلى بيان علة التقديم في آية المؤمنين، ربما عدا ذلك جريا على الأصل، أي يأتي ضمير التأكيد (نحن) عقب المؤكد، ثم يأتي بعده المفعول به (هذا) وربما هذا لا يحتاج إلى تعليل في نظرهما .

وذكر الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم لفظة (نحن) والمعطوف (آباؤنا) على المفعول به الثاني (هذا) في آية المؤمنين جاءت لمناسبة ما تقدم قبلها من ألفاظ ومعان، فتقدم قبل هذه الآية قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٦٨)وتذكر هذه الآية أن آباءهم جاءتهم الرسل، وأنذروا كما أنذر هؤلاء، ولكنهم أنكروا وأعرضوا، والاستفهام هنا انكاري، لهذا قالوا ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (النمل: ٦٨)

وأما في آية النمل فلم يأت ذكر آبائهم، وكان أهم شيء عندهم اليوم الموعود، وهو يوم البعث ، ولذلك ناسب تقديم (هذا) على (نحن). [٤]

آية المؤمنين إذن تتحدث عن إنذارهم وإنكارهم للبعث، ولذلك ناسب تقديم (نحن) على (هذا)، وأما آية النمل فتتحدث عن اليوم الموعود، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ (النمل: ٦٧) أي يخرجون في يوم البعث، ولذلك ناسب تقديم (هذا)، على الضمير (نحن).

---

[١] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، ص ٣٩١

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٦ / ٢٩٨

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٠ / ١٥

[٤] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٨٨٠

ووافق ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) ما ذهب إليه الغرناطي في بيان علة التقديم في كلا الموضعين، ويضيف عليه أن تقديم من تقدم ذكره (أهم وأنسب) .[١]

ووافق النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) الزمخشري في بيان علة التقديم في آية المؤمنين، فالتقديم عنده جاء جريا على الأصل؛ لأن ضمير التأكيد (نحن) جاء عقب المؤكد، ثم جاء بعده المفعول به (هذا).

وأما علة تقديم المفعول به (هذا) على الضمير (نحن) والمعطوف (آباؤنا) في آية النمل؛ فلأن الآية التي سبقتها اقتصر فيها على التراب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٢)، والتراب أبعد في الإعادة من العظام، ولذلك قدم المفعول به (هذا) ليدل على مزيد الاعتناء به من شأن الانكار.[٢]

وبيّن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) أن علة تقديم الضمير (نحن) على المفعول به (هذا) في آية المؤمنين جاءت للمناسبة؛ لأنها سبقت بقوله تعالى {قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}، فالجهة المنظور فيها في هذه الآية كونهم ترابا وعظاما دون آبائهم.

وأما بيان علة تقديم المفعول به (هذا) على الضمير (نحن) في آية النمل؛ فلأن قبلها جاء قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾ (النمل: ٦٧) فالجهة المنظور فيها كونهم وآبائهم ترابا، والمقصود من الآية تبعيد البعث، لذلك ناسب تقديم المفعول به (هذا).[٣]

وكرر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ما ذكره الخطيب القزويني من بيان علة التقديم للمسألة، دون أن يزيد عليه شيئا. [٤]

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة (٢٩٧)، ص ٢٦٨

[٢] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥ / ١٣٠، ١٣١

[٣] ينظر: الخطيب القزويني:جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ت: ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م، ص ٩٨

[٤] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٨٠٣

وأرجع البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) العلة في كلا الموضعين إلى العناية والاهتمام، ففي آية المؤمنين لما كانت العناية والاهتمام بالمبعوث قدمه، ولما كانت العناية والاهتمام باليوم الآخر قدمه. [١]

ونظر عبد العظيم المطعني إلى المقتضيات النفسية لبيان علة التقديم في كلا الموضعين، ففي آية النمل تحولهم إلى تراب في قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴾، أبعدت عنهم حالتهم النفسية احتمال وقوع البعث، ونسوا الموت الذي يشعر بسبق الحياة، واكتفوا بقولهم (كنا ترابا) واستفهامهم هنا محل انكار واستغراب لوقوع يوم البعث، لذلك قدم (هذا) أي يوم البعث لكونه محل انكارهم، وأما في آية المؤمنين فأقروا بالموت {قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا} ثم ذكروا تحولهم إلى تراب وعظام﴿ وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ فهم لم ينكروا تماما يوم البعث، أي أن انكارهم أضعف من الانكار في آية النمل؛ لذكر التحول إلى عظام الذي تعاد منه الحياة، وذكر الموت. [٢]

وانفرد فاضل السامرائي برأي جميل في تعليل المسألة، فذكر أن المحنة والبلى في آية المؤمنين أقل من المحنة والبلى التي في آية النمل، أي أنهم أصبحوا ترابا وعظاما، فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى، ولذلك قدم الضمير (نحن) على المفعول به (هذا).

وأما في آية النمل فإن البلى شديدة، فهم أصبحوا ترابا مع آبائهم، لذلك قدم المفعول به (هذا) على الضمير (نحن) لأنه أدعى إلى العجب.[٣]

---

[١] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣ / ١٧٥

[٢] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١٨٥

[٣] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٥

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- الإسكافي في تعليله لتقديم الضمير (نحن) على المفعول به (هذا) في آية المؤمنين، قارن بين هذه الآية والآية التي تسبقها من حيث ترتيب الجمل، ووجد أن كلاهما جاءت على الأصل اللغوي في البناء، ولذلك قدم الضمير (نحن) على المفعول به (هذا) في هذه الآية، وكذلك الأمر في آية النمل.
علة التقديم إذن في كلا الموضعين كما بينه الإسكافي جاءت مناسبة لما تقدم من بناء وترتيب الالفاظ، أي أن التقديم جاء للمناسبة اللفظية.
- علة التقديم عند الكرماني في آية النمل جاءت قياسا على البناء في الآية التي تسبقها، فتقديم المنصوب (هذا) على (نحن) جاء قياسا على تقديم المنصوب (ترابًا) في قوله تعالى (كنا ترابًا وآباؤنا)، التقديم إذن جاء موافقا ومناسباً لما تقدم من الألفاظ من حيث البناء.
- الكرماني وافق الإسكافي في بيان علة تقديم لفظة المفعول به (هذا) على لفظة الضمير التوكيد (نحن) في آية النمل.
- نظر الزمخشري إلى السياق؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين، فالسياق والكلام الذي سيق في الآية هو دليل وعلة للتقديم، ففي آية المؤمنين يتحدث السياق عن بعث المبعوث أي حشر المنكرين وآبائهم في اليوم الموعود، لذلك قدمت لفظة (نحن)، وأما في آية النمل فيتحدث السياق عن يوم الحشر وهو اليوم الموعود الذين أنكروه، فقدمه سبحانه في الآية بقوله (هذا) فسياق الكلام كان علة التقديم في كلا الموضعين.
- النيسابوري وافق الزمخشري في بيان علة التقديم في كلا الموضعين، فذكر أن علة تقديم المفعول به (هذا) على الضمير (نحن) جاءت للعناية والاهتمام باليوم الآخر، بيد أنه توسع في البيان والشرح للمسألة.
- بين الخطيب القزويني أن علة التقديم في آية المؤمنين جاء متماشيا مع السياق، فعندما ذكروا دون آبائهم، ناسب ذلك تقديم الضمير (نحن)، وأما في

آية المؤمنين فذكروا وذكر معهم آباءهم، وكان القصد من ذلك تبعيد البعث، لذلك ناسب تقديم المفعول به (هذا) على الضمير (نحن) لتقريب اليوم الموعود والاهتمام والعناية به.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الزمخشري، من اعتماد السياق العلة وراء التقديم والتأخير، فالسياق القرآني في آية المؤمنين يتحدث عن بعث المبعوث أي حشر المنكرين وآبائهم في اليوم الموعود، لذلك قدمت لفظة (نحن)، وأما في آية النمل فالسياق القرآني يتحدث عن يوم الحشر والبعث وهو اليوم الموعود الذين أنكروه، فقدمه سبحانه في هذه الآية بقوله (هذا) على الضمير (نحن).

وقد تكون العناية والاهتمام التي أشار إليها البقاعي علة أخرى للتقديم، كونها دائما حاضرة في جميع الأغراض البلاغية، وموجودة في عموم التقديم، فالأديب أو الشاعر أو غيره لا يقدم ولا يؤخر إلا لغرض العناية والاهتمام، بالإضافة إلى الأغراض البلاغية الأخرى، وهذا ما بيّنه سيبويه بمقولته المشهورة " كأنهم يقدمون الذي ببياته أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم "[1] فصارت عبارته غرضًا رئيسًا لأي أديب أو شاعر، عندما يريد أن يقدم أو يؤخر في كلامه.

---

[1] ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص ٨١

الفصل الثالث:

الفصل الثالث	**أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الجار والمجرور .**
المبحث الأول	**أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على جار ومجرور مثله)**
المبحث الثاني	**أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على الاسم)**
المبحث الثالث	**أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على مرفوع الفعل ومنصوبه)**

الفصل الثالث: أسرار التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي في الجار والمجرور .

بعد ما أنهى الباحث من بيان أسرار التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ووقف على (الاسم والفعل)، يحاول الآن أن يبسط الكلام على (الجار والمجرور)، وأسرار التقديم فيهما.

المبحث الأول: أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على جار ومجرور مثله)

اللفظة الأولى: (على شيء – مما كسبوا)

ورد الجار والمجرور (على شيء) مقدما على الجار والمجرور (مما كسبوا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ا(البقرة: ٢٦٤)

وتقدم الجار والمجرور (مما كسبوا) على الجار والمجرور (على شيء) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ (إبراهيم: ١٨)

إن الموقف من تقديم وتأخير (على شيء – مما كسبوا) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

ذكر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) أن تقديم (على شيء) على (مما كسبوا) في آية البقرة جاء على القياس؛ ذلك لأن (على شيء) صلة للقدرة، و(مما كسبوا) صلة للشيء.

وأما في آية إبراهيم (عليه السلام) فعلّة تقديم (مما كسبوا) على (على شيء) جاءت للاهتمام بالذكر؛ ذلك لأن الكسب هو المقصود بالذكر في الكلام، ودليل ذلك قوله تعالى {أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ} إذن سياق الآية يتحدث عن العمل والكسب، وهو المقصود في الكلام، ولذلك قدم على الشيء.[1]

---

[1] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٢٤٥، ص ١٥٤

ووافق الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[١]،والأنصاري(ت ٩٢٦هـ)[٢]، الكرماني فيما ذهب إليه من بيان علة تقديم وتأخير (على شيء – مما كسبوا) في كلا الموضعين ولم يضيفا عليه شيئا.

وذكر ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) أن المثل في آية البقرة يتحدث عن العامل، فكان تقديم نفي قدرته وصلته أنسب.

وأما في آية إبراهيم (عليه السلام) فالمثل يتحدث عن (العمل) في قوله تعالى {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ }، فكان تقديم نفي (ما كسبوا) أنسب؛ لأنه صلة (الشيء) وهو الكسب. [٣]

ووافق جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)[٤] ابن جماعة في بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين.

وبيّن أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) أن علة التقديم في كلا الموضعين جاءت من باب التفنن في الفصاحة، والمغايرة في التقديم والتأخير، وذكر أن المعنى واحد. [٥]

وذكر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) أن علة تقديم (مما كسبوا) في آية إبراهيم (عليه السلام) على (على شيء) جاءت لما يقتضيه السياق؛ ذلك لأن الأمر هنا متمحصا للأعمال، أي أن السياق القرآني في الآية يتحدث عن العمل، ولذلك اقتضى الأمر تقديم لفظة (الكسب). [٦]

ونظر عبد العظيم المطعني إلى السياق؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين، فذكر المطعني أن السياق في آية البقرة جاء لخطاب للمؤمنين، والله تعالى يناههم فيه أن يكونوا مثل المنافقين الذين يتظاهرون بإنفاق المال بين الناس، ويرجون أن يحصلوا على الربح في الآخرة الذي هو أملهم، لذلك قدم (على شيء) ليقطع عليهم أملهم، وأما في آية إبراهيم (عليه

---

[١] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (الر)، ١/ ٢٧٠

[٢] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، المسألة ٤، ص ٢٩٣

[٣] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة (٦٤)، ص ١٢٠

[٤] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأزهار، ص ٥١٦

[٥] ينظر: البحر المحيط، ٥ / ٤٠٥

[٦] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٠/ ٤٠١

السلام) فالسياق يتحدث عن الكافرين الذين يتعلق أملهم بكسبهم في الدنيا، ظانين أن ذلك مجدٍ لهم في الآخرة، فعمد القرآن إلى تقديم محط رجائهم، وظنهم، ونفى قدرتهم عن ذلك الكسب.[١]

وأما فاضل السامرائي فذكر أن السياق في آية البقرة يتحدث عن الإنفاق والصدقة، والمنفق معطٍ، وليس كاسبًا، ولذلك قدم (على شيء).

وأما في آية إبراهيم (عليه السلام) فالسياق القرآني يتحدث عن العمل، فالعامل كاسب، ولذلك قدم الكسب. [٢]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- التقديم عند الكرماني من خلال سياق طرحه السابق في آية البقرة جاء على القياس، فـ(على شيء) وضحت القدرة، و (مما كسبوا) أتمت معنى الشيء المراد ذكره، لذلك جاء ترتيب المفردات على الأصل والقياس.
- يبدو أن ابن جماعة من خلال سياق طرحه السابق، ناسب بين اللفظ والمعنى ، فجعل تآلف المعاني والألفاظ فيما بينها العلة وراء التقديم في كلا الموضعين، وذلك من خلال ذكر المثل وربطه بالمقصود، ثم الاهتمام بذلك المقصود بذكره وتقديمه، ففي آية البقرة تحدث المثل عن العامل الذي ينفق ماله في الدنيا، وأما في آية إبراهيم (عليه السلام) فتحدث المثل عن العمل الذي يعمله العامل.
- لم يتطرق البقاعي لعلة التقديم في آية البقرة، ربما عدا ذلك الأصل كونها جاءت على القياس، ولا تحتاج إلى تعليل.
- ونظر عبد العظيم المطعني، وفاضل السامرائي إلى السياق؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.
- الباحث يخالف أبا حيان الأندلسي فيما ذهب إليه عندما ذكر أن المعنى واحد في كلا الموضعين لأن:

---

[١] ينظر: خصائص التعبير القرآني، وسماته البلاغية، ٢/ ١٧٥

[٢] ينظر: التعبير القرآني، ص ٧١

- أولا: التقديم لا يحدث إلا لغرض العناية والاهتمام، أو لغرض بلاغي آخر.
- ثانيا: سياق الآيتين مختلف عن الآخر، فسياق آية البقرة يتحدث عن المنافقين، وأما سياق آية إبراهيم (عليه السلام) فيتحدث عن الكافرين، عند ذلك لا يمكن أن يكون المعنى واحدا في كلتا الآيتين لعلة اختلاف السياق.
- يرى الباحث أن مناسبة لما تقدم من ألفاظ في السياق القرآني كان العلة وراء التقديم.

ففي آية البقرة، السياق القرآني يخاطب المؤمنين، ويحذرهم من المنافقين الذين ينفقون أموالهم منًا ورياءً، فالمنافق ينفق ماله رياء الناس، ولا يؤمن بالله، بل إنه لا ينتفع به يوم القيامة، ولذلك قال (لا يقدرون على شيء)، أي لا يجد ثواب شيء مما أنفق، وبما أن الحديث حول المنفق المرائي، فناسب تقديمه في عبارة (لا يقدرون على شيء).

وأما في آية إبراهيم (عليه السلام) فالسياق القرآني يتحدث عن الكافرين، وبيّن أن كسبهم وأعمالهم بأسرها ضائعة، وباطلة، ولا ينتفعون بها؛ لأن كفرهم أبطل كسبهم وأعمالهم، وبما أن الحديث حول الأعمال قدمها الله تعالى بقوله (لا يقدرون مما كسبوا) أي لا ينتفعون بكسبهم وأعمالهم التي عملوها في الدنيا يوم القيامة، والكسب هنا هو (العمل)، ولذلك ناسب السياق القرآني لما تقدمه من ألفاظ تقديم (مما كسبوا) لأنه محل الاهتمام والذكر.

اللفظة الثانية: (به – لغير الله)

ورد الجار والمجرور (به) مقدمًا على (لغير الله) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٣)

وتقدم الجار والمجرور (لغير الله) على (به) في ثلاثة مواضع. [١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ (المائدة: ٣)

ناقش العلماء هاتين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما؛ لبيان علة تقديم وتأخير (به) على (لغير الله) في كلا الموضعين، وجاءت توجيهاتهم كالآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) أن علة تقديم (به) على (لغير الله) في آية البقرة جاءت على الأصل؛ لأن الباء الذي يتعدى به (الفعل) في هذا الموضع هو من جملة الباءات التي تجئ حرفا من الفعل نفسه، لذلك يجب أن تكون أحق بالتقديم.

وأما علة تقديم (لغير الله) على (به) في المواضع الثلاثة الأخرى فجاءت لكونها الأهم في التقديم.[٢]

ووافق الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)[٣]، والنيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)[٤]، والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[٥]، والألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[٦] الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين.

---

[١] وردت في الآيتين: الأنعام / ١٤٥، النحل / ١١٥

[٢] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ١ / ٣١٦

[٣] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٣٣ ، ص ٨١

[٤] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١ / ٤٧١

[٥] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (الم)، ١/ ١٥٠

[٦] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢ / ٤٢

وأوضح الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (به) وتأخيره فيما سواه في آية البقرة جاءت للاعتناء، وذلك أن العرب تقدم الشيء للاعتناء به وقصده وزيادة في التأكيد، ثم أضاف الغرناطي أن آية البقرة تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢)

فورد تعريفهم بذكر ما أبيح لهم من الطيبات، ودليل ذلك افتتح بنداء المخاطبين، ومعقبا فيه بأكل الطيبات، ثم بالشكر، وكل هذه المقاصد جاءت لتأكيد المحرم، ولذلك ناسب تقديم الضمير المجرور.

وأما في الآيات الثلاث الأخرى فلم تذكر هذه المقاصد، ولذلك تأخر ذكر الضمير المجرور (به).[١]

واقترب ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) من تعليل الإسكافي في بيان علة تقديم الضمير المجرور (به) في آية البقرة، وذلك عندما ذكر تعلق الفعل بالضمير، بيد أنه أضاف أن آية البقرة نزلت في المدينة على المؤمنين؛ لبيان ما يحل وما يحرم، فقدم الأهم، وهو ما يحل على ما يحرم.

ونظر إلى مقام الآيات الثلاث الأخرى لبيان تأخير الضمير المجرور (به) عن المجرور (لغير)، ففي آية المائدة ورد تعظيم شعائر الله وأوامره، والأمر بتقواه.

وأما آيتا الأنعام والنحل فنزلتا بمكة فكان تقديم ذكر الأصنام علة ذبائحهم أهم لما يجب توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح.[٢]

ووافق المطعني ابن جماعة فيما ذهب إليه من بيان علة التقديم في كلا الموضعين.[٣]

وانفرد أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) برأي جميل ومختصر لبيان علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

---

[١] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٨٨٠

[٢] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ٥٠، ص ١١٠

[٣] ينظر: خصائص التعبير القرآني، ٢ / ١٦٣

فذكر أن علة التقديم في كلا الموضعين جاءت من باب التفنن في الكلام واتساعا، ولكون الجلالة وقعت في البقرة فصلا، وأما في سورة المائدة فجاءت معطوفات بعدها، هي إذن ليست فصلا، أو كالفصل. [1]

واختصر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) القول في بيان علة التقديم في كلا الموضعين، فعلة تقديم ضمير المجرور وتأخيره في كلا الموضعين جاءت عنده للعناية والاهتمام، وأورد في تعليله قول النبي (ﷺ) " ابدأوا بما بدا الله به "، ولما كانت آية التحريم بالمحرم في سورة المائدة، اهتم وبدأ به، وأخر الضمير الجرور.[2]

ونظر فاضل السامرائي إلى سياق الآيات؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين، فسياق آية البقرة يتحدث عن الرزق والطيبات للعباد، والأمر بأكل الطيبات، ولذلك ناسب تقدم الضمير المجرور (به) هنا لعودة الضمير على الطعام.

وأما في بقية المواضع فكان السياق والمقام يتحدث عن المفترين المشركين على الله الذين يشرعون ما حرمه الله، ولا يذكرون اسم الله على ذبائحهم، لذلك ناسب تقديم (لغير الله) أي بطلان ذكر غير الله.[3]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- أوضح الخطيب الإسكافي أن تقديم الضمير المجرور بالباء (به) في آية البقرة هو الأصل؛ لأن الضمير (به) جر بالباء، وأما (لغير الله) فعدي باللام، فما جر بالباء حقه التقديم على ما سواه، وأما بقية المواضع فقدم (لغير الله)؛ لأنها الأهم، ولأن تقديم المستنكر وهو(لذبح لغير الله) أولى.
- توسع الغرناطي في بيان علة تقديم الضمير (به) عما ذكره الإسكافي، وأفاد في تعليله للمسألة من مقولة سيبويه (كأنهم يقدمون الذي أهم لهم، وهم ببيانه أعنى).

---

[1] ينظر : البحر المحيط، ٣ / ٤٣٨

[2] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢/ ٣٤٥

[3] ينظر: السامرائي: فاضل صالح ، معاني النحو، ط٣، شركة عاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ٣ / ٩١، والتعبير القرآني، ص ٧٣، ٧٤

- وافق النيسابوري الكرماني في بيان علة تقديم الضمير المجرور (به)، بيد أنه أضاف عبارة (أن هذا هو اللائق في التقديم)، وأضاف في بيان علة تأخير في الآيات الثلاث الأخرى لعدم ورود قوله تعالى (فلا أثم عليه).
- انفرد أبو حيان الأندلسي برأي جميل ومختصر في بيان علة التقديم في كلا الموضعين.
- أفاد البقاعي من مقولة سيبويه المشهورة في بيان علة التقديم في كلا الموضعين، واقترب في تعليله للمسألة من الغرناطي.

ويختار الباحث ما ذهب إليه فاضل السامرائي في بيان علة التقديم في كلا الموضعين؛ لأن السامرائي اعتمد على السياق لبيان علة التقديم في كلا الموضعين، فالسياق مختلف في كلا الموضعين.

ففي آية البقرة السياق يخاطب المؤمنين وفصل لهم تحريم أكل أنواع المحرم من الأنعام، وأكد ذلك بورود آية قبل هذه الآية تتحدث عن الرزق، والأكل من الطيبات، وجاء بلفظة (إنما) لتفيد الحصر، ولم يذكر تذكية الأنعام، ولذلك قدم الضمير المجرور (به) الذي يعود على الأكل من الطيبات.

وأما سياق الآيات الثلاث الأخرى فيتحدث عن الذكاة للأنعام، وعن المشركين المفترين الذين يفترون على الله الكذب، ولا يذكرون اسم الله على أنعامهم عند الذبح، ولذلك قدم (لغير الله)؛ لبطلان وتحريم أكل كل شيء ذبح سواء من الأنعام، أو من الأشياء التي أحلها الله للأكل ولم يذكر عليها اسم الله.

اللفظة الثالثة: (في سبيل الله – بأموالهم وأنفسهم)

ورد الجار والمجرور (بأموالهم وأنفسهم) مقدما على (في سبيل الله) في ثلاثة مواضع.([1])

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ (الأنفال: ٧٢)

وتقدم الجار والمجرور (في سبيل الله) على (بأموالهم وأنفسهم) في موضعين.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ (التوبة: ٢٠)

إن الموقف من تقديم وتأخير (في سبيل الله – بأموالهم وأنفسهم) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) أن علة تقديم (بأموالهم وأنفسهم) على (في سبيل الله) في آية الأنفال جاءت لتقدم قبلها ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (الأنفال: ٦٧) ويقصد بعرض الدنيا (المال) وسماه عرضًا لقلة بقائه، وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (الأنفال: ٦٨)، أي من الفداء، وفي قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (الأنفال: ٦٩)، فكان تقديم المال أليق بهذا المكان.

وأما علة تقدم (في سبيل الله) على (بأموالهم وأنفسهم) في آية التوبة فجاءت لتقدم قبلها ذكر الجهاد في سبيل الله، وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التوبة: ١٩) فناسب ذلك تقديم (في سبيل الله). [3]

---

[1] وردت في السورتين، التوبة / ٨١، الحجرات / ١٥

[2] وردت في سورة النساء / ٩٥

[3] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٢ / ٦٩٦

ووافق الكرماني(ت ٥٠٥هـ)[١]، والفيروزآبادي(ت ٨١٧هـ)[٢]، وفاضل السامرائي[٣] الخطيب الإسكافي فيما ذهب إليه من بيان علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

وبيّن ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم (بأموالهم وأنفسهم) في آية الأنفال جاءت للمدح والتعظيم، فالمقصود من آية الأنفال المدح والتعظيم الواقع فيهم من الإيمان، والهجرة، والجهاد بالأموال والأنفس، وتنبيهًا بموقع ذلك من النفوس، وأنهم بادروا على الرغم من حبها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، ولذلك قدم المال تغبيطا لهم، وإعظامًا لفعلهم.

وأما في آية التوبة، فعلة تقديم (في سبيل الله) ذلك لأنها وقعت مفاضلة بين (من آمن بالله وجاهد في سبيله) وبين (سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام)، وهذا ردّ من ظن أن سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام أفضل من الجهاد في سبيل الله، ولذلك قدم (الجهاد في سبيل الله).[٤]

ووافق علي أبو القاسم عون فيما ذهب إليه الغرناطي من بيان علة التقديم في كلا الموضعين.[٥]

واقترب ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) من تعليل الإسكافي والكرماني للمسألة في كلا الموضعين، فذكر أن علة تقديم (بأموالهم وأنفسهم) في آية الأنفال جاءت لذكر قبلها إنفاق المال في سبيل الله، وأما علة تقديم (في سبيل الله) في آية التوبة فجاءت لتقدم ذكر افتخارهم بعمارة المسجد الحرام على المجاهدين، ولذلك ناسب تقديم الجهاد في سبيل الله على ذكر الأموال. [٦]

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ١٦٤ ، ص ١٣٢

[٢] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (يسألونك عن الأنفال)، ١/ ٢٢٥

[٣] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٧

[٤] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٥٨١

[٥] ينظر: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ٣ / ٨٧٧

[٦] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ١٧٦، ص ١٩٢

واختصر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) القول في بيان علة تقديم (بأموالهم وأنفسهم) في آية الأنفال، وذكر أن تقديم الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال{ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ }ولذلك جاء التقديم من باب تقديم السبق بالسببية. [١]

وأما البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) فذكر أن علة تقديم المال في آية الأنفال جاءت لأن المال سبب في قياس النفس، ولأن الآية تتحدث عن إنفاقه تارة، وعن النهي عن حبه تارة أخرى.

وأما علة تقديم الجهاد في سبيل الله في آية التوبة فجاءت لأن الحديث في الآيات السابقة يتحدث عن الجهاد فناسب تقديمه. [٢]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- يبدو أن الإسكافي نظر إلى سياق الآيات المعنوي؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين، وذلك عندما ربط الآيات السابقة باللاحقة من حيث المعنى، أي أن التناسب المعنوي بين الآيات كان علة التقديم في كلا الموضعين.
- الغرناطي علل المسألة من جانب معنوي، أي بالنظر إلى المعاني التي تحملها الألفاظ، والربط بي الآيتين وما سبقهما من آيات في سياق السورتين (الأنفال والتوبة).
- انفرد الزركشي برأي جميل ومختصر، وذلك عندما ذكر أن علة تقديم المال على الجهاد في سبيل الله جاءت لأجل السبق بالسببية، فالمال سبب للجهاد في سبيل الله.
- ويرى الباحث أن مناسبة السياق والتناسب المعنوي بين الآيات في كلا الموضعين كان العلة وراء التقديم.

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٨٥

[٢] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٨ / ٣٣٧، ٤١٧

ففي آية الأنفال ذكر قبلها المال والغنيمة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٧)الذي كان مطلوبا لهم، فناسب السياق تقديمة حتى يضحوا به.

وأما آية التوبة فذُكر قبلها الجهاد، وعمارة المسجد الحرام، فكان المشركون يعتقدون أن عمارة المسجد الحرام أشرف من الجهاد، فخوطبوا باعتقادهم، ولذلك ناسب السياق تقديم الجهاد في سبيل الله لما له من فضل عظيم عند الله تعالى. إذن السياق ناسب الآيات التقديم في كلا الموضعين.

اللفظة الرابعة: (للناس – في هذا القرآن)

ورد الجار والمجرور (للناس) مقدمًا على (في هذا القرآن) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٨٩)

وتقدم الجار والمجرور (في هذا القرآن) على (للناس) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف: ٥٤)

ناقش العلماء الاختلاف الظاهر من حيث التقديم والتأخير بين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما، فأحيانا يتقدم الجار والمجرور (للناس) على الجار والمجرور(في هذا القرآن) كما في آية الإسراء، ومرة يتقدم الجار والمجرور (في هذا القرآن) على الجار والمجرور(للناس) كما في آية الكهف، وتجلت توجيهات العلماء للباحث حول هذه المسألة كالآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (للناس) على (في هذا القرآن) في آية الإسراء جاءت بعد ضرب الأمثال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٧٢)، وبعد تحذير الناس (ﷺ)، وتحذيره لتحذير الناس كلهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٣)، إلى قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٧) وجاء بعده قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا

لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٨٩)؛ لأجل أن ينتبه الناس للقرآن الكريم، ويهتموا به، ويعملوا بكل ما جاء فيه من نواهٍ وأوامر، ولذلك قدم (للناس) من باب العناية والاهتمام.

وأما تقديم (في هذا القرآن) على (للناس) في آية الكهف؛ فلأن ورد قبلها ذكر قصة أهل الكهف، وقصة موسى والخضر (عليهما السلام)، وقصة ذي القرنين، فجاء تقديم (في هَذَا الْقُرْآنِ) على (لِلنَّاسِ) مناسبًا، بل هو أولى لما ضمنته السورة من قصص وأمثال وعبر، التي وردت قبل هذه الآية. [١]

ووافق ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ)[٢] الإسكافي في بيان علة تقديم الجار والمجرور (للناس) على (في هذا القرآن) في آية الإسراء.

وأما عبد العظيم المطعني([٣]) فوافق الإسكافي في كلا الموضعين لبيان علة التقديم.

وأما بيان علة تقديم (في هذا القرآن) في آية الكهف فوافق الإسكافي في ذلك ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)[٤]، والنيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)[٥]، والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[٦]، بيد أن الغرناطي أضاف على تعليل الإسكافي للمسألة، فذكر أن علة تقديم (في هذا القرآن) جاءت كون القرآن أبلغ في التنبيه.

واقترب الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) من تعليل الإسكافي في بيان علة تقديم (في هذا القرآن) على (للناس) في آية الكهف، فذكر أن اليهود سألته عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، فأوحى الله إليه في القرآن، فكان تقديمه في هذا الموضع أجدر، والعناية بذكره أحرى.

واختلف معه في بيان علة تقديم (للناس) على (في هذا القرآن) في آية الإسراء، فبيّن أن علة تقديم ذلك؛ لورود قبلها قوله تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٢ / ٨٥٩

[٢] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، المسألة ٢٣٩، ص ٢٣٢، ٢٣٣

[٣] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١٨١

[٤] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٧٦٥

[٥] ينظر :غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤ / ٣٨٧

[٦] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (سبحان)، ١/ ٢٩٢

هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾(الإسراء: ٨٨) فتقدم ذكر الناس على ذكر الجن في هذه الآية، ولذلك تقدم ذكر (للناس) في هذه الآية. [١]

ووافق ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)[٢]، والنيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)[٣]، والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[٤] الكرماني في بيان علة تقديم (للناس) على (في هذا القرآن) في آية الإسراء، بيد أن ابن الزبير الغرناطي أضاف على تعليل الكرماني للمسألة لفتة جميلة، فذكر أن العلة جاءت لأجل الاعتناء بهم والاهتمام والتشريف.

وأوضح ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) أن علة تقديم (في هذا القرآن) على (للناس) في آية الكهف جاءت بسبب ورود قبلها ذكر إبليس وعداوته، والتحذير من اتخاذه وذريته أولياء، وذلك في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ (الكهف: ٥٠) لذلك ناسب تقديم ذكر(القرآن) الدال على عداوته.[٥]

وأشار البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) إلى أن علة تقديم (للناس) على (في هذا القرآن) في آية الإسراء جاءت لأجل العناية بالناس الذين اتقوا، والذين هم محسنون.

وأما بيان علة تقديم (في هذا القرآن) في آية الكهف؛ فلأن السورة تتحدث عن وصف الكتاب، فاقتضى الاهتمام به، وتقديمه. [٦]

وبيّن الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)[٧] أن علة تقديم (للناس) في آية الإسراء جاءت لأجل الاهتمام بالتمييز المذكور، وبالناس إذ إنهم الأَصل في التكليف.

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٢٧٤ ، ص ٦٤

[٢] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٧٦٥

[٣] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤ / ٣٨٧

[٤] ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (سبحان)، ١/ ٢٩٢

[٥] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني المسألة ، ٢٣٩، ص ٢٣٢، ٢٣٣

[٦] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١١ / ٥١٠، ١٢ / ٨٨

[٧] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، ص، ٣٢٤ ، ٣٢٥

وأما في آية الكهف فبيّن أن علة تقديم (في هذا القرآن) جاءت ليناسب ما تقدم من قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (الكهف: ٤٩)

وانفرد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) برأي جميل في بيان علة تقديم (للناس) على (في هذا القرآن) في آية الإسراء؛ ذلك لأن كون الكلام مسبوقًا لتحديهم، وإقامة الحجة عليهم، وإنّ ذكر القرآن أهم بالأصالة، إلا أن الاعتبارات الطارئة تُقدم في الكلام البليغ على الاعتبارات الأصلية؛ لأن الاعتبارات الأصلية لتقررّها في النفوس تصير متعارفة، فتكون الاعتبارات الطارئة أعز مثالا.

وأما علة تقديم (في هذا القرآن) في آية الكهف فجاءت لأن ذكر القرآن أهم من ذكر الناس بالأصالة، وليس هناك ما يقتضي العدول عنه في هذا المقام، بل إن الكلام جارٍ في التنويه بشأن القرآن، وأنه ينّزل بالحق لا بهوى الأنفس. [١]

ونظر فاضل السامرائي في مفتتح كل سورة؛ ليبين العلة وراء التقديم في كل موضع، ففي سورة الكهف بدأ الكلام على الكتاب الذي هو القرآن في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ (الكهف:١) ثم ذكر بعده أصحاب الكهف، وذكر موسى والرجل الصالح الخضر (عليهما السلام)، وذكر القرنين، وغيرهم من الناس، لذلك كان من المناسب أن يتقدم ذكر القرآن، كما في البدء.

وأما في آية الإسراء فقد بدئت بالكلام على الناس في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١)، ثم القرآن، ثم الحديث عن بني إسرائيل، ثم قال بعد ذلك ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩) لذلك كان من المناسب أن يتقدم ذكر الناس على ذكر القرآن. [٢]

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ١٥ / ٢٠٥، ٣٤٧

[٢] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٩

وذكر عبدالله السليماني، أن علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين تأتي بحسب العناية والاهتمام، وفي التقديم تنويع في الكلام وفي ذلك دلالة على الفصاحة والاعجاز.[1]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال التوجيهات السابقة للعلماء الآتي:

- نظر الإسكافي إلى سياق الآيات الواردة قبل آيتي الإسراء والكهف؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.
- اقترب الكرماني من تعليل الإسكافي في بيان علة تقديم (في هذا القرآن)، فكلاهما ذكر أن علة التقديم جاءت للعناية والاهتمام، ولكن كل منهما فسر المسألة بطريقته.
- نظر الكرماني إلى التناسب اللفظي بين الآيات لبيان علة تقديم (للناس) على (في هذا القرآن).
- يخالف الباحث الأنصاري في بيان علة تقديم (في هذا القرآن) على (للناس)؛ لأن ما بين الآيتين وردت آيات كثيرة هذا من جانب، ومن جانب آخر الكتاب المذكور في الآية ليس بمعنى القرآن، وإنما المقصود بالكتاب، كتاب أعمال العباد.
- تعليل الطاهر بن عاشور جميل، ولم يسبقه إليه أحد، وانفرد به، فذكر أن الاعتبارات الطارئة (كإقامة الحجة عليهم وتحديهم) مقدمة على الاعتبارات الأصلية (بمعنى القرآن مقدم على كل شيء)
- فاضل السامرائي نظر إلى التناسب اللفظي بين الآية وبدء السورة في كلا الموضعين؛ ليبين العلة وراء التقديم، وهذا رأي حسن، وجميل، وهذا ما ذهب إليه الكرماني.

ويختار الباحث ما ذهب إليه فاضل السامرائي من النظر إلى التناسب اللفظي بين مفتتح السورتين، لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.

ويضيف الباحث أن السياق في كلتا السورتين مختلف، فآية الإسراء جاءت بعد أمثال وقصص ضربت، وإنذار ذكر، فجاء تقديم (الناس) تنبيها لهم؛ لأخذ العبرة والعظة مما ذكر قبلها.

---

[1] ينظر: مجلة كلية الآداب، دورية علمية محكمة / كلية الآداب، جامعة حلوان، ص ٧٦

وأما آية الكهف فوردت بعد أخبار وقصص، لذلك قدم الإشارة إلى القرآن لبيان أنه من عند الله، وأنه معجز ومُتحدى به، وصالح لكل زمان، ومكان، إذن اقتضى السياق القرآني هذا التقديم في كلا الموضعين.

المبحث الثاني : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على الاسم)

اللفظة الأولى (بالقسط – شهداء لله)

ورد الاسم (شهداء) مقدما على الجار والمجرور (بالقسط) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ (المائدة: ٨)

وتقدم الجار والمجرور (بالقسط) على الاسم (شهداء) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ (النساء: ١٣٥)

إن الموقف من تقديم وتأخير (شهداء بالقسط – بالقسط شهداء) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء، تجلى للباحث في الآتي:

أورد الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) المسألة في كتابه، شارحًا لها شرحًا عاماً، ومفسرًا بتوسع، بيد أنه لم يجب عن السؤال الذي طرحة في بداية المسألة، ما علة تقديم وتأخير الجار والمجرور (بالقسط) على الاسم (شهداء) في كلا الموضعين.[١]

ونظر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) إلى اسم الجلالة (لله)؛ لبيان علة التقديم والتأخير للمسألة في كلا الموضعين بصورة مختصرة.

فذكر أن (لله) في آية النساء متصل، ومتعلق بالشهادة ، بدليل قوله تعالى {وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ } أي ولو تشهدون عليهم.

وأما في آية المائدة فمتصل ومتعلق بقوامين، والخطاب للولاة بدليل قوله تعالى {وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ}، أي كونوا أيها الولاة قوامين في أحكامكم لله لا للنفع.[٢]

ووافق الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) الكرماني في بيان علة تقديم (الشهادة) على (القسط) في آية المائدة، إذ نظر إلى اسم الجلالة (لله) وتعلقه بقوامين، بيد أنه اختلف معه في بيان علة تقديم (القسط) وذكر أن علة تقديم ذلك اهتمامًا بطلب (القسط) أي العدل. [٣]

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ١ / ٤١٩

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٧٧، ص ٩٨

[٣] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، المسألة ٤٥ من سورة النساء، ص ١٢٥

وذكر ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) أن علة التقديم في كلا الموضعين جاءت لأن الآيتين سواء في المعنى، ولأن من كان قيامه لله تعالى، فشهادته، وعلمه يكون بالقسط، ومن كان قيامه بالعدل، فشهادته وعلمه لله سبحانه؛ وذلك لارتباط أحدهما بالآخر ارتباط الأصل بالفرع، والأصل هو القيام لله، والعدل مرتبط به. [١]

وبيّن الرازي (ت ٦٠٦ هـ) أن علة تقديم (بالقسط) على (شهداء) في آية النساء؛ جاءت لسببين:

- أكثر الناس يأمرون الناس بالمعروف، فإذا آل إليهم الأمر تركوه، حتى إن أقبح القبيح إذا صدر عنهم كان في محل المسامحة، وأحسن الحسن إذا صدر عن غيرهم كان في محل المنازعة، فالله تعالى نبه على سوء الطريقة، وذلك بأن أمرهم بالقيام بالقسط أولا، ثم أمرهم بالشهادة.
- القسط فعل، والشهادة قول، والقول أقوى من الفعل، ولذلك قدم (القسط) على (الشهادة). [٢]

وأوضح ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (بالقسط) في آية النساء جاءت بسبب بناء السورة في آياتها على الأمر بالعدل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٣)

وأما آية المائدة فورد قبلها آيات تتحدث عن الأمر بالطهارة، ثم تذكيره سبحانه بتذكير نعمه، والوقوف مع ما عهدته إلى عبادة الأمر بتقواه فناسب قوله (كونوا قوامين) ثم اتبع بما بُني على ذلك من الشهادة بالقسط. [٣]

ووافق البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) ابن الزبير الغرناطي فيما ذهب إليه من بيان علة التقديم في كلا الموضعين، بيد أنه أضاف على تعليل الغرناطي في بيان علة تقديم

---

[١] ينظر: ابن العربي: أبو بكر بن محمد بن عبدالله ، أحكام القرآن ، تح: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.د، ٢ / ٨١

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب، ١٠ / ٧٤

[٣] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٣٥٨

(الشهادة) في آية المائدة لفتة معنوية لفتة معنوية، فذكر أن النظر إلى الوفاء، إنما يكون بالنظر إلى الموفى.[١]

وذكر النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) تعليلا مختصرًا، بيد أنه حسن وجميل؛ لبيان علة تقديم (القسط) على (الشهادة) في آية النساء.

فذكر أن علة تقديم (القسط) على (الشهادة) في هذه الآية جاءت لأن حق العبادة مقدمة على الشهادة، وهذا من باب تقديم الشرط على المشروط.[٢]

ونظر ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) إلى الآيات التي وردت قبل آيتي النساء والمائدة؛ لبيان علة التقديم في كلا الموضعين.

فآية النساء ورد قبلها آيات تتحدث عن نشوز وإعراض الرجال عن النساء، وعن الصلح على مال، وعن إصلاح حال الزوجين، والاحسان إليهن، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (النساء: ١٢٩) ولذلك ناسب تقديم القسط لإقامة العدل.

وأما آية المائدة فورد قبلها آيات تتحدث عن أحكام الدين، والوفاء بالعهود والمواثيق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ (المائدة: ١)،وما تضمنته الآيات التي وردت قبلها من أمر، ونهي، فناسب تقديم (لله)، وإذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لا بالهوى ولذلك ناسب تقديم الشهادة.[٣]

ووافق أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ما ذهب إليه ابن جماعة في بيان علة تقديم الجار والمجرور (بالقسط) على (الشهادة) في آية النساء، مضيفا على تعليله أن القيام بالقسط أعم من الشهادة وأخص، وأن القسط فعل وقول، والشهادة قول فقط.

واختلف معه في بيان علة تقديم (الشهادة) على (بالقسط) في آية المائدة، فذكر أن التقديم جاء من باب التوسع في الكلام، والتفنن في الفصاحة.[٤]

وأرجع السيوطي (ت ٩١١هـ) العلة في كلا الموضعين بالنظر إلى نوع المخاطبين.

---

[١] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥ / ٤٣١، ٦ / ٤٠

[٢] ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢ / ٥١٢

[٣] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ٩٦ ،ص ١٤٢

[٤] ينظر: البحر المحيط، ٣ / ٤٥٥

ففي آية المائدة المخاطبون هم الولاة، فأمرهم بالقيام لله، بدليل قوله تعالى {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} ولذلك قدم الشهادة، وأما في آية النساء فالمخاطبون هم الشاهدون بدليل قوله تعالى {وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}، أي أمرهم بالقيام بالعدل ولو على أنفسهم، ولذلك ناسب تقديم الشهادة .[1].

وبيّن الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) أن علة تقديم (بالقسط) على (الشهادة) في آية النساء جاءت لأنها وردت بعد آيات القضاء في الحقوق المبتدأه بقوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء: ١٠٥) ثم تعرضت للأحكام المتعلقة بين الرجال والنساء، فكان الأهم تقديم (القسط) على (العدل).

وأما علة تقديم (الشهادة) على (بالقسط) في آية المائدة؛ فلأنها وردت بعد التذكير بميثاق الله، فكان المقام الأول القيام بالوفاء لله بعودهم، ولذلك من المناسب تقديم (الشهادة) على (القسط).[2]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- الإسكافي طرحة المسألة في كتابة ولم يبين علة التقديم في كلا الموضعين.
- الكرماني لم يبيّن سر التقديم في كلا الموضعين، بيد أن تطرق إلى متعلق اسم الجلالة (لله) في كلا الموضعين.
- ابن العربي علل المسألة تعليلا عاما دون التطرق إلى العلة الدقيقة من التقديم في كلا الموضعين.
- لم يتطرق الرازي، والنيسابوري إلى بيان علة تقديم (الشهادة) على (القسط) في آية المائدة.
- ربط ابن جماعة بين آيتي النساء، والمائدة وما ورد قبلهما من آيات لبيان العلة وراء التقديم.

---

[1] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار، ص ٧٦٣

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ٦ / ١٣٥

- ربط ابن الزبير الغرناطي، وابن جماعة، والطاهر بن عاشور بين آيتي (النساء، والمائدة) والآيات التي وردت قبلها؛ لبيان التناسب المعنوي بين الألفاظ في الآيات.
- السيوطي كان التقديم عنده مناسبًا لنوع المخاطبين في كل آية.

ويرى الباحث أن السياق في كلا الموضعين هو الذي يحدد علة المتقدم، فالآيات التي وردت قبل آية النساء تتحدث عن إقامة العدل والقسط بين الرجل والمرأة، ولذلك قدم الجار والمجرور (بالقسط) على (الشهادة).

وأما في آية المائدة فالآيات التي وردت قبلها كانت تتحدث عن المواثيق والوفاء بالعهود بين الخلق وخالقهم، ولذلك كان من المناسب تقديم (الشهادة).

وكذلك القيام بالقسط ينتج عنه الشهادة العادلة، بمعنى لا تقبل شهادة شخص ليس بعادل، أو لا يعمل بالعدل، وتقديم (القسط) أولى من تقديم (الشهادة).

اللفظة الثانية: (على هؤلاء – شهيدًا)

ورد الجار والمجرور (على هؤلاء) مقدمًا على لفظة (شهيدًا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾(النساء: ٤١)

وتقدمت لفظة (شهيدًا) على الجار والمجرور (على هؤلاء) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ (النحل: ٨٩)

إن الاختلاف واضح بين الآيتين اللتين سبق ذكرهما من حيث التقديم والتأخير، مع اجتماعهما في معنى واحد من شهادة الرسل على أممهم، وشهادة نبينا محمد (ﷺ) على أمته، ولمعرفة سر ذلك الاختلاف بين الآيتين، وقف الباحث على كتب التفاسير، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له، بيد أنه لم يظفر بشيء في هذه المراجع إلا ما ذكره الغرناطي، وعلي أبو القاسم عون.

فذكر الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم لفظة (شهيدًا) على الجار والمجرور (على هؤلاء) في آية النحل؛ لورود قبلها قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ (النحل: ٨٤) فتقدم اسم (الشهيد)، ولذلك ناسب تقديم لفظة (شهيدًا) في قوله تعالى {وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا } تناسقًا على ترتيب الألفاظ في بداية الآية.

وأما علة تقديم الجار والمجرور (على هؤلاء) على لفظة (شهيدًا) في آية النساء؛ فلأنه لم يرد قبلها افصاح بذكر المشهود عليهم، ولا كناية عنهم، ولا اسم إشارة، بل إن في آية النساء داعٍ إلى تقدم الجار والمجرور بعلى؛ لتقدم قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ﴾(النساء: ٣٨) فالآية تتحدث عن صفات المنافقين، فناسب تقديم الجار والمجرور في هذه الآية، وكأنه لم يقصد غيرهم. [١]

وبيّن علي أبو القاسم عون أن علة تقديم الجار والمجرور (على هؤلاء) على لفظة (شهيدًا) في آية النساء جاءت لتحقيق التناسب في الفواصل، ولأن الصفات المتقدمة في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ﴾ (النساء: ٣٨) هي للمشار إليهم، فناسب التقديم في توجيه الشهادة إليهم.

وأما علة تقديم لفظة (شهيدًا) على الجار والمجرور (على هؤلاء) في آية النحل فجاءت لتناسب اللفظ ورعاية النظم في تأخير المجرورات فيما قبله.[٢]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر ابن الزبير الغرناطي، وعلي أبو القاسم عون إلى التناسب اللفظي بين آيتي النساء والنحل وبين الآيات التي تسبقها؛ لبيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.
- نظر أيضا علي ابو القاسم عون إلى الفاصلة القرآنية؛ لتحديد الغرض البلاغي وراء تقديم الجار والمجرور (على هؤلاء) في آية النساء.
- توصل الباحث من خلال البحث والنظر في مراجع التفاسير إلى الآتي:
- أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) ذكر المسألة في تفسيره لآية النحل، لكن دون التطرق إلى علة التقديم، وذكر أن ورود (شهيدًا) أي الرسول (ﷺ) جاء للعناية والاهتمام، وكأنه يشير إلى العلة وراء تقديم (شهيدًا) في آية النحل، لكن دون الافصاح بها.([٣])

---

[١] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٣٤١

[٢] ينظر: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ٣ / ٧٧٢

[٣] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٥/ ١٣٥

- ذكر الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) أن ورود ذكر الرسول (ﷺ) في آية النحل جاء للتشريف، ويبدو للباحث من خلال كلامه أن علة تقديم (شهيدًا) في آية النحل؛جاءت للتشريف، بيد أنه لم يذكر ذلك صراحة.[١]

ويرى الباحث أن السياق القرآني في آية النساء يتحدث عن مضاعفة الأجر والثواب،ثم ذكر قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾(النساء:٤١) أي كيف يصنع هؤلاء المكذبون من اليهود والنصارى وغيرهم إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد، يشهد عليهم بما فعلوا، ويقصد بالشهيد في الآية (نبيهم)، لذلك كان من المناسب تقديم (على هؤلاء) في قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾(النساء:٤١)؛ لأن المقام والخطاب القرآني منصب عليهم وموجها إلى المشهود، فناسب تقديمهم للعناية والاهتمام بهم.

وأما في آية النحل فالسياق والمقام القرآني منصب على الشاهد، سواء كان النبي محمد (ﷺ) أم الأنبياء السابقين في الأمم السابقة، ودليل ذلك في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (النحل: ٨٩)العناية والاهتمام كانا موجهين هنا إلى الشاهد أي (النبي) ولذلك كان من المناسب تقديمه اهتماما وعناية به.

أي أن العناية والاهتمام كان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين.

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير، ٥ / ٥٨

اللفظة الثالثة: (بما تعملون – بصير)

ورد الجار والمجرور (بما تعملون) متقدما على لفظة (بصير) في خمسة عشر موضعًا.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ١١٠)

وتقدمت لفظة (بصير) على الجار والمجرور (بما تعملون) في أربعة مواضع.[٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحجرات: ١٨)

اللفظة الرابعة: (بما تعملون – خبير)

وأما ورود الجار والمجرور (بما تعملون) مقدما على لفظة (خبير) في اثني عشر موضعًا.[٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٧١)

وتقدمت لفظة (خبير) على الجار والمجرور (بما تعملون) في ستة مواضع.[٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ١٥٣)

لم يجد الباحث فيما توافر له من مراجع التفاسير، وكتب المتشابه اللفظي، ما يكشف عن سبب وسر الاختلاف في التقديم والتأخير بين الآيتين، إلا ما ذكره فاضل السامرائي في كتابه (من أسرار البيان القرآني).

ذكر فاضل السامرائي يقدم الجار والمجرور (بما تعملون) على لفظتي (خبير أو بصير)، إذا كان السياق القرآني يتحدث عن العمل، كما في آية البقرة التي تتحدث عن إقامة

---

[١] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ١٠

[٢] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ١٠

[٣] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ١٤

[٤] ملحق ألفاظ الآيات المتشابهة، ص ١٤

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وعمل الخير، كلها أعمال يؤديها الإنسان في الدنيا، ولذلك قدم الجار والمجرور (بما تعملون).

وكذلك تقدم الجار والمجرور (بما تعملون) على لفظة (خبير) في آية البقرة؛ لأن السياق القرآني يتحدث في هذه الآية عن الصدقة التي يعملها الإنسان في الدنيا، وبما أن الصدقة من الأعمال فقدم الجار والمجرور (بما تعملون) لمناسبة سياق ما سبق من آيات.

وأما إذا كان السياق القرآني يتحدث عن الأمور القلبية، أو عن صفات الله تعالى، ولا يتطرق إلى الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الدنيا، فإن لفظتي (خبير، وبصير) تتقدمان على الجار والمجرور(بما تعملون خبير، بما تعملون بصير).[1]

فمثلا سياق آية الحجرات يتحدث عن الأمور الغيبية في السموات والأرض، ولم يتطرق إلى الأعمال التي يقوم بها الانسان في الدنيا، ولذلك ناسب تقديم صفة الله تعالى (بصير) بمعنى (عليم) على الجار والمجرور (بما تعملون).

وأما سياق آية آل عمران فيتحدث عن أمور قلبية، فالذين فروا من المعركة عاتبهم الرسول (ﷺ) ووبخهم على فعلهم، ثم أصابهم الغم والهم والحزن والقلق، وكل هذه الأشياء مصدرها القلب، ولذلك ناسب تقديم لفظة (خبير) أي خبير ومطلع بواطنهم على الجار والمجرور (بما تعملون).

وخلاصة القول:

- نظر فاضل السامرائي إلى التناسب المعنوي بين الآيات؛ لبيان علة تقديم وتأخير الجار والمجرور (بما تعملون) على لفظتي (خبير، وبصير).
- بدا للباحث من خلال النظر في كتب التفاسير، أن أبا حيان عندما يتطرق إلى قوله تعالى (والله خبير بما تعملون) أو (والله بما تعملون خبير) أو مع ورود الجار والمجرور (بما تعملون) مع لفظة (بصير)، يذكر أن هذه جملة خبرية تناسب ما قبلها وتحمل التهديد والوعيد، وأحيانا يذكر أن العمل في قوله (بما تعملون) خص للتنبيه، بيد أنه لم يتطرق إلى العلة من وراء التقديم والتأخير.[2]

---

[1] ينظر: من أسرار البيان القرآني، ص ١٣٢

[2] ينظر : البحر المحيط، ١ / ٥١٩، ٢ / ٣٣٩، ٣ / ٩٢

ويوافق الباحث فيما ذهب إليه فاضل السامرائي من بيان العلة في كلا الموضعين، بيد أنه يرى أن السياق المعنوي للآية هو الذي يبين ويحدد العلة وراء التقديم والتأخير، فإذا كان العمل ظاهريا للبشر، ويمكن أن يراه ويقرره ويتصرف فيه، يقدم الجار والمجرور (بما تعملون) للعناية، والاهتمام به كما في قوله تعالى﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٧١) فالصدقة يراها الانسان ويقررها ويحكم عليها، ولذلك ناسب تقديم الجار والمجرور (بما تعملون) على لفظة (خبير).

وأما إذا كان الأمر خارجا عن إرادة الإنسان ولا دخل ولا تصرف له فيه، فإن لفظتي (خبير، وبصير) تقدمان على الجار والمجرور (بما تعملون)، كما في قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }، فأمر السموات، والأرض من الأمور الغيبية التي لا دخل ولا تصرف للإنسان فيها، وإنما هي أمور غيبية تعود إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك ناسب تقديم لفظتي (خبير، وبصير) على الجار والمجرور (بما تعملون).

اللفظة الخامسة: (عليكم – شهيدًا)

ورد الجار والمجرور (عليكم) مقدمًا على الاسم (شهيدًا) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)

وتقدمت لفظة (شهيدًا) على الجار والمجرور (عليكم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ (الحج: ٧٨)

إن الاختلاف واضح بين الآيتين اللتين سبق ذكرهما بالتقديم والتأخير، وموقف العلماء من ذلك، تجلى للباحث في الآتي:

ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) في آية البقرة جاءت لاختصاص أمة محمد (ﷺ) بكون الرسول شهيدًا عليها.

لم يبيّن الزمخشري علة تقديم الاسم (شهيدًا) على الجار والمجرور (عليكم) في آية الحج، ربما على أنها الأصل في تقديم الاسم وتأخير الجار والمجرور.[١]

بيد أنه تطرق إلى بيان علة تقديم الاسم (شهداء) وتأخير الجار والمجرور (على الناس) فجاءت العلة لإثبات شهادة الأمة (أمة محمد ﷺ) على الأمم الأخرى.

ووافق النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) [٢]، والبقاعي (ت ٨٨٥هـ)[٣] وأبو السعود (ت٩٨٢ هـ)[٤]، والألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[٥]، ومحمد عبدالله سعادة[٦] الزمخشري في بيان علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) على الاسم (شهيدًا) في آية البقرة.

---

[١] ينظر: الكشاف، ١ / ٣٣٩

[٢] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١ / ٤٢٢

[٣] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣ / ١٠٣

[٤] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ١/ ١٧٣

[٥] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢ /٥

[٦] ينظر: أسرار النظم القرآني آيات وعبر، ص ٢١٢

وذهب أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) إلى أن علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) على الاسم (شهيدًا) في آية البقرة جاءت من باب الاتساع في الكلام للفصاحة، ولأن (شهيدًا) أشبه بالفواصل والمقاطع في قوله (عليكم).

وأضاف أبو حيان الأندلسي لفتة معنوية جميلة في بيان علة تقديم (شهادة الرسول) على شهادة (الأمة) في آية الحج، وهي أن شهادة الرسول (ﷺ) مقدمة في الزمان على شهادة الناس، وهي أشرف منها.

وأما علة تأخير شهادة الرسول (ﷺ) في آية البقرة فجاءت من باب الترقي؛ لأن شهادة الرسول (ﷺ)مقدمة في الزمان.[١]

وبيّن البقاعي (ت ٨٨٥هـ) أن علة تقدم الاسم (شهيدًا) على الجار والمجرور (عليكم) جاءت للشرف والتفضيل للرسول (ﷺ)، فهو خيرهم، وأفضلهم وأشرفهم؛ ولأن السياق القرآني جاء لإثبات مطلق وصف الاسلام.[٢]

وأورد السيوطي (ت ٩١١ هـ) رأي الزمخشري في بيان علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) في آية البقرة موافقًا ومؤيدًا له دون إضافة أي شيء على قوله.[٣]

وخالف الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) من سبقه في بيان علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) على الاسم (شهيدًا) في آية البقرة فجاءت العلة من باب الاهتمام والعناية بالأمة، وبتشريف هذه الأمة، حتى أنها تشهد على الامم والرسل، وهي لا يشهد عليه إلا رسولها.

وزاد الطاهر بن عاشور قولاً آخر في بيان علة تقديم الجار والمجرور(عليكم)، فعلة التقديم جاءت لتكون لفظة (شهيدًا) خاتمة لآية البقرة.[٤]

ولم يتطرق عبد العظيم المطعني إلى بيان علة تقديم وتأخير الجار والمجرور (عليكم) على الاسم (شهيدًا) في آية البقرة، بيد أنه بيّن علة تقديم وتأخير شهادة الرسول (ﷺ) على شهادة الأمة، فذكر أن الكلام في سورة البقرة مسوق لتقرير عدالة الأمة، وكونها

---

[١] ينظر: البحر المحيط، ١ / ٥٩٦

[٢] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣ / ١٠٣

[٣] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار، ص ٣٣٦

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ٢ / ٢١، ٢٢

شاهدة على الامم، وأما شهادة الرسول (ﷺ) فهي تزكية للأمة لقبول شهادتها، والتزكية تكون بعد أداء الشهادة، وذكر أن الخطاب هنا في الأصل موجة للأمة، ودليل ذلك في قوله تعالىَ {وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}، لذلك تقديم شهادة الأمة أمرٌ اقتضاه حسن النظم وتلاؤم المعنى.

وأما علة تقديم شهادة الرسول (ﷺ) في آية الحج؛ فلأنها جاءت على ترتيب الأصل في تقديم شهادة الرسول (ﷺ) على شهادة الأمة، فالترتيب هنا من باب ترتيب ما هو أصل على هو ما فرع.[1]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- أغلب من بيّن علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) على الاسم (شهيدًا) في آية البقرة، كانت عندهم من باب الاختصاص، اختصاص الأمة بكون النبي(ﷺ) شهيدًا عليهم.
- أكثر المفسرين لم يبن علة تقديم الاسم (شهيدًا) على الجار والمجرور (عليكم) إلا ما ذكره البقاعي.
- انفرد ابو حيان الأندلسي برأي جميل في بيان علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) على الاسم (شهيدًا).

ويرى الباحث أن علة تقديم الجار والمجرور (عليكم) على الاسم (شهيدًا) في آية البقرة، جاءت للتناسب اللفظي لما سبق من ألفاظ، فالضمير في (عليكم) يعود على الأمة التي تشهد على الناس والتي سبق ذكرها في قوله تعالى{ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ }، فلنحظ من خلال الآية أن ذكر الأمة سبق ذكر الرسول، ولذلك ناسب السياق تقديم (عليكم) لفظيا، وأيضا لتشريف الأمة كونها تشهد على باقي الامم يوم القيامة، وأما علة تقديم (شهيدًا) على الجار والمجرور (عليكم) فجاءت للتناسب اللفظي لكون الرسول مقدمًا في الذكر في قوله تعالى.{ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ} لذلك ناسب تقديم شهيدًا لفظيا، بالإضافة إلى أن شهادته (ﷺ) أشرف من شهادة الناس.

---

[1] ينظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ٢ / ١٥٦، ١٥٧

اللفظة السادسة: (من قومه – الذين كفروا)

ورد الاسم الموصول (الذين) مقدمًا على الجار والمجرور (من قومه) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٤)

وتقدم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصول (الذين) في ثلاثة مواضع.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (المؤمنون: ٣٣)

ناقش العلماء الاختلاف الوارد من حيث التقديم والتأخير بين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما، فأحيانا يتقدم الاسم الموصول (الذين) على الجار والمجرور(من قومه) كما في الآية الرابعة والعشرين من سورة المؤمنين، ومرة يتقدم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصول (الذين) كما في الآية الثالثة والثلاثين من نفس السورة.

في البدء اختلف المفسرون في المقصود بكلمة (الملأ) في آية المؤمنين (٣٣) فالزمخشري(ت ٥٣٨هـ) ذكر أن الآية نزلت في قصة هود وقومه عاد، أي أن المقصود (بالملأ) هم قوم عاد.[٢]

وأما أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، والطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) فيرى أن الآية نزلت في قصة صالح وقومه ثمود، إذن المقصود (بالملأ) هم قوم ثمود.[٣]

وتجلت توجيهات العلماء للباحث حول هذه المسألة كالآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي أن علة تقديم الاسم الموصول (الذين) على الجار والمجرور (من قومه) في آية المؤمنين (٢٤) جاءت بسبب انقطاع صفة الملأ (الذين كفروا) إلى المحكي من قولهم، فقرن الوصف بالذين إلى الموصوف، ثم ذكر الجار والمجرور (من قومه)، فكان منتهى بيان فاعل (قال) وهو الملأ، لذلك كان تقديمه مناسبًا.

---

[١] وردت في سورتي: الأعراف / ٦٦، ٩٠، وهود ٢٧

[٢] ينظر: الكشاف، ٤ / ٢٢٩

[٣] ينظر: البحر المحيط ٦ / ٣٧٣، والتحرير والتنوير، ١٨ / ٥٢

وأما علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصول (الذين) في آية المؤمنين (٣٣) فجاءت لئلا يفصل بين الصفة وما عطف عليها وذلك في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (المؤمنون: ٣٣)، ولأن الفعل (كفروا) عطفت عليه أفعال (كذبوا، وأترفناهم)، ولو تأخر الجار والمجرور (من قومه) لاختل النظم الفصيح، ولذلك ناسب السياق تقديم الجار والمجرور.[١]

وأجاب الكرماني (ت ٥٠٥ هـ) على المسألة بجواب قريب من جواب الإسكافي، فذكر أن علة تقديم الاسم الموصول (الذين) على الجار والمجرور (من قومه) في الآية الأولى جاءت لإقصار الصفة (الذين كفروا) على الفعل وضمير الفاعل في (كفروا)، ثم ذكر الجار والمجرور (من قومه) وبعدها ذكر المفعول به وهو مقول القول، لذلك ناسب تقديمه.

وأما بيان علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) في الآية الثانية فجاءت لمناسبة السياق؛ لأن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول به، والعطف عليه مرة أخرى، فتقدم الجار والمجرور (من قومه)؛ لأن تأخيره يحدث التباسا في المعنى، وتوسيطه ركيك، ولذلك خص بالتقديم على الاسم الموصول (الذين)، فكان من المناسب تقديمه في السياق.[٢]

---

[١] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٢ / ٩٣٤

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٣٢٩، ص ١٨٣

ووافق الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[١]، الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) [٢]، وأبو السعود (ت ٩٨٢ هـ)[٣] الكرماني في بيان علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصول (الذين) في الآية الثانية.

وبيّن ابن الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن علة تقديم الاسم الموصول (الذين) على الجار والمجرور (من قومه) في الآية الأولى؛ ذلك لأنه لم يرد مع الموصوف إلا صفة واحدة.

وأما بيان علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) في الآية الثانية فجاءت لرفع أن يكون القائلون غيرهم، ولتكرر الصفات بالعطف. [٤]

وأرجع ابن جماعة (ت٧٣٣ هـ) علة تقديم الاسم الموصل (الذين)، وتأخير الجار والمجرور (من قومه) إلى تمام الصلة والانتقال إلى المفعول به (مقول القول)، أي أن تأخير الجار والمجرور جاء بعد تمام صلة الموصول.

وأما بيان علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصل (الذين) فوافق الكرماني وابن الزبير الغرناطي ، وعلة ذلك عنده كما بينها الكرماني وابن الزبير الغرناطي وجود الصفات المعطوفة.[٥]

وذكر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور في الآية الثانية، ذلك لأنه لو أخبر عنه، وأخره في السياق لاحتمل أن يكون الجار والمجرور مرتبطا بنعيم الدنيا، وذلك في قوله (وأترفناهم من قومه)، وعند ذلك أشتبه الأمر للقائلين أهم من قومه أم لا.

وأما تقديم الاسم الموصول (الذين) على الجار والمجرور في الآية الأولى فجاء على الأصل اللغوي . [٦]

وأوضح البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) في الآية الثانية جاءت بسبب تفرق القبائل الذي أدى إلى تفرق ألسنتها، فقدم الجار والمجرور اهتمامًا

---

[١] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (قد أفلح)، ١/ ٣٣٠

[٢] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن ، ص ٣٨٩

[٣] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٦ / ١٣٣

[٤] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٨٧٥

[٥] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ٢٩٤، ص ٢٦٦

[٦] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٨٠٣، ٨٠٤

للإبلاغ في التسلية، ولو أخره لأدى أن يكون بعد تمام الصلة طويل، بمعنى يطول الكلام لوجود المعطوفات [١]

وذكر الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) في الآية الثانية جاءت لئلا يطول الفصل بين البيان والمبيّن.[٢]

وعلل فاضل السامرائي تعليلا جميلا لبيان مسألة تقديم الجار والمجرور(من قومه) في الآية الثانية مقتربا بذلك من تعليل الزركشي، بيد أنه كان أكثر وضوحا وبيانا، فذكر لو تأخر الجار والمجرور في الآية الثانية،لأصبح الكلام (وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم) ولذلك يحتمل ان يكون الجار والمجرور مرتبطًا بقوله (وأترفناهم) دون غيره من المعطوفات، فيكون المعنى (وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) عامة سواء أكانوا من قومه أم غيرهم.[٣]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- يرى الإسكافي أن علة تقديم الاسم الموصول (الذين) على الجار والمجرور جاءت بسبب التصاق الصفة بالموصوف؛ لأنه لو تقدم الجار والمجرور هنا لأصبحت الصفة للجار والمجرور (من قومه) وليس للملأ.
- يؤيد الباحث ما ذهب إليه الإسكافي في بيان علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصول (الذين) في آية المؤمنين (٣٣)، ذلك لأن تأخير الجار والمجرور إلى ما بعد ذكر الصفات يؤدي إلى ضعف النسج الفصيح، واللبس في الآية.
- يوافق الباحث الكرماني فيما ذهب إليه من بيان علة تقديم الجار والمجرور(من قومه) على الاسم الموصول (الذين)؛ لأن تأخيره يحدث غموضًا ولبسًا في المعنى.

---

[١] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣ / ١٣٨

[٢] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٨ / ٢٩

[٣] ينظر: من أسرار البيان القرآني ، ص ١٢٦

- اقترب الغرناطي في جوابه من جواب الكرماني في مسألة تقديم الجار والمجرور(من قومه) على الاسم الموصول (الذين) في الآية الثانية ، فكلاهما اتفقا أن علة التقديم تكرار هي الصفات المعطوفة، بيد أن الكرماني كان اكثر تفصيلاً وبياناً.
- وافق ابن جماعة الكرماني، والغرناطي في بيان علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصول (الذين) في الآية الثانية.
- أغلب العلماء ذكروا علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) في الآية الثانية، جاءت لوجود المعطوفات، وألا يفصل ما بين المعطوف والصفة فاصل.

ويختار الباحث قول الزركشي في بيان علة تقديم الاسم الموصول (الذين) على الجار والمجرور (من قومه)، فالتقديم جاء على الأصل؛ لأن في الأصل اللغوي أن يتقدم الموصوف ثم صفته مباشرة ولا يفصل بينهما فاصل، ولأن صلة (الذين) اقتصرت على الفعل، وضمير الفاعل في (كفروا)،ثم ذكر بعده الجار والمجرور، ثم المفعول به.

وأما علة تقديم الجار والمجرور (من قومه) على الاسم الموصول (الذين) في الآية الثانية فيختار ما ذهب إليه الكرماني؛ لأن تأخير الجار والمجرور يحدث غموضًا ولبسًا، وعند ذلك سيفصل ما بين الصفة والصفات المعطوفة التي جاءت بعد الاسم الموصول، لذلك ناسب تقديمه.

أما عندما يتأخر الجار والمجرور (من قومه)، ولم يفصل ما بين الملأ والذين كفروا يصبح المعنى عام دون تحديد القوم، بمعنى لو قلنا (وقال الملأ الذين كفروا) فهنا الذين وصف للملأ وهو عام، لكن لو قلنا (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) فهنا خصصت أن الذين كفروا هم من قومه وهذا ما بينه فاضل السامرائي.

اللفظة السابعة: (لله – الحمد)

ورد الاسم (الحمد) مقدمًا على الجار والمجرور (لله) في ثلاثة وعشرين موضعًا.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة: ٢)

وتقدم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٦)

إن الموقف من تقديم وتأخير الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء تجلى للباحث في الآتي:

أولاً: (الحمد) كلمة شريفة جليلة، لا يليق الحمد بها إلا لله تعالى، لذا يجب على العاقل إجلال هذه الكلمة، وأن يذكرها في كل موضع من مواضع نعم الدنيا.

ثانياً: توجيهات العلماء للمسألة جاءت كالآتي:

ذكر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أن عبارتي (الحمد لله – ولله الحمد) بمعنى واحد، وهو حمد لله تعالى، ومن المعلوم أن التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر جائز إذا لم يقع أمرٌ يستدعي تأخير المبتدأ أو تقديم الخبر، كتقديم ماله حق الصدارة.

ومرتبة المبتدأ التقديم، ليُبنى عليه الخبر، وعوارض تقديم الخبر لا تنحصر فقط في العوارض اللفظية، بل قد تكون عوارض معنوية تأتي في سياق الكلام تستدعي ذلك التقديم، وهذا ما نجده في علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الخبر (الحمد) في آية الجاثية .

فعلة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) جاءت لرد الجواب بعد إرغام المكذّب وقهره، ووقوع الأمر يوم القيامة مطابقًا لأقوال الرسل (عليهم السلام)، فكأنه قيل له:(لمن الحمد اليوم)، فيأتي جوابه (لله الحمد)، ثم إن المخاطبين في سورة الجاثية هم المشركون المكذبون بما جاء به الرسل، ولذلك جاء التقديم موافقًا ومناسبًا للسياق المعنوي.

وأما تقديم الاسم (الحمد) على الجار والمجرور (لله) فجاء على الأصل اللغوي، (تقديم المبتدأ على الخبر) إذا لم يكن هناك عارض يستدعي تقديم الخبر.[2]

---

[1] ملحق فهرس الآيات، ص ١

[2] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ١٥٢

ووافق الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ابن الزبير الغرناطي في بيان علة تقديم الاسم (الحمد) على الجار والمجرور (لله) في آية الفاتحة.

واقترب من جواب الغرناطي في بيان علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في آية الجاثية، فذكر أن الجار والمجرور تقدم في قوله تعالى (لله الحمد)؛ لأنه تقدير لجواب وقوع الأمر، فكأنه عند وقوع الأمر سأل: لمن الحمد اليوم، فجاء الجواب منهم (لله الحمد)، وأيضًا جاء الجواب على نظيره قوله تعالى (لمن الملك اليوم) فقال (لله الواحد القهار).[١]

وتطرق أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) إلى مسألة تقديم الجار والمجرور(لله الحمد) في آية الجاثية، لكن دون بيان العلة وراء تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد)، بيد أنه ذكر في سياق تفسير الآية لفظة (خاصة) ولعله يقصد بها بيان علة التقديم للجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد)، أي أن الحمد لله وحده فقط المختص به، لا يحمد غيره.[٢]

وأوضح الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في آية الجاثية جاءت للتأكيد والاختصاص على أن الحمد لله فقط مختص به.[٣]

ولم يتطرق إلى بيان علة تقديم الاسم (الحمد) على الجار والمجرور (لله) في آية الفاتحة، ربما على أنها الأصل.

ووافق الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)[٤]، ومنير محمود المسيري[٥] الألوسي، في بيان علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في آية الجاثية.

وانفرد فاضل السامرائي برأي جميل في ذكر بيان علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في آية الجاثية، معتمدًا في ذلك على السياق السابق للآيات في السورة، فذكر أن جُل التعبيرات في سورة الجاثية، جرت على طريق الحصر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٧) ،وقال تَعَالَىٰ:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٨٠٣

[٢] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٨ / ٧٦

[٣] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٦ / ٣

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥ / ٣٧٧

[٥] ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص ٦٠٨

رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٦)،وقال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الجاثية: ٣٧)، لذلك اقتضى المقام تقديم الذات الإلهية المستحقة للحمد من كل ناحية.[1]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر الغرناطي في بيان علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في آية الجاثية إلى التناسب المعنوي في السياق، وأما تقديم الاسم (الحمد) على الجار والمجرور (لله) في آية الفاتحة فجاء على الأصل اللفظي واللغوي في التركيب.
- نظر الزركشي إلى التناسب المعنوي واللفظي معًا؛ لبيان علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في آية الجاثية.
- نظر فاضل السامرائي إلى السياق العام لسورة الجاثية؛ لبيان علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد).

ويختار الباحث ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

فتقديم الاسم (الحمد) على الجار والمجرور (لله) جاء على الأصل اللفظي في التركيب، فالأصل في التركيب أن يتقدم المبتدأ على الخبر، إذا لم يكن هناك ما يستدعي تقديم الخبر.

وأما علة تقديم الجار والمجرور (لله) على الاسم (الحمد) في آية الجاثية فتعود إلى السياق المعنوي في الجاثية، فالسياق يخاطب المكذبين المشركين الذين كذبوا الرسل بما جاؤوا به من عند ربهم، وذكرت الآية أيضًا نعم الله، وآلاءه، وأفضاله، واشتملت أيضًا على دلائله الإعجازية، والبراهين الساطعة، فاقتضى المقام تقديم الذات الإلهية (لله) المستحقة لكل ذلك، لذلك ناسب المقام تقديم الجار والمجرور (لله) وكأنه اعتراف منهم يوم القيامة بأن (لله الحمد)، بعد ما أنكروا وكذبوا وجحدوا ذلك في الدنيا.

---

[1] ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ٢١

اللفظة الثامنة: (فيه – مواخر)

ورد الاسم (مواخر) مقدمًا على الجار والمجرور (فيه) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ١٤)

وتقدم الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (فاطر: ١٢)

إن الموقف من تقديم وتأخير الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) على ما ورد في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما عند العلماء تجلى للباحث في الآتي:

علل الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) مسألة التقديم والتأخير في كلا الموضعين بما تقدمهما من ألفاظ وجمل.

فتقديم الاسم (مواخر) على الجار والمجرور (فيه) في آية النحل جاء لعلة ما تقدم قبلها من أفعال في نفس الآية، فتقدمت قبل الفعل (ترى) أفعال متعدية (تأكلوا – تستخرجوا)، فجاءت متعلقاتها مرتبة على القياس والأصل، ولذلك بُني الفعل (ترى) على نفس النسق، فذكر أن الجملة (ترى الفلك مواخر فيه) جاءت عناصرها مرتبة على الأصل اللغوي والقياس، ذلك لأن الفعل (ترى) متعدي إلى مفعولين: الأول معرفة (الفلك) والثاني نكرة (مواخر)، ثم جاء الظرف (الجار والمجرور) الذي هو كالفضلة.

وأما علة تقديم الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) في آية فاطر فجاءت لتقدم الجار والمجرور في قوله تعالى ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ (فاطر ١٢) فهنا تقدم الجار والمجرور على الفعل والفاعل، فجاء ما بعدها مبنيًا على نفس النسق اللفظي في قوله تعالى(وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ)، ففي هذه الجملة تقدم الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) توافقًا وتناسقا مع ما سبق من جمل.[1]

---

[1] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٢ / ٣٥٥

ووافق الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)[١]، والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)[٢]، والأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)[٣]، وعلي أبو القاسم عون[٤] الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

واقترب ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) في جوابه للمسألة من جواب الإسكافي، فذكر أن علة تأخير الجار المجرور (فيه) وتقديم الاسم (مواخر) في آية النحل جاءت للتناسب اللفظي؛ ذلك لأن السورة بُنيت على تأخير المجرورات عما تعلقت به، وجرى الكلام جريا واحدًا للتناسب، والتشاكل قيل: لتأكلوا منه، وتستخرجوا منه، ومواخر فيه، فناسب تقديم الاسم (مواخر) وتأخير الجار والمجرور (فيه) موافقةً لما سبق.

وأما علة تقديم الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) في آية فاطر؛ فلأن الآية بُنيت في أولها على تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى {وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً}، فجاءت بناء ما بعدها متناسبًا وموافقًا لما قبلها، وذلك في قوله تعالى {ترى الفلك مواخر فيه}، لذلك كان من المناسب تأخير الجار والمجرور (فيه)[٥]

وبيّن ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) أن علة تقديم الاسم (مواخر) على الجار والمجرور (فيه) في آية النحل، ذلك لأن الآية سيقت في تعداد النعم على الخلق بدليل قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (النحل: ١٨)والفلك من نعم الله على العباد الذي يشق عباب البحر .

وأما بيان علة تقديم الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) في آية فاطر؛ فلأن الضمير فـ(فيه) يعود على البحر فقدمه، ولأن شق الفلك ماء البحر آية من آيات الله تعالى، لذلك كان من المناسب للفك تقديم (فيه).[٦]

---

[١] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٢٥٨، ص ١٥٨

[٢] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (أتى أمر الله)، ١/ ٢٨١

[٣] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن ، ص ٣٠٢

[٤] ينظر: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ٣ / ٧٨٠

[٥] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٧٣٤

[٦] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ٢٢٩، ص ٢٢٥

ووافق الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)[١] ابن جماعة في بيان علة تقديم الاسم (مواخر) على الجار والمجرور (فيه) في آية النحل.

وأما الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)[٢] فوافق ابن جماعة في بيان علة تقديم الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) في آية فاطر.

وانفرد فاضل السامرائي بتعليل جميل لبيان علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

فذكر أن علة تقديم الاسم (مواخر) على الجار والمجرور (فيه) في آية النحل؛ لتقدم في الكلام ذكر تعداد وسائط النقل من الأنعام والخيل والبغال والحمير التي تحمل الأثقال، ثم ذكر بعد ذلك الفلك وهي واسطة نقل، إذن قدم مواخر؛ لأنها من صفات الفلك، وهذا التقديم جاء مناسبًا لأنه في سياق وسائط النقل.

وأما بيان علة تقديم الجار والمجرور(فيه) على الاسم (مواخر) في آية فاطر؛ فلأن الكلام جاء هنا عن البحر، وأنواعه، وما أودع الله في هذا البحر من نعم كثيرة، لذلك عندما كان الكلام عن البحر تقدم ضمير البحر (فيه)، ولذلك قدم ما يتعلق به.[٣]

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- نظر الإسكافي إلى التناسب اللفظي بين جمل الآيتين، لتحديد العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.
- الباحث يخالف الإسكافي في جعل الفعل (ترى) متعدي لمفعولين، فالفعل (ترى) ليس قلبيًا، وإنما بصريًا؛ لأننا نرى السفن بأعيننا عندما تشق مياه البحر عن طريق الريح، إذن الفعل متعدي لمفعول واحد وليس لمفعولين، وعند ذلك نعرب مواخر (حال)[٤] وليس (مفعول به ثاني) .

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٢ / ١٨٠

[٢] ينظر: التحرير والتنوير، ٢٢ / ٢٨٠

[٣] ينظر: التعبير القرآني، ص ٦٨

[٤] الإبراهيم :محمود الطيب ، إعراب القرآن الكريم، دار النفاس للطباعة والنشر، بيروت، ط ٤، ت: ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م، ص٤٣٦

- وافق الكرماني وابن الزبير الغرناطي، والأنصاري الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.
- خالف ابن جماعة من سبقه من العلماء في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين، فابن جماعة نظر إلى التناسب المعنوي ما بين الجمل بخلاف من سبقه، الذين نظروا إلى التناسب اللفظي.
- وافق الألوسي، والطاهر بن عاشور ابن جماعة في بيان علة تقديم الجار والمجرور (فيه) على الاسم (مواخر) في آية فاطر.
- اعتمد السامرائي على التناسب المعنوي في السياق؛ لبيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

ويختار الباحث رأي الإسكافي في بيان علة تقديم الاسم (مواخر) على الجار والمجرور (فيه) فالتقديم جاء على الأصل والقياس، ومتناسبًا لفظيا مع ما سبق.

وأما بيان علة تقديم الجار والمجرور(فيه) على الاسم (مواخر) في آية فاطر فيختار ما ذهب إليه فاضل السامرائي، فالسياق القرآني في السورة يتحدث عن تعداد وسائل النقل من الأنعام والخيل وغيرها، والفلك من ضمن وسائل النقل، ولأن السياق ذكر صفة الفلك وهي (المخر)، ولذلك ناسب تقديمه .

المبحث الثالث : أسرار تقديم ألفاظ المتشابه اللفظي وتأخيرها في (الجار والمجرور على مرفوع الفعل ومنصوبه)

أولا: تقديم الجار والمجرور على مرفوع الفعل (الفاعل)

اللفظة الأولى (به – قلوبكم)

ورد الجار والمجرور (به) مقدمًا على لفظة (قلوبكم) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ١٠)

وتقدمت لفظة (قلوبكم) على الجار والمجرور (به) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦)

ناقش العلماء الاختلاف من حيث التقديم والتأخير بين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما، فأحيانا يتقدم الجار والمجرور (به) على لفظة(قلوبكم) كما في آية الأنفال، ومرة تتقدم لفظة (قلوبكم) على الجار والمجرور (به) كما في آية آل عمران.

وجاءت توجيهاتهم للمسألة في كلا الموضعين كالآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (به) على الفاعل (قلوبكم) في آية الأنفال، ذلك لأن الأصل في الجملة العربية أن يتقدم الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به ثم الجار والمجرور، وقد يُقدم المتأخر كتقديم المفعول به على الفاعل، إذا أستدعى السياق ذلك كوقوع المفعول به في اللبس إذا أُخر في الكلام، ولإزاله اللبس عنه حتمّ تقديمه للعناية والاهتمام به، فكأن الجار والمجرور (به) بمنزلة المفعول به، لذلك قدم على الفاعل (قلوبكم).

وأما علة تقديم الفاعل (قلوبكم) على الجار والمجرور (به) في آية آل عمران فجاءت لمناسبة ما تقدم في أول الآية، فتقدم في أول الآية قوله تعالى {وَ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ }، ثم عطف عليه قوله تعالى { وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ } فوقع القول الثاني مبنيا على نفس النسق الأول؛ ليكون بناء القول الثاني موافقا لبناء القول الأول. [1]

---

[1] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ١ / ٣٩١

ووافق ابن جماعة (ت ٧٣٣ هـ)[١] الإسكافي في بيان العلة وراء التقديم في كلا الموضعين.

وأرجع الكرماني (ت ٥٠٥هـ) العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين إلى المزاوجة بين ضمائر المخاطب، وضمائر الغائب.

ففي آية آل عمران المخاطبون هم المؤمنون بدليل قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٢٤) ثم أورد قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦)فالبشرى هنا للمخاطبين المؤمنين.

وأما علة تقديم الجار والمجرور في آية الأنفال (به) على الفاعل (قلوبكم) فجاءت للمزاوجة بين ضمائر الغيبة، وذلك في قوله تعالى { وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[٢]

ووافق السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)[٣]، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)[٤]، والأنصاري (ت٩٢٦هـ)[٥] الكرماني في بيان علة تقديم الاسم (قلوبكم) على الجار والمجرور (به) في آية آل عمران.

وأما الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) فوافق الكرماني في كلا الموضعين. [٦]

وبيّن ابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) أن علة تقديم الفاعل (قلوبكم) على الجار والمجرور (به) في آية آل عمران، جاءت لأجل الاعتناء والبشارة وليمتاز أهلها ممن ليس لهم فيها نصيب.[٧]

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسألة ٨٢، ص ١٣٢

[٢] ينظر: البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٦٤، ص ٩٢

[٣] ينظر: الدر المصون، ٣ / ٣٩٠

[٤] ينظر: قطف الأزهار وكشف الأسرار، ص ٦٣٨

[٥] ينظر: فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن ، ص ٩٦

[٦] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (ألم الله...)، ١/ ١٦٦

[٧] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٣١٥

واختصر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) القول في بيان علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين، فذكر أن العلة وراء التقديم والتأخير في كلا للموضعين جاءت من باب التفنن والاتساع في الكلام.[١]

وأرجع البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين إلى المقام.

فذكر أن علة تقديم الاسم (قلوبكم) على الجار والمجرور (به) في آية آل عمران جاءت لمناسبة المقام، فالمقام في هذه الآية مقام اطمئنان وتسكين للقلوب، وتقديم ما هو أهم وأعنى، ولذلك ناسب تقديم الاسم (قلوبكم).

وأما المقام في آية الأنفال فيختلف عما كان عليه في آية آل عمران؛ لأن السورة ذكرت موقعة بدر وانتصارهم في المعركة، وإمداد الله لهم بالجنود، لذلك ناسب تقديم الجار والمجرور (به) على الفاعل (قلوبكم).[٢]

وذكر الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (به) على الفاعل (قلوبكم) في آية الأنفال جاءت للاختصاص، فيكون المعنى: ولتطمئن به قلوبكم لا بغيره.[٣]

ونظر فاضل السامرائي إلى السياق والتناسب المعنوي لبيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

فقدم القلوب على الجار والمجرور (به) في آية آل عمران؛ ذلك لأنه ذكر معركة بدر، وتمهيدًا لذكر موقعة أحد، وما أصابهم فيها من فرح وحزن، والمقام هنا مقام مسح القلوب، وطمأنة لها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٩) وقوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(آل عمران ١٢٦) لذلك قدم القلوب على الامداد، وكل ذلك من قبيل المواساة والتبشير.

---

[١] ينظر: البحر المحيط، ٤ / ٤٦٠

[٢] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٨ / ٢٣٢

[٣] ينظر: التحرير والتنوير، ٩ / ٢٢٧

وأما في سورة الأنفال فلم يكن المقام كذلك، وإنما ذكر المقام معركة بدر، وانتصارهم فيها، ودور الامداد السماوي وقد فصل الله تعالى ذلك في أكثر من موقف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩) ولما كان المقام في الأنفال مقام الانتصار، وإبراز دور الامداد الرباني، قدمه سبحانه وتعالى في قوله تعالى (به).[١]

وخلاصة القول:

ما ذكر من توجيهات للمسألة السابقة حسنة ومقبولة، ومن خلالها بدا للباحث الآتي:

- نظر الخطيب الإسكافي إلى التناسب اللفظي في سياق آية آل عمران؛ لبيان علة تقديم الفاعل (قلوبكم) على الجار والمجرور(به)، فالكلام اللاحق في نهاية الآية بُني على نفس النسق في الكلام السابق في أول الآية.
- علل الكرماني علة التقديم في كلا الموضعين إلى المزواجة بين الضمائر، بيد أنه لم يوضح ضمائر الغائب في آية الأنفال، والظاهر أن ضمير الغيبة في هذه الآية هو الضمير المتصل بالجار والمجرور (به) .
- المزاوجة بين الخطابين الذي يقصده الكرماني في آية آل عمران هو الخطاب في (لكم) وأتبعه بالخطاب في (قلوبكم).
- لم يبّن ابن الزبير الغرناطي علة تقديم الجار والمجرور (به) على الفاعل (قلوبكم) في آية الأنفال.
- علل أبو حيان الأندلسي مسألة التقديم والتأخير في كلا الموضعين تعليلا عاما دون الخوض في التفاصيل.
- الباحث يؤيد البقاعي فيما ذهب إليه من بيان علة التقديم في كلا الموضعين.
- الباحث يوافق ما ذهب إليه ابن عاشور، فالغرض من تقديم الجار والمجرور في العربية غالبًا ما يأتي للاختصاص والقصر، كقوله تعالى { لله ملك السموات والأرض}، فملك السموات والأرض مخصوص ومقصور على الله تعالى فقط.

---

(١) ينظر : التعبير القرآني ، ص ٧١

- اقترب فاضل السامرائي بجوابه للمسألة من جواب البقاعي، فكلاهما اعتمد على السياق والمقام.

ويختار الباحث ما ذكره البقاعي وفاضل السامرائي لبيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

فآية آل عمران تذكر موقعة بدر وجاءت ممهدة لموقعة أحد، فمعركة أحد وقعت في السنة الثالثة للهجرة، وكانت أشد وقعا وألمًا على النبي (ﷺ)، والمصاب فيها كبير، حيث قُتل فيها سبعون من الصحابة، بل إن الرماة خالفوا كلام النبي (ﷺ)، و كان عدد المسلمين حينها أقل بكثير من عدد الكفار، حيث تذكر الروايات أن عدد المسلمين حينها ما يقارب من (٣١٤) وعدد الكفار ما يقارب من (٩٥٠) أي يزيد عددهم عن عدد المسلمين بثلاثة أضعاف ، ولذلك قدم الله سبحان في الآية القلوب على المدد، ليزرع في قلوبهم الاطمئنان والسكينة، ويطرد عنهم الخوف والحزن، فناسب تقديمه.

وأما آية الأنفال فذكرت معركة بدر التي حدثت في السنة الثانية للهجرة، وقتل فيها ما يقارب من أربعة عشر صحابيًا، وانتصر فيها المسلمون بفضل المدد الرباني، ولذلك ناسب تقديم المدد الرباني في هذه الآية المتمثل في ضمير (به) على القلوب لأنه أهم وأعنى

اللفظة الثانية: (من أقصى المدينة – رجل)

ورد الجار والمجرور (من أقصى المدينة) مقدمًا على الفاعل (رجل) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (يـــــس:٢٠)

وتقدم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من أقصى المدينة) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (القصص: ٢٠)إن الاختلاف ظاهر بين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما بالتقديم والتأخير، ولمعرفة سر هذا الاختلاف لا بد من النظر إلى موقف العلماء الذين تساءلوا عن سر هذا الاختلاف.

أولاً: المراد بلفظة (رجل) في آية (يس) كما ذكره أبو حيان الأندلسي هو (حبيب بن إسرائيل النجا) كان في غار بعيد يعبد ربه، وقيل يعبد الأصنام، فلما سمع بالرسول ألقى الصنم ، وأسرع إليه يسعى.

وأما لفظة (رجل) في آية القصص فهو مؤمن آل فرعون ولم تذكر الروايات اسمه.[١]

ثانيًا: توجيهات العلماء للمسألة جاءت كالآتي:

ذكر الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور(من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس جاءت لتبكيت المشركين الذين كذبوا الرسل وأصروا على عنادهم، وانهمكوا في غوايتهم، فجاء رجل من مكان بعيد من أقصى المدينة مسرعا إلى مجمع الناس، مليبًا دعوة الرسل، على الرغم من أنه لم يحضر مجلسهم، ولم يشهد ويسمع ما ذكروه للناس؛ ولأنه لم يقرب من مجاري القصة، وعلى الرغم من ذلك كله آمن بما جاء به الرسل، ثم أمر ودعا قومه باتباع الرسل وطاعتهم.

إذن يوجد في المدينة في أقصاها منبت خير، ولم تكن كلها منبت شر، ولأجل هذا قدم الجار والمجرور (من أقصى المدينة).

وأما علة تقديم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من أقصى المدينة) في آية القصص فجاءت لعدم وجود ما يدعو إلى التبكيت كما في آية يس، ولذلك جاء التقديم على الأصل اللغوي، فجاء الفعل مقدمًا الفعل ثم الفاعل ثم الجار والمجرور.[٢]

ووافق الزركشي (ت٧٩٤هـ)[٣] الإسكافي في بيان علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس.

وأما ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)[٤] فوافق الإسكافي في بيان علة تقديم الفاعل(رجل) على الجار والمجرور (من أقصى المدينة) في آية القصص.

وبيّن الكرماني (ت ٥٠٥هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس؛ ذلك عندما سمع الرجل الذي كان موجودا في أقصى

---

[١] ينظر: الكشاف، ٥ / ١٧١، ٤ / ٤٨٩

[٢] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٢/ ١٠٨٣

[٣] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٨٠٣

[٤] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٩٠٤

المدينة في جبل يتعبد بخبر الرسل، سعى إليهم مستعجلاً لسماع ما يقولون، ولذلك قدم الجار والمجرور (المكان) لأنه أهم وأعنى في هذه الآية.

وأما بيان علة تقديم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من أقصى المدينة) في آية القصص عند الكرماني فجاءت لتقدم قبل الآية قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ (القصص١٥) ثم قال عز وجل بعدها ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(القصص:٢٠) [١]

ووافق ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)[٢] الكرماني في بيان علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس.

وأما الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) فوافق الكرماني في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين، ناقلاً رايه، ولم يضف عليه شيئاً.[٣]

وأوضح السكاكي (ت ٦٢٦هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس جاءت لكون الجار والمجرور أهم وأعنى، وذلك لما فعله أهل المدينة بالرسل من تكبر وتعنّت وتكذيب بما جاؤوا به من عند ربهم، فكان هناك منبت خير جاء من أقصى المدينة، ولذلك قدم المكان الجار والمجرور (من أقصى المدينة) كونه أهم وأعنى. [٤]

وأمّا ابن جماعة(ت ٧٣٣هـ) فيرى أن بيان علة تقديم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من اقصى المدينة) في آية القصص جاءت لأنه قصد نصح النبي موسى (عليه السلام).

---

(١) ينظر : البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، المسألة ٣٦٥، ص ١٩٤

(٢) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٩٠٤

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بصيرة (طس)، ١/ ٣٥٤

(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص ٣٣٨

وأما بيان علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس؛ فلأنه قصد من أقصى المدينة؛ لنصح الرسل، ونصح قومه، فكان أشد وأسرع داعية فلذلك قدم {من أقصى المدينة} لأنه ظاهر صريح في قصده.[١]

ووافق فاضل السامرائي ابن جماعة فيما ذهب إليه من بيان علة التقديم والتأخير في كلا الموضعين.[٢]

وعلل أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) المسألة في كلا الموضعين تعليلا عاما دون الخوض في التفاصيل، وذكر ان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين؛ جاءت من باب التفنن في البلاغة. [٣]

وذكر ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس، جاءت لكونه ليس من اقصى المدينة ولا منها، وأما بيان علة تقديم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من اقصى المدينة) في آية القصص فجاءت لكونه من أقصى المدينة.[٤]

وأوضح البقاعي (ت ٨٨٥هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس؛ ذلك لأن الدعاء نفع الأقصى، ولم ينفع الأدنى.[٥]

وأرجع الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس إلى الاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة، وأن الخير يوجد في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء؛ لأنه لا يصدهم ما فيه أهل السيادة من الترف.[٦]

---

[١] ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، المسالة ٣٢٤، ص ٢٨٤

[٢] ينظر: على طريق التفسير البياني، ٢ / ٦٧

[٣] ينظر: البحر المحيط، ٧ / ٣١٤

[٤] ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ١٥ / ٢٣٣

[٥] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٦ / ١٠٩

[٦] ينظر: التحرير والتنوير، ٢٨ / ٣٦٥

وخلاصة القول:

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي :

- نظر الإسكافي إلى التناسب المعنوي في السياق لبيان علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس، والباحث يوافق ما ذهب إليه الإسكافي.
- اعتمد الكرماني على التناسب المعنوي بين آية القصص وما قبلها؛ لبيان علة تقديم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من أقصى المدينة) في الآية.
- وافق السكاكي الكرماني في بيان علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس، ولكنه خالف الإسكافي في ذلك، فالسكاكي يرى أن العلة جاءت كون الجار والمجرور أهم وأعنى، بخلاف ما ذكره الإسكافي فهو يرى أن العلة؛جاءت لتبكيت المشركين على أفعالهم في معاملة الرسل.
- ويؤيد الباحث ما ذكره الإسكافي لأن تعليله أدق وأشمل، وأما تعليل الكرماني والسكاكي عام وحاضر في أغلب الأغراض البلاغية للتقديم.
- نظر ابن جماعة إلى الجانب المعنوي في الآيتين؛ أي ما تحمله كل آية من معاني في ألفاظها، ولم يربطهما بما سبق من آيات؛ لأجل بيان العلاقة والتناسب المعنوي بين الآيات.
- تعليل ابن عادل الدمشقي غريب وغير مقنع، فذكر أن علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) لكونه ليس من المدينة ولا من أقصاها، فهذا تفسير غريب للمسألة، فكيف يكون الرجل ليس من أقصا المدينة، والقرآن قصد المكان البعيد الموجود في المدينة الذي كان يتعبد فيه الرجل، بل إن القرآن قصد الرجل والمكان معا؛ توبيخا للمشركين لعدم سماعهم وتصديقهم كلام الرسل، لذلك الباحث لا يؤيد ما ذهب إليه ابن عادل الدمشقي، إلا إذا كان يقصد شيئا آخر لم يتضح للباحث.
- لم يبن البقاعي، والطاهر بن عاشور علة تقديم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من أقصى المدينة) ربما على أنه الأصل.

ويختار الباحث ما ذهب إليه الإسكافي من بيان علة تقديم الجار والمجرور (من أقصى المدينة) على الفاعل (رجل) في آية يس، فالتناسب المعنوي في السياق بين آية

(يس) وما سبقها، كان العلة وراء التقديم، بالإضافة إلى العناية والاهتمام بالمقدم (أقصى المدينة) كونه آمن بالرسل رغم بعد المكان.

وأما علة تقديم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور (من أقصى المدينة)؛ فلأن التقديم هنا جاء على الأصل ولا يوجد في الآية ما يدعو إلى التأخير.

ثانيًا: تقديم الجار والمجرور على منصوب الفعل (المفعول به)

اللفظة الأولى (منا – رحمة)

ورد الجار والمجرور (منا) مقدمًا على المفعول به (رحمة) في موضعين.[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ (هود: ٩)

وتقدم المفعول به (رحمة) على الجار والمجرور (منا) في ثمانية مواضع.[٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ (فصلت: ٥٠)

إذا نظرنا في الآيتين اللتين تقدم ذكرهما، نجد بينهما الاختلاف بالتقديم والتأخير، ولبيان سبب هذا الاختلاف نظر الباحث في كتب التفاسير، وكتب المتشابه اللفظي التي توافرت له، بيد أنه لم يظفر بشيء إلا ما ذكره البقاعي، وفاضل السامرائي.

ذكر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (منا) على المفعول به (رحمة) في آية هود، ذلك أنه لما كانت نعم الله ظاهرة وكثيرة، يمنحها من شاء من عباده فقدم الجار والمجرور (منا) أي أن تلك النعم مرجعها وأصلها من الله تعالى، وليست بقوة الإنسان، فهو لا حول له ولا قوة في ذلك.[٣]

وأما بيان علة تقديم المفعول به (رحمة) على الجار والمجرور (منا) في آية فصلت؛ فلأن الله تعالى أخبر في الآية التي تسبق آية فصلت عن حالة الإنسان عند وقوع الشر عليه، فالإنسان عند وقوع الشر عليه يؤس قنوط، قدم هنا ضده (رحمة) المفعول به على صلته (منا) اهتماما به.[٤]

وجعل فاضل السامرائي السياق وما يقتضيه من تقديم العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين.

---

[١] الشورى / ٤٨

[٢] وردت في الآيات: الأعراف / ٧٢، هود / ٥٨، ٦٦، ٩٤، مريم / ٢١، يس / ٤٤، ص / ٤٣

[٣] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٩ / ٢٤٢

[٤] نفسه، ١٧ / ٢١٨

فعلة تقديم الجار والمجرور (منا) في آية هود على المفعول به (رحمة)، جاءت لأن الكلام في الآية على الله تعالى، وذلك في قوله تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ (هود: ٢)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ﴾ (هود٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ (هود: ٤)

وأما علة تقديم المفعول (رحمة) على الجار والمجرور (منا)؛ فلأن الكلام في هذه الآية على الإنسان، وذلك في قوله تعالى﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ (فصلت: ٤٩)، إذن اقتضى سياق الآيتين ذلك التقديم في كلا الموضعين[1]

وخلاصة القول:

ما ذكره البقاعي، وفاضل السامرائي في بيان العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين حسن وجيد.

ويرى الباحث بعد النظر والاستقراء في سياق شروحات المفسرين ، أن العلة وراء التقديم والتأخير في كلا الموضعين، جاءت كالآتي:

أولا: المراد بالإنسان في آية (هود) هو الكافر ودليل ذلك ذكر صفاته (يؤس وكفور)، وأيضًا ذكر الله تعالى في الآية (أذقنا) وتدل على قلة الشيء، أي أنه كان في قليل من الخيرات ولكنه تمرد وطغى.

ثانيا: علة تقديم الجار والمجرور (منا) على المفعول به (رحمة) في آية هود جاءت للاختصاص والقصر، أي أن الرحمة مقصورة ومخصوص بها الله تعالى وحدة ودليل ذلك قوله تَعَالَىٰ:﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ﴾ (الأنعام: ١٢). وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول أيضا أن سياق الآية التي جاءت قبل آية هود قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعْدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (هود: ٨) يتحدث عن العذاب والعقاب للكافر، وإن كان مؤخرًا، ولكنه سيقع، ولا شيء يمنعه من المجيء، وإذا جاء لا يُصرف عنه، ثم ذكر الله تعالى رزق الإنسان وصحته التي يتمتع بها، وذكر أيضا في سياق الآيات السابقة النعم المنغمس فيها، وذلك في قوله تَعَالَىٰ:

---

[1] ينظر: من أسرار البيان القرآني ، ص ١٢٥

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (هـــود: ٦)، لكنهم بطروا النعمة، ولم يفكروا في المنعم، ولا في أسباب النعيم والبؤس، ولم يتفكروا في الآخرة إلا في ملذات الدنيا، ولأجل هذا ناسب السياق المعنوي بين الآيات تقديم الجار والمجرور (منا) على المفعول به (رحمه) أي أن تلك النعم من صحة ومال وسعادة كلها منا.

وأما في آية فصلت فتقديم المفعول به (رحمة) على الجار والمجرور (منا) فجاء على الأصل في التركيب والقياس،فذكر المفعول به أولا ثم ذكر بعده الجار والمجرور، وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول أن سياق الآية المتقدمة عليها في قوله تعالى﴿ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴾ (فصلت: ٤٩) يتحدث عن حالة الإنسان في الشر، ووقت المصيبة، وذهاب العافية والصحة، فيظهر عليه الحزن واليأس والانكسار، وحالته التي تجلب الشفقة والرحمة، ، ولذلك ناسب سياق الآيات المعنوي تقديم المفعول به (رحمة) على الجار والمجرور (منا).

اللفظة الثانية (من قبلك – رسلاً)

ورد الجار والمجرور(من قبلك) مقدمًا على المفعول به (رسلاً) في موضع واحد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧)

وتقدم المفعول به (رسلاً) على الجار والمجرور (من قبلك) في موضعين.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾ (الرعد: ٣٨)

لم يناقش الكثير من العلماء الاختلاف الوارد من حيث التقديم والتأخير بين الآيتين اللتين تقدم ذكرهما، فأحيانا يتقدم الجار والمجرور (من قبلك) على المفعول به(رسلاً) كما

---

[1] غافر / ٧٨

في آية الروم، ومرة يتقدم المفعول به (رسلاً) على الجار والمجرور (من قبلك) كما في آيتي الرعد وغافر.

وجاءت توجيهات من ناقش المسألة لمعرفة سر الاختلاف بين الآيتين من حيث التقديم والتأخير كالآتي:

ذكر ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من قبلك) على المفعول به (رسلاً) في آية الروم جاءت لمكان ضمير النبي (ﷺ) في قوله تعالى (قبلك)، ولأن ذكرهم هنا أي: الرسل (عليهم السلام) لم يرد معرفًا بأحوالهم وما منحوا من الاصطفاء والتكريم، ولو ورد ذكرهم لهذا الغرض لكان اسمه (عليه السلام) متقدمًا في الذكر.

وأما علة تقديم المفعول به (رسلاً) على الجار والمجرور (من قبلك) في آية الرعد فجاءت موازاة لها، ومناسب لما تقدمها في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (الرعد: ٣) ، ولذلك ناسب السياق اللفظي تقديم الجار والمجرور (من قبلك). [١]

وبيّن الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أن علة تقديم المفعول به (رسلا) على الجار والمجرور (من قبلك) في آية الرعد جاءت لسبق ما يقتضي تقديمه، فسياق الآية التي تقدمت عليها في الذكر يتحدث عن الرسل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (الرعد: ٣٢)، وأيضًا قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (الرعد: ٤٣) ، ولذلك ناسب سياق الآيات تقديم المفعول به (رسلاً) على الجار والمجرور (من قبلك).[٢]

وأوضح البقاعي (ت٨٨٥هـ) أن علة تقديم الجار والمجرور (من قبلك) على المفعول به (رسلاً) في آية الروم؛ جاءت تنبيهًا على أن النبي (ﷺ) خاتم الرسل.[٣]

---

[١] ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي، ص ٧٠٩

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٧٩٠

[٣] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥ / ١١٧

ووافق الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ) البقاعي في بيان علة تقديم الجار والمجرور (من قبلك) على المفعول به (رسلاً) في آية الروم.[١]

و**خلاصة القول:**

بدا للباحث من خلال توجيهات العلماء السابقة الآتي:

- أرجع ابن الزبير الغرناطي علة تقديم المفعول به (رسلاً) على الجار والمجرور (من قبلك) في آية الرعد إلى التناسب اللفظي بين هذه الآية وما سبقها، فجاء الثانية على نفس نسق بناء الأولى.
- لم يبيّن الزركشي علة تقديم الجار والمجرور (من قبلك) على المفعول به (رسلاً) في آية الروم.
- لم يعلل البقاعي، والخطيب الشربيني علة تقديم المفعول به (رسلا) على الجار والمجرور (من قبلك) في آية الرعد.

ويرى الباحث أن علة تقديم الجار والمجرور (من قبلك) على المفعول به (رسلاً) في آية الروم جاءت تسلية واهتمامًا بالنبي (ﷺ) ذلك لأن سياق الآية التي تقدمت عليها في الذكر، تتحدث عن عدم انتفاع الكفار بالأدلة والبراهين لِما جاء به النبي (ﷺ) من عند ربه، وتكذبيهم بالرسالة، ومعانة النبي (ﷺ) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦) ثم جاء بعدها قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧) ، أي يا محمد لا تحزن مما تلاقيه من قومك، فعانى من قبلك الرسل، وحالك كحالهم عانى من تعنت وعصيان قومه، ولذلك ناسب السياق الجار والمجرور (من قبلك) تسلية ومواساة واهتماما بالنبي (ﷺ)، بالإضافة لشرف الرسول ومكانته عند الله تعالى.

وأما تقديم المفعول به (رسلاً) على الجار والمجرور (من قبلك) فجاء على الأصل في التركيب والقياس، فذكر الفعل (أرسل) ثم الفاعل ثم ذكر بعد ذلك المفعول به (رسلاً) ثم الجار والمجرور (من قبلك).

---

[١] ينظر: السراج المنير، ٣ / ١٥٥

الخاتمة والنتائج:

بعد ما تم عرضه من كشف للأسرار الدقيقة وراء تقديم الألفاظ المتشابه في القرآن الكريم وتأخيرها، وفي سياق هذا العرض توصل الباحث من خلاله إلى نتائج أهمها الآتي:

- تقدم الاسماء على الاسماء في المتشابه اللفظي أكثر ما ورد في القرآن الكريم.
- الإسكافي صاحب فضل وسبق في بيان علة التقديم والتاخير في المتشابه اللفظي ، ويعد كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل من أقدم الكتب التي وجهت وبينت علة التقديم والتأخير للألفاظ المتشابهة .
- متابعة الغرناطي لإسكافي في كثير من مسائل التعليل .
- كثير من الألفاظ لها أكثر من توجيه عند العلماء ، بمعنى اختلف كل عالم عن الآخر في توجيهه للفظة ، وأحيانا يتفق معه .
- الكرماني كان يختصر في بيان علة التقديم بخلاف الغرناطي الذي كان يتوسع في بيان هلة التقديم .
- أبو حيان كثيرا ما كان يرجع علة التقديم إلى التفنن في الكلام والفصاحة
- الآيات المتشابهة بالتقديم والتأخير، تعد من دلائل الاعجاز في القرآن الكريم، وتفرد التعبير القرآني في صور التقديم والتأخير بما تتسع له العربية.
- اختلف العلماء في بيان العلة وراء التقديم والتأخير لألفاظ المتشابه في القرآن، ولذلك جاءت العلل في توجيهاتهم مختلفة، فمنهم من ذكر أن التقديم جاء على أنه الوجود والأصل كما في تقديم وتأخير (القرآن – الكتاب)، ومنهم من ذكر أن التقديم جاء مراعاة للسياق (هدى الله– الهدى)، ومنهم من ذكر أن التقديم جاء لسبق ما يقتضي تقديمه(فجاجا– سبلا)، ومنهم من ذكر أن التقديم جاء مراعاة للنسق والبناء للتركيب السابق كما في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون:٨٣) أو لأجل التنبيه والتأكيد كما في تقديم وتأخير(الصابئين على النصارى)، أو لأجل الرتبة والترتيب، أو لأجل التناسب والتناسق بين اللفظ والمعنى كما في تقديم وتأخيرها (عليكم شهيدا) ، أو لأجل الشرف والتكريم، أو لأجل السببية، أو

للسبق الزمني، أو لأجل التحدي والتعجيز كما في مسألة تقديم وتأخير (الجن على الأنس)، أو لمناسبة رؤوس الآيات، أو لأجل التفنن في الفصاحة والبيان وهذا ما كان دومًا يشير إليه أبو حيان الأندلسي، وغيرها من الأغراض التي ذكرت في الدراسة، ويدل هذا الاختلاف على أن القرآن معجز من حيث اللفظ والمعنى والأسلوب، وأن القرآن الكريم بحر عميق لا تنقضي عجائبه.

- عناية علماء المتشابه وعلماء التفسير بالسياق ، فكثيرا ما كانوا يربطون بين الآية وما جاورها .
- للسياق (اللفظي أو المعنوي) دور مهم في توجيه اختلاف الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم عند العلماء، ولذلك اعتمد الكثير منهم عليه؛ لبيان العلة وراء التقديم والتأخير، وأحيانا ينظر العالم إلى السياق العام للسورة بمعنى يربط ما بين سياق الآية الذي وردت فيه وبين سياق السورة كاملة وهذا ما يسمى بالنظرة الكلية للنص كما في تقديم (للناس في هذا القرآن)، وأخرى يربط ما بين الآية وما جاورها لبيان السياق الذي وردت فيه، ويعد هذا إحدى الأسس في دراسة تقديم المتشابه اللفظي.
- بعض العلماء ربط بين الآية ومفتتح السورة كما فعل ذلك الخطيب الإسكافي لبيان علة تقدم (السماء على الأرض في آية سبأ)، وهو قليل.
- أغلب العلماء الذين تطرقوا إلى بيان العلة وراء التقديم والتأخير في ألفاظ المتشابه اللفظي للقرآن الكريم أفادوا من مقولة سيبويه " كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهو ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم " أي أن الاهتمام والعناية للمتقدم غرض رئيس حاضر في أغلب أغراض التقديم والتأخير للمتشابه اللفظي، وإن لم يصرح به العالم في توجيه اللفظة.
- عوَل الباحث كثيرا على النظر في السياق لبيان العلة وراء التقديم والتأخير .

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم، قراءة حفص عن عاصم .

٢. الإبراهيم :محمود الطيب، إعراب القرآن الكريم، دار النفاس للطباعة والنشر، بيروت، ط ٤، ت: ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م

٣. ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: د. حفني محمد شرف، مصر، دار إحياء التراث الإسلامي، د. ط، د. ت

- بديع القرآن ، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، د. ط، د. ت

٤. ابن الأثير: ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح: د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د. ط، د.ت

٥. ابن العربي: أبو بكر بن محمد بن عبدالله، أحكام القرآن ، تح: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت

٦. ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، بدائع الفوائد، تح: عادل عبد الحميد العدوي وهشام عبدالعزيز وأشرف أحمد، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ت: ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م

٧. ابن جماعة: بدر الدين، كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ت: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

٨. ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجا، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، د.ط، د. ت

- المحتسب ، تح: علي النجدي ناصيف، د. عبدالحليم النجار، د. عبدالفتاح اسماعيل، القاهرة، ت:١٤١٥هـ، ١٩٩٤م

٩. ابن كثير: إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح : مصطفى وآخرين، مؤسسة قرطبة القاهرة، د. ط، د. ت

١٠. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، المطبعة الكبرى الميرية ، بيولاق مصر المحمية، ت:١٣٠٠هـ

١١. أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، ط٢، ت: ١٤١٩هـ، ١٩٩٨ م
١٢. الإسكافي: عبدالله بن محمد بن عبدالله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، ت: ١٤٢٢هـ، ٢٠١١م
١٣. الألوسي:أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط،د.ت
١٤. الأندلسي : أبو حيان محمد بن يوسف ، البحر المحيط، تح: عادل أحمد، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ت: ١٤١٣هـ ١٩٩٣م
١٥. الأنصاري: أبو يحيى بن زكريا، فتح الرحمن ما يلتبس من القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن، بيروت، ط١، ت:١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
١٦. أنيس : إبراهيم ، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٦، ت: ١٩٧٨م
١٧. البخاري: محمد بن إسماعيل بن عبدالله، صحيح، تح: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ت: ١٤٢٢ هـ
١٨. البقاعي: أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د. ط، د. ت
١٩. بلحبيب : رشيد ، ضوابط التقديم والتأخير في النحو العربي، مطبعة النجاح الجديدة،دار البيضاء، ط١، ت: ١٩٩٨م
٢٠. البيضاوي: ناصر الدين أبي الخير الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، د. ط، د. ت
٢١. التهانوي: محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم واشراف د. رفيق العجم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان،بيروت، ط ١، ت: ١٩٩٦م
٢٢. التيمي: أبو عبيدة بن معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح: د. محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت

٢٣. الثعالبي: عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ود. عبد الفتاح أبو سنّة، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، ط١، ت: ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م
٢٤. جبران : لبيب محمد ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي)، دار الفاروق للنشر والتوزيع،عمان الأردن، ٢٠١٠م
٢٥. الجرجاني: عبد القاهر بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن محمد، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ت: ٢٠٠٤م
٢٦. حسين : عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي،دار غريب القاهرة، د. ط، ت: ١٩٩٨م
٢٧. الحنفي: أبو السعود بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت، د. ط، د. ت
٢٨. الحنفي: اسماعيل حقي ، تفسير روح البيان، المطبعة العثمانية ، د. ت
٢٩. الخالدي : صلاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠ م
٣٠. الخطيب الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد، السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت
٣١. الخطيب القزويني: جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ت: ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م
٣٢. الدمشقي: أبو حفص عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد، علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ت: ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م
٣٣. الرازي: فخر الدين محمد بن عبدالله بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ت:١٤٠١هـ، ١٩٨١م
٣٤. الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، ت: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م

٣٥. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت
٣٦. رضا :محمد رشيد ، تفسير المنار، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ت: ١٣٥٤ هـ، ١٩٩٠ م
٣٧. الزبيدي: سعيد جاسم، سؤال في التفسير، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ت: ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤ م
٣٨. الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث القاهرة، ت: ٢٠٠٦م
٣٩. الزمخشري: جارالله أبو القاسم بن عمر، الكشاف، تح: عادل محمد، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ت:١٤١٨هـ، ١٩٩٨م
٤٠. السامرائي: فاضل صالح ،التعبير القرآني، دار عمار، عمّان،ط ٣، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م
- من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط١، ت: ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمّان، ط ٣، ت: ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م
- معاني النحو، شركة عاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ط٣، د. ت
- على طريق التفسير البياني، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، ت: ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م

٤١. السامرائي: محمد فاضل صالح ، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في ملاك التأويل للغرناطي، دار عمار، الأردن، ط ٢، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م
٤٢. سعادة :محمد عبدالله ، أسرار النظم القرآني آيات وعبر، مكتبة مبارك العامة، د. ط، د.ت
٤٣. سعد : أحمد ، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ت: ٢٠٠٩م
٤٤. السعد التفتازاني: مسعود بن عمر، شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت

٤٥. السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن محمد، مفتاح العلوم ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ت: ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م
٤٦. السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد ، بحر العلوم ، تح: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط١، ت: ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣م
٤٧. السمين الحلبي: أحمد يوسف، الدر المصون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، د. ط، د. ت
٤٨. السهيلي: أبو القاسم عبدالرحمن عبدالله، نتائج الفكر، تح: عادل عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ت: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م
٤٩. سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ت: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٥٠. السيوطي: جلال الدين: أسرار ترتيب القرآن ، تح: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام، ط٢، ت: ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م
- قطف الأزهار وكشف الأسرار، تح: أحمد محمد الحّمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر، ط ١، ت: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م
- معترك الأقران في اعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ت: ١٩٨٨م

٥١. الشتري : صالح عبدالله، المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ت: ١٤٢٥هـ. (رسالة دكتوراة مطبوعة)
٥٢. ابن عاشور : الطاهر، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ت : ١٩٨٤
٥٣. طبانة : بدوي، معجم البلاغة العربية، دار المنارة جدة، ت: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م
٥٤. الطبري: محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، دار هجر، تح: د. عبدالله عبد المحسن التركي، د. ت

٥٥. عبد الباقي :محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، د. ت
٥٦. العثيم : خالد محمد، الأسرار البلاغية في سورة البقرة ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ت: ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م (رسالة ماجستير مطبوعة)
٥٧. عون :علي أبو القاسم، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الاسلامي،بيروت، ط١، ٢٠٠٦ (رسالة دكتوراة مطبوعة)
٥٨. الغرناطي: أبو أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل،تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط١،ت: ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م
٥٩. الفراء: أبو زكريا بن يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ت:١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
٦٠. الفراهيدي: الخليل بن أحمد ، معجم العين تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ١٩٨٠م
٦١. الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الثالثة، ت: ١٩٨٧
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت، د. ط، د. ت
٦٢. القرطبي: أبو عبدالله بن محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ت: ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م
٦٣. قطب الأئمة : محمد يوسف أطفيش، تيسير التفسير، ط١، الجزائر ، د. ت
٦٤. الكردي : عز الدين محمد، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت ط١، ت: ١٤٢٨هـ،٢٠٠٧م
٦٥. الكرماني: محمود بن حمزة، البرهان في توجيه المتشابه اللفظي لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د. ط، د. ت
٦٦. لاشين :عبد الفتاح، من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، دار المريخ للنشر والطباعة، ت: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م

٦٧. المبرد: أبو العباس بن محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة ، ت:١٤١٥هـ، ١٩٩٤م
٦٨. مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم، ت: ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩
٦٩. مجمع اللغة العربية :المعجم الوسيط، المكتبة الاسلامية، استانبول تركيا،د. ط، د. ت
٧٠. المسيري : منير محمود، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ت ١٤٢٦هـ
٧١. المطعني : عبد العظيم ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ت:١٤١٣هـ، ١٩٩٢م (رسالة دكتوراة مطبوعة)
٧٢. النسفي: أبو البركات عبدالله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بدوي ومحي الدين، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ت: ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م
٧٣. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ت: ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م

الرسائل الجامعية:

- شحود : حسن عبدالكريم، التقديم والتأخير عند اللغويين العرب قدامى ومحدثين، رسالة دكتوراه غير، جامعة تشرين، سوريا، ت: ٢٠٠١،٢٠٠٢.
- القرشي : مريم بنت عبدالله بن علي، بلاغة المتشابه اللفظي في تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، رسالة دكتوراة، كلية التربية للبنات ، اللملكة العربية السعودية، ت :١٤٣٢هـ ، ١٤٣٣هـ

البحوث والدوريات:

- مجلة كلية الآداب، دورية علمية محكمة، جامعة حلوان ، كلية الآداب ، العدد ٣٠

تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

ملحق فهرس الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم

اللفظة في حالة التقديم	الآية	رقمها	السورة	رقمها	اللفظة في حالة التأخير	الآية	رقمها	السورة	رقمها
الحمد – لله(١)	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٢	الفاتحة	١	لله الحمد	﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ	٣٦	الجاثية	٤٥

(١) وردت في الآيات الآتية :

- الآيات ١ ، ٤٥ ، ٤٣
- الآية من ٤٣ من سورة الأعراف
- الآية ١٠ من سورة يونس
- الآية ٣٩ من سورة إبراهيم
- الآية ٧٥ من سورة النحل
- الآية ١١ من سورة الإسراء
- الآية ١ من سورة الكهف
- الآية ٢٨ من سورة المؤمنين
- الآيات ١٥ ،٥٩ ، ٩٣ من سورة النمل
- الآية ١ من سورة سبأ
- الآيتين ١ ، ٣٤ من سورة فاطر
- الآيات ٢٩ ، ٧٤ ، ٧٥ من سورة الزمر

						ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾			
قلوبهم سمعهم(١)	﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾	٧	البقرة	٢	سمعه قلبه(٢)	﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ ﴾	٢٣	الجاثية	٤٥
بكم– عمي(٣)	﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾	١٨	البقرة	٢	عميا –بكما	﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ ﴾	٩٧	الاسراء	١٧
حيث – رغدا	﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا	٣٥	البقرة	٢	شئتم رغدا	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا	٥٨	البقرة	٢

- الآية ٦٥ من سورة غافر

(١) وردت في الآيتين :

- الآية ٧ من سورة البقرة
- الآية ١٠٨ من سورة النحل

(٢) وردت في :

- الآية ٤٦ من سورة الأنعام

(٣)وردت في :

- الآية ١٧١ من سورة البقرة

	هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾					وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾		
شفاعة – عدل	﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾	٤٨	البقرة	٢	عدل شفاعة	﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾	١٢٣	البقرة	٢
ضربت وباؤوا	﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾	٦١	البقرة	٢	باؤوا ضربت	﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ﴾	١١٢	آل عمران	٣
النصارى الصابئين	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ	٦٢	البقرة	٢	الصابئون – النصارى	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ	٦٩	المائدة	٥

	وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾					بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾			
يضرهم ينفعهم(١)	﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ ﴾	١٠٢	البقرة	٢	ينفعهم – يضرهم(٢)	﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴾	٥٥	الفرقان	٢٥
السماء– الأرض(١)	﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ	١٠٧	البقرة	٢	الأرض السماء(١)	﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن	٦١	يونس	١٠

(١) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ١٨ من سورة يونس
- الآية ١٢ من سورة الحج

(٢) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٧١ من سورة الأنعام
- الآية ١٠٦ من سورة يونس
- الآية ٦٦ من سورة الأنبياء
- الآية ٧٣ من سورة الشعراء

[1]وردت في الآيات الآتية :

- الآية ١٦٤ من سورة البقرة
- الآية ٩٦ من سورة الأعراف
- الآية ٣١ من سورة يونس
- الآية ٤ من سورة الأنبياء
- الآية ٧٠ من سورة الحج
- الآيات ٦٤ ، ١٧٥ من سورة الشعراء
- الآية ٣٥ من سورة الروم
- الآية ٩ من سورة سبأ
- الآية ٣ من سورة فاطر
- الآية ٢٧ من سورة ص
- الآية ٦٤ من سورة الأعراف
- الآية ٨٤ من سورة الزخرف
- الآية ٢٩ من سورة الدخان
- الآية ٢٣ من سورة الذاريات
- الآية ٢١ من سورة الحديد

[1]وردت في الآيات الآتية :

أو السموات – الأرض([1])	ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾			أو الأرض– السموات([2])	مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾		

- الآية ٢٢ من سورة البقرة
- الآية ٥ من سورة آل عمران
- الآية ٦١ من سورة يونس
- الآية ٣٨ من سورة إبراهيم
- الآية ٢٢ من سورة العنكبوت

[1] وردت في الآيات الآتية :

- الآيات ٢٣ ،١٠٧ ،١١٦ ،١٦٤ ،٢٥٥ ،٢٨٤ من سورة البقرة
- الآيات ٢٩ ،٨٣ ،١٠٩ ،١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،١٩١ من سورة آل عمران
- الآيات ١٢٦ ،١٣١ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ،١٧١ من سورة النساء
- الآيات ١٧ ، ١٨ ، ٤٠ ،٩٧ ، ١٢٠من سورة المائدة
- الآيات ١ ،٣ ،١٢ ،١٤ ، ٧٣ ،٧٥ ٧٩ ،١٠١ من سورة الأنعام
- الآيات ٥٤ ،١٥٨ ،١٨٧ من سورة الأعراف
- الآيات ٣٦ ،١١٦ من سورة التوبة
- الآيات ٣ ،٦ ،٨ ،٥٥ ،٦٦ ،٦٨ ،١٠١ من سورة يونس

- الآيات ٧ ،١٠٧ ،١٠٨ ،١٢٣ من سورة هود
- الآيات ١٠١ ، ١٠٥ من سورة يوسف
- الآيات ٢ ،١٥ ،١٦ من سورة الرعد
- الآيات ٢ ،١٠ ، ١٩ ،٣٢ من سورة إبراهيم
- الآية ٨٥ من سورة الحجرات
- الآيات ٣ ،٤٩ ،٥٢ ،٧٣ ،٧٧ من سورة النحل
- الآيات ٤٤ ،٥٥ ،٩٩ ١٠٢ من سورة الإسراء
- الآيات ١٤ ، ٢٦ ، ٥١ من سورة الكهف
- الآيات ٦٥ ، ٩٠ ،٩٣ من سورة مريم
- الآية ٦ من سورة طه
- الآيات ١٩ ،٣٠ ،٥٦ من سورة الانبياء
- الآيتين ٧١ ،٨٦ من سورة المؤمنون
- الآيات ٣٥ ، ٤١ ، ٤٢ ،٦٤ من سورة النور
- الآيات ٢ ،٦ ،١٥٩ من سورة الفرقان
- الآية ٢٤ من سورة الشعراء
- الآيات ٢٥ ،٦٠، ٦٥ ،٨٧ من سورة النمل
- الآيات ٤٤ ،٥٢ ، ٦١ من سورة العنكبوت
- الآيات ٨ ،١٨ ،٢٢ ،٢٦ ،٢٧ من سورة الروم

- الآيات ١٦ ،٢٠ ،٢٥ ، ٢٦ من سورة لقمان
- الآيتين ٤ ، ٧٢ من سورة السجدة
- الآيات ١ ،٣ ،٢٢ ،٢٤ من سورة سبأ
- الآيات ١ ،٣٨ ،٤١ ،٤٤ من سورة فاطر
- الآية ٨١ من سورة يس
- الآية ٥ من سورة الصافات
- الآيتين ١٠ ،٦٦ من سورة ص
- الآيات ٥ ،٣٨ ،٤٤ ،٤٦ ،٦٣ ، ٦٨ من سورة الزمر
- الآية ٥٧ من سورة غافر
- الآيات ٤ ،١١ ،١٢ ، ٢٩ ،٤٩ ،٥٣ من سورة الشورى
- الآيات ٩ ،٨٢ ،٨٥ من سورة الزخرف
- الآيات ١٣ ، ٢٢، ٢٧، ٣٦، ٣٧ من سورة الجاثية
- الآيتين ٣ ، ٣٣ من سورة الأحقاف
- الآيات ٤ ، ٧ ، ١٤ من سورة الفتح
- الآيتين ١٦ ، ١٨ من سورة الحجرات
- الآية ٣٨ من سورة ق
- الآية ٣٦ من سورة الطور
- الآية٣١ من سورة النجم

بما تعملون بصير ([3])	{ ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ	١١٠	البقرة	٢	بصير بما تعملون([1])	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ	١٨	الحجرات	٤٩

- الآيتين ٥٥ ،٣٣ من سورة الرحمن
- الآيات ١ ، ٢ ، ٤ ،٥ ، ١٠ من سورة الحديد
- الآية ٧ من سورة المجادلة
- الآيتين ١ ، ٢٤ من سورة الحشر
- الآية ١ من سورة الصف
- الآية ١ من سورة الجمعة
- الآية ١ من سورة المنافقون
- الآيات ١ ،٣ ،٤ من سورة التغابن
- الآية ١٢ من سورة الطلاق
- الآية ٣٧ من سورة النبأ
- الآية ٩ من سورة البروج

[2]وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٤٨ من سورة إبراهيم
- الآية ٤ من سورة طه

[3]وردت في الآيات الآتية :

– الآيات ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٥ ، من سورة البقرة

- الآية ١٥٦ من سورة آل عمران
- الآيتين ٣٩ ، ٧٢ من سورة الأنفال
- الآية ١١٢ من سورة هود
- الآية ٩ من سورة الأحزاب
- الآية ١١ من سورة سبأ
- ٤٠ من سورة فصلت
- الآية ٢٤ من سورة الفتح
- الآية ٤ من سورة الحديد
- الآية ٣ من سورة الممتحنة
- الآية ٢ من سورة التغابن

(١) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٩٦ من سورة البقرة
- الآية ١٦٣ من سورة آل عمران
- الآية ٧١من سورة المائدة

	وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾					وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾			
بشير – نذير (١)	﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾	١١٩	البقرة	٢	نذير – بشير (٢)	﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	١١٨	الاعراف	٧
هدى الله – الهدى	﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ	١٢٠	البقرة	٢	الهدى – هدى الله	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ	٧٣	آل عمران	٣

(١)وردت في الآيات الآتية :

- الآية ١٩ من سورة المائدة
- الآية ٢٨من سورة سبأ
- الآية ٢٤ من سورة فاطر

(٢)– وردت في :

– الآية ٢ من سورة هود

	مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾					عِندَ رَبِّكُمْ ﴾		
يعلمهم – يزكيهم	﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	١٢٩	البقرة	٢	يزكيهم – يعلمهم(١)	﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	١٦٤	آل عمران	٣
عليكم– شهيدا	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾	١٤٣	البقرة	٢	شهيدا–عليكم	﴿ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾	٧٨	الحج	٢٢
الجنة – المغفرة(٢)	﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ	٢٢١	البقرة	٢	مغفرة – جنة	﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا	١٣٣	آل عمران	٣

(١) وردت في

–الآية ٢من سورة الجمعة

(٢) وردت في سورة الحديد ، الآية ٢١

	ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾					ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾		
غفور – حليم(١)	﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾	٢٢٥	البقرة	٢	حليما – غفورا(٢)	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	٤٤	الإسراء	١٧
على شيء مما كسبوا	﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٢٦٤	البقرة	٢	مما كسبوا على شيء	﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا	١٨	إبراهيم	١٤

(١) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٢٣٥ من سورة البقرة
- الآية ١٥٥ من سورة آل عمران
- الآية ١٠١ من سورة المائدة

(٢) وردت في :

- الآية ٤١ من سورة فاطر

						كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾			
بما تعملون خبير(١)	﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ	٢٧١	البقرة	٢		خبير بما تعملون(٢)	﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا	١٥٣	آل عمران	٣

---

(١) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٢٣٤ من سورة البقرة
- الآية ١٨٠ من سورة آل عمران
- الآيات ٩٤ ، ١٢٨، ١٣٥ من سورة النساء
- الآية ٢ من سورة الأحزاب
- الآية ١١ من سورة الفتح
- الآية ١٠ من سورة الحديد
- الآيتين ٣ ، ١١ من سورة المجادلة
- الآية ٨ من سورة التغابن

(٢)وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٨ من سورة المائدة
- الآية ١٦ من سورة التوبة
- الآية ٥٣ من سورة النور

	وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾					تَـلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾			
يغفر – يعذب(١)	﴿ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾	٢٨٤	البقرة	٢	يعذب– يغفر	﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن	٤٠	المائدة	٥

- الآية ١٨ من سورة الحشر
- الآية ١١ من سورة المنافقون

(١)وردت في الآيات الآتية :

- الآية ١٢٩ من سورة آل عمران
- الآية ١٨ من سورة المائدة
- الآية ١٤ من سورة الفتح

						يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾		
تبدوا– تخفوا	﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾	٢٨٤	البقرة	٢	تخفوا – تبدوه	﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ آل عمران: ٢٩	٢٩	آل عمران	٣
الأنعام الحرث(١)	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ	١٤	آل عمران	٣	الحرث–الأنعام	﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ	١٣٦	الأنعام	٦

(١)وردت في :

- الآية ١٣٨ من سورة الأنعام

	﴿ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾					إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۖ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾		
الكبر امرأتي	﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾	٤٠	آل عمران	٣	امرأتي الكبر	﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾	٨	مريم	١٩
اسجدي اركعي	﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	٤٣	آل عمران	٣	اركعوا اسجدوا	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾	٧٧	الحج	٢٢
تبيض– تسود	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾	١٠٦	آل عمرن	٣	اسودت– ابيضت	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا	١٠٦ ، ١٠٧	آل عمران	٣

							﴿ ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾		
قلوبكم به	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾	١٢٦	آل عمران	٣	به قلوبكم	{﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠	الأنفال	٨
قتلتم – متم	﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾	١٥٧	آل عمران	٣	متم– قتلتم	﴿ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾	١٥٨	آل عمران	٣
على هؤلاء شهيدا	﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾	٤١	النساء	٤	شهيدا على هؤلاء	﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾	٨٩	النحل	١٦

عليم حكيم الحكيم العليم([1])	﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	١١١	النساء	٤	حكيم عليم([2]) الحكيم العليم([3])	﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	النمل	٢٧
المنافقين الكافرين([4])	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى	١٤٠	النساء	٤	الكافرين – المنافقين([5])	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ	١	الأحزاب	٣٣

---

[1] وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٣٢من سورة البقرة
- الآيتين ٨٣، ١٠٠ من سورة يوسف

[2] وردت في الآيات الآتية :

- الآيتين ١٢٨،١٣٩ من سورة المائدة
- الآية ٢٥ من سورة الحجر
- الآية ٢٥ من سورة الحج

[3] وردت في الآيتين :

- الآية ٨٤ من سورة الزخرف
- الآية ٣٠ من سورة الذاريات

[4] وردت في الآية ٦٨ من سورة التوبة

[5] وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٧٣ من سورة التوبة

	جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾					ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾		
أهل لغير الله به(١)	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ﴾	٣	المائدة	٥	أهل به لغير الله	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٧٣	البقرة	٢
شهداء القسط	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟	٨	المائدة	٤	القسط– شهداء	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟	١٣٥	النساء	٤

- الآية ٤٨ من سورة الأحزاب
- الآية ٩ من سورة التحريم

(١)وردت في الآيات الآتية :
- الآية ١٤ من سورة الأنعام
- الآية ١١٥ من سورة النحل

	قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ					قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ			
ضرا- نفعا(١)	﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٧٦	المائدة	٥	نفعا- ضرا(٢)	﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ ﴾	١٨٨	الأعراف	٧

(١) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٤٩ من سورة يونس
- الآية ٨٩ من سورة طه
- الآية ٣ من سورة الفرقان
- الآية ١١ من سورة الفتح

(٢) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ١٦ من سورة الرعد
- الآية ٤٢ من سورة سبأ

لعبا ولهوا	﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾	٧٠	الأنعام	٦	لهوا ولعبا	﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾	٥١	الأعراف	٧
أنزلناه مبارك(١)	﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾	٩٢	الأنعام	٦	مبارك أنزلناه	﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	٥٠	الأنبياء	٢١
كلمة التوحيد على كلمة	{﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ	١٠٢	الأنعام	٦	كلمة الخلق على كلمة	﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ	٦٢	غافر	٤٠

(١)وردت في الآيتين:

- الآية ١٥٥ من سورة الأنعام
- الآية ٢٩ من سورة ص

الخلق	خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ				التوحيد	كُلِّ شَيۡءٖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ			
نرزقكم– وإياهم	وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ	١٥١	الأنعام	٦	نرزقهم وإياكم	وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا	٣١	الإسراء	١٧
تغفر – ترحم	قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ	٢٣	الأعراف	٧	يرحم يغفر	وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ	١٤٩	الأعراف	٧
الذين – من قومه([1])	قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ	٦٦	الأعراف	٧	من قومه– الذين	وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ	٣٣	المؤمنون	٢٣

[1] وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٩٠ من سورة الأعراف
- الآية ٢٧ من سورة هود

	إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾					وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾		
رب موسى وهارون([1])	﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ ١٢٢	١٢٢	الأعراف	٧	رب هارون وموسى	﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾	٧٠	طه	٢٠
بأموالهم في سبيل الله([2])	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟	٧٢	الأنفال	٨	في سبيل الله بأموالهم([3])	{﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟	٢٠	التوبة	٩

- الآية ٢٤ من سورة المؤمنون

[1] وردت في :

- الآية ٤٨ من سورة الشعراء

[2] وردت في الآيات:

- الآيتين ٤١ ، ٨١ من سورة التوبة
- الآية ١٥ من سورة الحجرات

[3] وردت في الآيتين :

- الآية ٩٥ من سورة النساء

	بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾				وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾			
أواه– حليم	﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾	١١٤	التوبة	٩	حليم أواه	﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴾	٧٥	هود	١١
الغفور الرحيم(١)	﴿ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ	٩٨	يوسف	١٢	الرحيم الغفور	﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا	٢	سبأ	٣٤

- الآية ١١ من سورة الصف

(١)وردت في الآيات الآتية :

- الآية ١٠٧ من سورة يونس
- الآية ٩٨ من سورة يوسف
- الآية ٤٩ من سورة الحجر
- الآية ١٦ من سورة القصص
- الآية ٥٣ من سورة الزمر

غفورا رحيما([1])	هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾				يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ			

- الآية ٥ من سورة الشورى
- الآية ٨ من سورة الأحقاف

[1]وردت في الآيات الآتية :

- الآيات ١٧٣، ١٨٢، ١٩٢، ١٩٩، ٢١٨، ٢٢٦، من سورة البقرة
- الآيات ٣١، ٨٩، ١٢٩ من سورة آل عمران
- الآيات ٢٣، ٢٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٦، ١١٠، ١٢٩، ١٥٢ من سورة النساء
- الآيات ٣، ٣٤، ٣٩، ٧٤، ٩٨، من سورة المائدة
- الآيات ٥٤، ١٤٥، ١٦٥، ١٦٧ من سورة الأنعام
- الآيتين ٦٩، ٧٠ من سورة الأنفال
- الآيات ٥، ٢٧، ٩١، ٩٩، ١٠٢ من سورة التوبة
- الآية ٤١ من سورة هود
- الآية ٥٣ من سورة يوسف
- الآية ٣٦ من سورة إبراهيم
- الآيات ١٨، ١١٠ ، ١١٥، ١١٩ من سورة النحل
- الآيات ٥، ٢٢، ٣٣، ٦٢ من سورة النور

						ٱلْغَفُورُ ﴾		
رسلا من قبلك(١)	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ	٣٨	الرعد	١٣	من قبلك رسلا	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا	٤٧	الروم	٣٠

- الآيتين ٦ن ٧٠ من سورة الفرقان
- الآية ١١ من سورة النمل
- الآيات ٢٤، ٥٠، ٥٩، ٧٣ من سورة الأحزاب
- الآية ٣٢ من سورة فصلت
- الآيتين ٥، ١٤ من سورة الحجرات
- الآية ٢٨ من سورة الحديد
- الآية ١٢ من سورة المجادلة
- الآية ١٢ من سورة الممتحنة
- الآية ١٤ من سورة التغابن
- الآية ١ من سورة التحريم
- الآية ٢٠ من سورة المزمل
- الآية ٤١ من سورة الفتح

(١)وردت في الآية ٧٨ من سورة غافر

	﴿ كِتَٰبٌ ﴾					نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾		
شهيدا بيني وبينكم(١)	١ ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٤٣	الرعد		بيني وبينكم شهيدا	﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدَۢاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾	٥٢	العنكبوت	
الكتاب– القرآن	﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾	١	الحجر	١٥	القرآن– الكتاب	﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾	١	النمل	٢٧
مواخر فيه	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾	١٤	النحل	١٦	فيه مواخر	﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾	١٢	فاطر	٣٥
يرحم – يعذب	﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾	٥٤		١٧	يعذب – يرحم	﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾	٢١	العنكبوت	٢٩

(١) وردت في الآية ٩٦ من سورة الإسراء

للناس في هذا القرآن	﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ الإسراء: ٨٩	٨٩	الإسراء	١٧	في هذا القرآن للناس	﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ الكهف: ٥٤	٥٤	الكهف	١٨
أبصر – أسمع	{﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾	٢٦	الكهف	١٨	أسمع–أبصر	﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	٣٨	مريم	١٩
فجاجا–سبلا	﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾	٣١	الأنبياء	٢١	سبلا فجاجا	﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾	٢٠	نوح	٧١
وجعلناها وابنها	١﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٩١	الأنبياء		جعلنا ابن مريم وأمه	﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴾	٥٠	المؤمنون	٢٣

نحن –هذا	﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	٨٣	المؤمنون	٢٣	هذا –نحن	﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	٦٨	النمل	٢٧
ألسنتهم – أيديهم	﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٤	النور	٢٤	أيديهم – ألسنتهم	﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾	٢	الممتحنة	٦٠
رجل – أقصى المدينة	﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	٢٠	القصص	٢٨	أقصى المدينة – رجل	﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٢٠	يس	٣٦
الأولى– الآخرة	﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ	٧٠	القصص	٢٨	[1]الآخرة– الأولى	﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾	٢٥	النجم	٥٣

(١) وردت في :

- الآية ٢٥ من سورة النازعات

	﴿ تُرْجَعُونَ ﴾							
فرعون – قارون	﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر: ٢٤	٢٤	غافر	٤٠	قارون– فرعون	﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾	٣٩	العنكبوت	٢٩
رحمة منا أو منه(١)	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ فصلت: ٥٠	٥٠	فصلت	٤١	منا أو منه رحمة(٢)	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾	٩	هود	١١

---

(١)وردت الآيات الآتية :

الآية ٧٢ من سورة الأعراف

الآية ٢١ من سورة التوبة

- الآيات ٥٨ ، ٦٦ ، ٩٤ من سورة هود
- الآية ٤٣ من سورة ص

(٢)وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٤٨ من سورة الشورى
- الآية ٦٣ من سورة هود

الجن الإنس(١)	﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾	٣٣	الرحمن	٥٥	الإنس الجن(٢)	﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾	٨٨	الإسراء	١٧
صحف موسى وإبراهيم	﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾	٣٦ ٣٧	النجم	٥٣	صحف إبراهيم وموسى	﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	١٩	الأعلى	٨٧

(١)وردت في الآيات الآتية :

- الآيات ١١٢، ١٣٠ من سورة الأنعام
- الآيات ٣٨، ١٧٩ من سورة الأعراف
- الآية ١٧ من سورة النمل
- الآيتين ٢٥،٢٩ من سورة فصلت
- الآية ١٨ من سورة الأحقاف
- الآية ٥٦ من سورة الذاريات

(٢)وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٥ من سورة الجن
- الآية ٥٦ من سورة الرحمن

الضالون المكذبون	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴾	٥١	الواقعة	٥٦	المكذبين الضالين	﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٩٢	الواقعة	٥٦
الابن – الأخ	﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ ﴾	١١، ١٢ ، ١٣ ١٤،	المعارج	٧٠	الأخ – الابن	﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٤ ٣٥ ٣٦	عبس	٨٠
الشمس (١) والقمر	﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (نوح: ١٦)	١٦	نوح	٧١	القمر الشمس	﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٥٤	الأعراف	٧

(١) وردت في الآيات الآتية :

- الآية ٩٦ من سورة الأنعام
- الاية٥٤ من سورة الأعراف
- الآية ٥ من سورة يونس
- الآية ٤ من سورة يوسف

لكم – أنعامكم	﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾	٣٢	عبس	٨٠	الأنعام– أنفسهم	﴿ تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾		السجدة	٣٢

- الآية ٢ من سورة الرعد
- الآية ٣٣ من سورة إبراهيم
- الآية ١٢ من سورة النحل
- الآية ٣٣ من سورة الأنبياء
- الآية ١٨ من سورة الحج
- الآية ٦١ من سورة العنكبوت
- الآية ٢٩ من سورة لقمان
- الآية ١٣ من سورة فاطر
- الآية ٤٠ من سورة يس
- الآية ٥ من سورة الزمر
- ٣٧ من سورة فصلت
- الآية ٥ من سورة الرحمن
- الآية ٩ من سورة القيامة